الرِّسَالَةُ الجَامِعَةُ فِي الصَّلَاةِ النَّافِعَةِ



الرِّسَالَةُ الجَامِعَةُ فِي الصَّلَاةِ النَّافِعَةِ

العبادات

لفضيلة الشيخ / عبد الله رفيق السوطي
الأستاذ الجامعي وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الرسالة الجامعة

في

الصلاة النافعة

لفضيلة الشيخ / عبدالله رفيق السوطي

الأستاذ الجامعي وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الإصدار الأول

مكتبة السوطي

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م.

بسم الله الرحمن الرحيم

انطلاقة

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢].

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [سورة البقرة:٤٥].

﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا﴾ [سورة الإسراء:١٠٩].

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ [سورة مريم:٥٨].

من القرآن الكريم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين القائل ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢]، **والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين القائل ﷺ: "أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّة الْخُشُوع، حَتَّى لاَ يُرَى فِيهَا خَاشِعًا"(١)، ثم أما بعد:**

فمع ما نعيش في عصرنا من مادية صماء، بكماء، عمياء، مجنونة، خرقاء، لا ترى إلا المال -والشهوة بشكل عام-، ولا تنطق إلا به، ولا تبحث إلا عنه، ولا تفكّر إلا فيه، في ذهابها، وإيابها، ونومها، وصحوها، وقيامها، قعودها، وسائر شؤونها حتى في صلاتها، وأثناء لقائها العظيم بربها، ودخلوها الأجلّ على خالقها، مع الموعد الإلهي الذي الأصل ينتظره كل مسلم بكامل حماسه، وحبه، ورغبته، وفي قمة اشتياقه إليه كما كان قدوته وقرة عينه ﷺ الذي كان ينادي بلالًا: "يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنا بِهَا" رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني، بل هي سلوته، وفراره عندما يضيق به حاله، وتنزل عليه كرباته، وتحل عليه همومه، وتشتد غمومه: فَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى"، رواه أبو داود وأحمد والبيهقي وصححه الألباني، وعند النسائي وأحمد وابن حبان وصححه وكذا الألباني: عَنْ عَلِيٍّ ﵁ قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُنا لَيْلَةَ بَدْرٍ وَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللّهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ

---

١ - رواه الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه، وصحّحه الألباني.

وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ"، بل كانت الصلاة هي قرة عينه ﷺ من الدنيا فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَلَاةِ "، رواه النسائي وأحمد وصححه الألباني، فهل يا ترى رجال عصرنا، وشباب زماننا، بل قل خيار أهل دهرنا سيقتدون به ﷺ كل قدوة في هذا؟!.

هيهات في ظل مادية العصر، وتكنلوجيا اليوم، وبرامج هذا الدهر... فكان لابد من إعادة تحديث وبرمجة، بل فرمتة لدماغ المسلم بمثل هذه الكتابات التي تعيد انتباهه، وترتب أولوياته، وترده إلى واجبات قلبه، وإسعافات روحه كالصلاة؛ إذ أن صلاته منطلق حياته، وأصل رزقه، ومبعث إلهامه، ومصدر قوته وسعادته، وبركة ماله، وصحته، وعافيته، وغناه وما يريد، بل هي (شركة استثمار)[1] إن أحسنها المسلم، وأداها كما يجب، وحضر ذهنه كما أمر ربه سبحانه وتعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [سورة طه:١٣٢]!.

بل لا يقتصر خيرها على المصلي نفسه، بل خيرها، ونفعها، وبركتها تصل لعموم الناس؛ فهي مصدر أمنهم، وكف جرائمهم، وانعدام مخاطرهم، وإصلاح ظواهرهم وبواطنهم، وتحسين أخلاقهم، وأفعالهم، وأقوالهم، وما يصدر

---

١ – ما بين القوسين من كتاب: "إعادة اكتشاف الصلاة" (مختصر إدارة الصلاة) ص١٦ لـ أحمد بسام ساعي.

عنهم[1]: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]**، وعند ابن حبان وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ فقَالَ ﷺ: "إِنَّهُ سَيَنهَاهُ مَا يَقُولُ")، وفي رواية: "مَا تقُولُ"، أي من قيامه لليل، وفي رواية: "ستَمْنَعَهُ صَلَاتَهُ"**[2]**.**

---

١ – راجع رسالة ماجستير للباحث يحيى بن نصير السرحاني الشهراني، عنوانها: "أثر عبادة الصلاة للوقاية من الجريمة"، قسم: العدالة الجنائية، تخصص: التشريع الجنائي الإسلامي.

٢ – ورواه البزار والطحاوي والبغوي، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط، والألباني. وهنا وجب عليّ التنبيه لحديث مشهور متداول عند العامة والخاصة منسوب لابن مسعود رضي اللّه عنه، وفي بعضها لجابر بن عبداللّه رضي اللّه عنهما، وفي بعضها لابن عباس رضي اللّه عنهما، وهم جميعًا منه براء وحاشاهم والحديث ذلك أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: "مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللّه إِلا بُعدًا""، وهو حديث موضوع باطل كل البطلان سندًا، ومتنًا، وعقلًا، وشرعًا، وعرفًا، وعادة، ومن كل وجه، وإن كان حشره الطبراني في معجمه، وابن كثير في تفسيره وغيرهما رحمهما اللّه، قال الألباني معلقًا على الحديث بعد أن ذكر متنه: (وهو حديث باطل متناً، ضعيف سنداً ، ولا أصل له عن جابر بن زيد مطلقاً ، مع أنه قد روي في كتبنا نحن – معاشر أهل السنة والحديث – عن جمع من الصحابة، مرفوعاً ، وموقوفاً – وهو الصواب –، ولكنه باطل من حيث معناه؛ لأن من يصلي خير من الذي لا يصلي، وأقرب إلى اللّه منه ؛ ولو كان فاسقاً –كما قال ابن تيمية رحمه اللّه–. وقد خرجت طرقه وبينت عللها في أول المجلد الأول من "سلسلة الأحاديث الضعيفة"، وبينت بطلان متنه هناك برقم(٢) فليراجع من شاء) انتهى، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٣/ ٦٥٩)، (قال الذهبي: قال ابن الجنيد: كذب وزور، قال الحافظ العراقي: حديث إسناده لين، قال الألباني: باطل لا يصح من قبل إسناده، ولا من جهة متنه)، مائة حديث من الأحاديث الضعيفة والموضوعة (ص: ١).

مفتاح سر...!

إن الصلاة التي نصليها أمرها عجيب، وشأنها عظيم، وخيرها عميم؛ فهي تحل مشكلات كونية، وتعالج كوارث بشرية؛ فإذا يبس الضرع، وقل الزرع، واقتربت المجاعة، وحلت الفاقة، فزعنا للصلاة، ونادينا: "الصلاة جامعة"...إنها صلاة الاستسقاء...!

وإذا انكسفت الشمس، أو انخسفت القمر، أو حدث ما يشبههما كأعاصير _على خلاف فقهي في الأخير_ فزعنا للصلاة ونادينا: "الصلاة جامعة"... إنها صلاة الخسوفين...!

وإذا أقبلت الحيرة، وأعيت الفكرة، ولم نعرف الجواب، واحترنا في الصواب، فزعنا للصلاة... إنها صلاة الاستخارة...!

وإذا اقتربنا من الذنب، وأغضبْنا الربَ، وكثُر الران في القلب، وخفنا من عقوبة عاجلة، ونقمة عامة أو خاصة لجأنا للصلاة.. إنها صلاة التوبة...!

وإذا كثرت الجموع، وتُركت البيوع، وامتلأت المساجد بالمصلين، وأخذوا المصاحف مرتلين فاعلم أنك في صلاة الجمعة...

وإذا خرج الناس لمصلياتهم، وتركوا جَمال بيوتهم، وتراهم يهرعون بثيابهم الجديدة، وألبستهم الأنيقة يفترشون التراب، ويمرغون جباههم في العراء فاعلم أنك في صلاة العيدين...

وإذا رأيتهم في مساجدهم يرتلون، وفي صفوفهم ينتظمون، ولياليهم يقومون ويحيون فاعلم أنك في صلاة التراويح...!.

إنها الصلاة...الصلاة التي هي جنة المؤمنين، وسلوة العابدين، وشوق المخلصين، ونعيم المقربين، وأنسهم، ومفتاح قربهم، ومصدر راحتهم، وفيها يجدون حاجتهم، وسعادتهم، وفيها قرة أعينهم، وسلوة قلوبهم، وشعاع نورهم من وجوههم وقلوبهم: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة الفتح:٢٩][1].

---

١ - ومن الخطأ الذي لا يحل اعتقاده، ولا السكوت عنه ما يلبّس الشيطان على بعض الناس أن معنى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، أنه السواد الذي يكون في بعض الجباه، بل بعضهم يسوّل له الشيطان ليكون من العابدين في أعين الناس فيسعى لوضع جبهته في النار، أو الحجارة المحماة؛ ليظهر فيها السواد فيقول الناس هذا من كثرة السجود ففلان سيماه في جبهته، وما فطنوا أن الآية تتحدث عن الوجه كله، لا عن الجبهة فحسب، ولو كان المراد بالسيماء الجبهة لقال: "سيماهم في جباههم"، ثم هؤلاء عباد الله يقومون الليل سجدًا وبكيًا ومع هذا لا شيء في جباههم يدل على ذلك، وإنما هي أنوار ربانية تظهر في وجهه، وعلى محياه، يعرفه بها كل مسلم، وبالأخص كل مؤمن!.

وفي صحيح مسلم وغيره: "وَالصَّلَاةُ نُورٌ"(١).

الصلاة حياة

إن بإقامتها تقوم وتنهض حياة المسلم في شتى مجالات الحياة العلمية، والعملية، والعقدية، والوظيفية، والنفسية، والشخصية، والأسرية، والمجتمعية، والحياة بعمومها، وبتضييعها يكون ضياع المسلم في كل شيء في حياته؛ فتجد الضياع وآثاره على نفسه، وأهله، ورزقه، وممتلكاته، وأعماله، وما حوله، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٤]، **والصلاة أعظم الذكر،**

---

١ – وفي شرح النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: (فمعناه أنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب كما أن النور يستضاء به، وقيل معناه أنه يكون أجرها نورًا لصاحبها يوم القيامة، وقيل لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف، وانشراح القلب، ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها، وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: {اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: ١٥٣]، وقيل معناه أنها تكون نورًا ظاهرًا على وجهه يوم القيامة، ويكون في الدنيا أيضًا على وجهه البهاء بخلاف من لم يصل والله أعلم) شرح النووي على مسلم(٣/ ١٠١)، وتمام الحديث: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"، وفي رواية: "الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"، وفي رواية: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ"، "وَالْحَمْدُ للهِ، تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"، وفي رواية: "وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ يَمْلَأُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ"، وفي رواية: "وَالزَّكَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا" رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

وأهمه، وأفضله، وأوله، ومنتهاه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [سورة البقرة:١٥٢]، **فمن ذكر الله بالمحافظة على صلاته، وجعلها في سلّم اهتماماته حفظه الله في كل شيء، ويسّر له كل شيء، وأعانه على كل شيء، ووفقه لكل شيء من الخير كله:** ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [سورة طه:١٣٢]، **وقال:** ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [سورة الليل:٧].

لا حظ لك بدونها

هكذا أعلنها الفاروق ﷺ مدوية: "لاَ حَظَّ فِي الإِسْلاَمِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ"[١] **وصدق؛ فأي صيام، وزكاة، وحج، وصدقة، وذكر، وخير... وأي عمل صالح يزعم وهو لا يصلي، إنها سراب في سراب كل أعماله تلك التي فعلها وترك الصلاة، ماذا تغني عنه من الله والصلاة مفتاح الجنة، وبشراه بسكناه عند رب البرية، وأصلح صلاح كل أعماله: "فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ"**[٢]**، إن أعماله تلك أشبه بقول الله:** ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة النور:٣٩][٣].

---

١ - مقالة لعمر رضي الله عنه، رواها البيهقي في سننه بعد حديث: "الْعَهْدُ الَّذِى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ"، وذكر أيضًا: (عَنْ عَلِىٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلاَ دِينَ لَهُ) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (٣/ ٣٦٦).

٢ - رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم: عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ"، وفي رواية: "فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ فَإِنْ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ نَافِلَةٌ وَإِنْ كَانَ انْتُقِصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ -عز وجل-: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ" وسيأتي.

٣ - وستأتي تفاصيل حكم تاركها راجع ص ٨٢ من كتابنا هذا.

الصلاة ارتياح

ولهذا كانت شعيرة الصلاة راحة له ﷺ واسمع له حين كان ينادي بلالًا[١]: "يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا"[٢]، بل كان ﷺ إذا اشتدت كربته، وقلت حيلته،

---

١ - قال الطيبي في شرحه لها الحديث: (أي أذن بالصلاة، نسترح بأذانها من شغل القلب بها. وقيل: كان اشتغاله بالصلاة راحة له، فإنه صلى اللّه عليه وسلم كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعباً، وكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة اللّه تعالي؛ ولهذا قال: ((وقرة عني في الصلاة)) وما أقرب الراحة من قرة العين. يقال: أراح الرجل واستراح إذا رجعت نفسه إليه بعد الإعياء). شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٤/ ١٢١٨)، وقال في موضع آخر: (((أرحنا بها يا بلال)) أي أشغلنا عما سواها بها.، فإنه تعب وكدح، وإنما الاسترواح في الصلاة فأرحنا بندائك بها) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣٣٢٠).

وفي شرح ابن رسلان: ("أرحنا بها" أي: لنستريح بأدائها من شغل القلب بالاهتمام بإتيانها على أكمل الحالات، فقد كان علي -رضي اللَّه عنه- إذا أذن المؤذن وحضر وقت الصلاة تزلزل وتلون، فقيل له: ما لك؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها اللَّه على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، ويروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟). شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٩/ ١٢٣).

٢ - رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني، وللحديث قصة فَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا". وفي أخرى: عن عبدِ اللّه بن محمَّد ابن الحنفيّة، قال: انطلقتُ أنا وأبي إلى صِهْرٍ لنا من الأنصار نعودُه، فحَضَرت الصلاةُ، فقال لبعض أهله: يا جاريةُ، ائتوني بوَضوءٍ؛ لعَلّي أصلّي فاستريحَ،

وعظُمت عثرته بأبي هو وأمي ﷺ فزع لصلاته، فوجد أنسه، وراحته، وطمأنينته: فَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى"(١)**؛ عملًا بقول ربه الأعلى جل وعلا:** ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [سورة البقرة:٤٥]، **وقوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة:١٥٣]، **وعند النسائي وأحمد وابن حبان وصححه وكذا الألباني: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ وَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللّهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ".**

قال: فأنكَرْنا ذلك عليه، فقال: سمعتُ رسولَ اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- يقول: "قُم يا بلالُ، فأرِحْنا بالصَّلاة".

١ - رواه أبو داود وأحمد والبيهقي وصححه الألباني، ومعنى حزبه أي نزل عليه هم أو كرب ونحو ذلك.

قال ابن الأمير الصنعاني في التحبير: (وفيه دليل على أن الصلاة تدفع الهموم والأحزان وأنه دواء لذلك الداء) التحبير لإيضاح معاني التيسير (٥/ ٢٠).

وقال الدهلوي: (قوله: "إذا حزبه أمر" في القاموس: حزبه الأمر: نابه واشتد عليه أو ضغطه، وقوله: (صلى) امتثالًا لقوله: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}، واختلف إشاراتهم في أن الاشتغال بالعبادة يكشف الغم والحزن عن القلب، فقال بعض المحققين: إذا اشتغل الإنسان بالعبادة انكشف عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بكليتها حقيرة، فخف على القلب فقدانها ووجدانها، فلا يستوحش من فقدانها، ولا يستريح من وجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم، وقال بعضهم: إذا نزل بالعبد بعض المكاره وفزع إلى الطاعات كأنه يقول: تحتسب علي عبادتك، سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات، قال اللّه لنبيه: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٧ - ٩٩]) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٤٣٥).

بل كانت الصلاة هي قرة عينه ﷺ من الدنيا فَعَنْ أَنس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَلَاةِ "(١)، رواه النسائي وأحمد وصححه الألباني.

لكن هل تراها تلك الصلاة التي نصليها، وتلك الطقوس التي نؤديها، والحركات الرياضية التي نقوم بها... كلا..كلا... إنها صلاة تختلف لا في أعدادها، وأحكامها، بل في كفيتها، وحضور قلبه ﷺ فيها، وعظمة إقباله على اللّه سبحانه وتعالى حين يؤديها، إنها صلاة تليق بخالقنا، وعبادة تتناسب مع مولانا جل وعلا، وفي البخاري ومسلم: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى مِنْ اللَّيْلِ قَامَ حَتَّى تتفَطَّرَ قَدَمَاهُ)، وفي رواية: (حَتَّى تنتفِخَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ: لِمَ تَصْنَعُ

---

١ - قال الحافظ ابن حجر: (ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته وانما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب فإن السالك غرض الآفات والفتور). فتح الباري - ابن حجر (١١/ ٣٤٥).

وفي المعنى اللغوي لـلفظة: "وجُعلت قُرَّةُ عَيْنِي" قال الأثيوبي: (-بضمّ القاف، وتشديد الراء- مصدر قَرَّت العينُ تَقِرّ، من بابي ضرب، وتَعِب قُرَّةً، وقُرُورًا: إذا بَرَدت سُرُورًا. أفاده الفيّوميّ. وقال ابن منظور: واختلفوا في اشتقاق قَرَّتْ عينُهُ، فقال بعضهم: معناه بَرَدَت، وانقطع بكاؤها، واستحرارها بالدمع، فإن للسرور دمعةً باردة، وللحزن دمعة حارّةٌ. وقيل: هو من القَرَار: أي رأت ما كانت متشوّفة إليه، فقرّت، ونامت. وقيل: أقرّ اللّه عينك: أي بلّغك أُمنيّتك حتى ترضى نفسُك، وتسكُن عينك، فلا تستشرف إلى غيره. وقيل: أقرّ اللّه عينك: أي صادفتَ ما يُرضيك، فتقرّ عينك من النظر إلى غيره. ورضي أبو العبّاس هذا القول، واختاره. وقال أبو طالب: أقرّ اللّه عينه: أنام اللّه عينه، والمعنى صادف سُرورًا يُذهب سَهَرَهُ، فينامَ) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى للوَلّوِي (٢٨/ ١٧٢).

هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟").

وفي صحيح مسلم: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ كَبَّرَ قَالَ: اللّهُ أَكْبَرُ، اللّهُ أَكْبَرُ، اللّهُ أَكْبَرُ، ذُو الْمَلَكُوتِ، وَالْجَبَرُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ[١]، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا يَخْتِمُهَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ رَحْمَةٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ اسْتَجَارَ، _أو_ تعَوَّذَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تنزِيهٌ للّهِ سَبَّحَ)، وبعض ألفاظه في غير مسلم.

١ – الزيادة عند أبي داود والنسائي وأحمد، وهو من أدعية استفتاح قيام الليل خاصة.

تعليق...!

وغير هذين كثير، وما ذاك إلا لكون المراد بالصلاة: توفية حقوقها وشرائطها، والحضور بكلياته فيها، لا الإتيان بهيئتها فقط دون جوهرها، وبظاهرها دون باطنها، كما قال الراغب في مفرداته: (كل موضع مدح اللّه تعالى بفعل الصلاة أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة نحو: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [سورة النساء:١٦٢]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة البقرة:٤٣]، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[سورة البقرة:٢٧٧]، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [سورة الماعون:٤-٥]، ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ [سورة التوبة:٥٤]**، وإنما خص لفظ الإقامة تنبيهًا أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها، لا الإتيان بهيئتها فقط، ولهذا روُي أن المصلين كثير، والمقيمين لها قليل)**[١]**، والعلة الواضحة، والحقيقة البائنة أنه انتصاب لرب العالمين، ووقوف بين يدي جبار السماوات والأرضين، وفيه تيسير لوقوف آخر في ذلك اليوم العظيم كما قال ابن القيم عليه رحمة رب العالمين: (للعبد بين يدي اللّه موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هُوّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفه حقه شُدد عليه ذلك الموقف قال تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا

---

١ – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٢٨٦).

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [سورة الإنسان:٢٦-٢٧])[1].

١ - الفوائد (ص: ٢٠٠).

عجائب...!

وإذا كان العباد يقبلون على محبوباتهم بنهم وشغف، وحب ورغبة فماذا عن لقاء اللّه تبارك وتعالى، حتى أنك لتعجب من أناس لو أطال الإمام في صلاته فقرأ في الركعة صفحة من كتاب اللّه أو أقل منها ثار الناس عليه، بل هذا اليوم -الذي أكتب فيه هذه الحروف- وصلني سؤال يقول فيه سائله ما مفاده: إن إطالة الإمام جعلت السائل يلعن الإمام، ويسبه، ويشتمه بأقذع شتم، وهو داخل الصلاة لا خارجها، وفي قلبه فهل تصح صلاته، هكذا وصل بنا الحال أصبحت الصلاة كالعقوبة، والنقمة، والكارثة بإطالة يسيرة -وقل من يطيل من الأئمة- بينما يقفون ساعة وساعات مع أصدقائهم، وأشغالهم، وتوافههم لا يفترون، ولا يكلون، ولا يملون، بل قل عن كيف يندمجون مع هواتفهم فلا يسمعون صوتًا بجوارهم، ولا أي حركة قريبة منهم، بينما وهم يصلون يسمعون كل شيء، ولا يغيب عنهم أي حدث أو حديث بجوارهم، إنها كارثة بحق!.

(قال أحد العلماء: إن من المعلوم أن المنتصب لخطاب ملك من ملوك الدنيا يجمع قلبه للإقبال عليه، ويحسن التودد إليه، ويتحرز التحرز الكلي عن أن تفرط منه كلمة مستهجنة، أو التفاتة غير مستحسنة، أو ذهول عما يخاطبه به، أو يتلقاه من خطابه، وإن كان لا يخاف نقمته، ولا يرجو نعمته، فيا عجبًا من منتصب لمناجاة ملك السماوات والأرض وهو يعلم أنه حاضر لديه، ورقيب عليه، وأنه

محتاج في كل لحظة إليه، غير مستغن عنه، وإن إحسانه إليه فوق كل إحسان)[١].

ولا تتحدّث عن تلك الحركات الغريبة بأيديهم وأقدامهم وجوارحهم كما تراه عند كثير من المصلين في صلاتهم حتى تظن أن بعقله شيء، فإذا انتهت الصلاة انتهت تلك الحركة، وعاد إليه عقله، ولو صورته وهو في صلاته بحركاته تلك لضحك على نفسه، واتهم بها عقله، إنها سكرة من نوع آخر، وإن لم يكن به سكر الخمر كما قيل عن بعض السلف لما سمع قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء:٤٣]، **قال: كم من مصل لم يشرب خمرًا، هو في صلاته لا يعلم ما يقول، وقد أسكرته الدنيا بهمومها.**

وفي درة العابدين ناقلًا عن السلف: (قيل: سكارى من كثرة الهم، وقيل من حب الدنيا، وقال وهب بن منبه: المراد به ظاهره؛ ففيه تنبيه على سكر الدنيا؛ إذ بين فيه العلة فقال: وكم من مصلٍّ لم يشرب خمرًا، وهو لا يعلم ما يقول في صلاته)[٢].

---

١ - مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (١/ ١٥٠).

٢ - درة العابدين وقرة عين الموحدين الاسباب المعينة والوسائل المفيدة للخشوع في الصلاة ص٢٠.

صلاة ولكن...!

وصلاة بهذا المستوى لا ينتظر عبد أن تحسّن أخلاقه، وتصرفه عن فواحشه وموبقاته، وتخرجه من واقعه الأليم، وواقعه المرير، وهو نفسه التفسير الصحيح لتلك الظاهرة الخطيرة في مجتمعاتنا المسلمة، وهي ما نعانيه من انفصام تام بين العبادات والمعاملات؛ فتجده يحافظ على الصلوات في أوقاتها، وصفوفها الأولى بانتظام لكنه سيء الأخلاق في كل شيء: فلسانه البذيء: يلعن... ويسب... ويشتم... ويقذف... ويكذب... ويخون... ويغش...إلخ ومع هذا هو يصلي، وقل مثل ذلك عن أعماله، بالرغم أنه يصلي، وتجد أن ربنا ﷻ قد ضمن للمصلي بعدًا عن الفحشاء والمنكر بصلاته، غير أن صاحبنا لم يبتعد شيئًا، وسبق سؤال الأخ الأول لي شخصيًا، وبقيت قصة أرويها ولن أنساها لذلك الذي كان يصلي بجواري، وما إن سلم حتى لعن من بجواره، قبل أي كلام غير السلام، فلم تنفعه صلاته حتى للحظات، فكيف بأيام وساعات وسنوات...، والسبب ما ذكرنا من نقص فاحش في صلاتنا، وأصبحت مجرد حركات نؤديها، وحمولة نسقطها عن ظهورنا بينما ربنا يقول ضامنًا مفعولها...: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]**، وهذا رسولنا ﷺ يفسّر الآية، ويتحدث عن جدوى هذه العبادة فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ،**

فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: "إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا يَقُولُ") رواه ابن حبان وأحمد وحسّن إسناده شعيب الأرناؤوط.

ومع هذا فلا يأس؛ فالصلاة ستؤثّر يومًا في المصلي، وهي كالأمواج العاتية تؤثّر في الصخور مع مر الزمن، والسيول الجارفة تحدث أثرًا فيما مرت من عليه ولو طال الوقت، بل الغيول وقطراتها تؤثّر في حجر قاسية، أفلا تؤثّر مناجاة عبد لربه مع الزمن... بلى... بلى...إننا لنأمله وزيادة خاصة مع قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]**!.**

(قال بعض العلماء: يحتاج المصلي إلى أربع خصال حتى ترفع صلاته: حضور قلب، وشهود عقل، وخضوع أركان، وخشوع الجوارح، فمن صلّى بلا حضور قلب فهو مصلٍ لاهٍ، ومن صلّى بلا شهود عقل فهو مصلٍ ساهٍ، ومن صلّى بلا خضوع الأركان فهو مصلٍ جافٍ، ومن صلّى بلا خشوع الجوارح فهو مصلٍ خاطئ، ومن صلّى بهذه الأركان فهو مصلٍ وافٍ)[١]، وهنا أقول صراحة: قد نعتذر حقًا لنبينا ﷺ الذي وعظ الرجل موعظته البليغة بعد طلبه فعَنْ أَبِي

١ - الخشوع في الصلاة (ص: ٧).

أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِظْنِي وَأَوْجِزْ، قَالَ: "إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ").

الصلاة نجاة...!

ولعلنا لا ندرك حقيقة أن هذه الصلاة ميزاننا الذي نوزن به في أخرانا، وعلامة كبرى لفلاحنا، ومفتاح خير لسعادتنا، وباب نيلنا لجنة ربنا تعالى: فَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ"، وفي رواية: "فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ، فَإِنْ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ نَافِلَةٌ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ - عز وجل -: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ" رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، ولهذا قال ابن عباس ﵄: (ركعتان مقتصدتان في تفكّر خير من قيام ليلة والقلب ساه، وقال سلمان الفارسي ﵁: الصلاة مكيال، فمن أوفى أُوفي له، ومن طفّف، فقد علمتم ما قال الله للمطففين[١])[٢].

١- يريد قول الله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].
٢ - شرح السنة للإمام البغوي متنا وشرحا (٣/ ٢٦١).

المسلم يصلي...!

وما ذاك إلا لأنها الحد الفاصل بين المسلم وغيره: فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ "، وفي رواية: " فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ " رواه مسلم وغيره، وروى الترمذي وغيره عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ" وصححه الألباني.

وليس من فرق كبير بين تاركها حقيقة، وفاقد لوعيه بالرغم أنه يؤديها؛ إذ كل منهما لم تنفعه، وإن كان هذا أدى حركاتها، وذاك لم يقترب منها، ولهذا وصف اللّه المنافقين بالصلاة لكن لم تنفعهم حين قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء:١٤٢]، وقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٤].

فوصفهم بالكفر مع الصلاة، وفي الأولى بالخديعة مع الصلاة، فلم تنفعهم صلاتهم، ولم ترفعهم عبادتهم، بل خابوا وخسروا وهم يصلون، كما خاب

وخسر الخوارج بالرغم أنهم أعبد الأمة، حتى إن العابد من الصحابة يحقر عبادته لعبادتهم: "يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ لَيِّنًا رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ"، ومع هذا قال ﷺ عنهم: "يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ وَثَمُودَ"(١)،

---

١ - الحديث رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وتواتر عند المحدثين ونصه بمجموع ألفاظه عند الجميع بما صح منها حسب الجامع الصحيح: عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي اللّه عنه - قَالَ: (" قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم - غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالْجِعِرَّانَةِ، فَآثَرَ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ بَدْرٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: وَاللّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَا وَجْهَ اللّهِ وَلَا الدَّارَ الْآخِرَةَ، كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ فَقُلْتُ: وَاللّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَلَإٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ - صلى اللّه عليه وسلم - وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللّهُ وَرَسُولُهُ؟ إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ بَعَثَهُ اللّهُ - عز وجل - إِلَى قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ وَشَجُّوهُ فَأَدْمَوْهُ حِينَ جَاءَهُمْ بِأَمْرِ اللّهِ، فَقَالَ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قَالَ عَبْدُ اللّهِ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم - يَمْسَحُ جَبْهَتَهُ يَحْكِي الرَّجُلَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم -: أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟ يَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ؛ فَوَاللّهِ مَا عَدَلْتَ مُنْذُ الْيَوْمَ فَقَالَ: "وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ شَقِيتُ، وَخِبْتُ، وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ، ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - رضي اللّه عنه -: يَا رَسُولَ اللّهِ أَلَا

هذا عن أولئك لكن ماذا عن المؤمنين الذين حافظوا على صلواتهم، وحضور قلبهم فيها، وجاهدوا أنفسهم على ذلك فنالوا الفلاح من ربهم، وفازوا بالفردوس الأعلى بصلاتهم، وحضور أذهانهم فيها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢]، **ثم قال:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ

أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: "لَا مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي". وفي رواية: "لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي" فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانه مَا لَيْسَ فِي قَلْبِه. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: "إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَحْقِر أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ لَيِّنًا رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ. يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّة، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِه، يَنْظُرُ الرَّامِي فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَةِ هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنْ الدَّمِ شَيْءٌ؟ قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَة، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ". وفي رواية: "قَتْلَ ثَمُودَ، سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ، أَوْ قَالَ: التَّسْبِيدُ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَة، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ، يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ". وفي رواية: "يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِاللهِ". قَالَ أَبُو سَعِيدٍ - رضي الله عنه -: فَنَزَلَتْ فِيهِمْ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ - رضي الله عنه - حِينَ قَاتَلَهُمْ، فَالْتُمِسَ فِي الْقَتْلَى فَأُتِيَ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -).

عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:٩-١١].

وانظر معي لقوله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، والتي تشير لفلاحهم في كل شيء دنيا وآخرة: في صحة... رزق... أولاد... مال... علم... عمل... كل شيء يفلحون فيه؛ إذ أن صلاتهم منطلق حياتهم، وسعادتهم، وخيرهم، وبركتهم، وفي الآخرة ينالون الفردوس الأعلى، والمقام الأعلى، فهم في فلاح دائم متصل: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [سورة القمر:٥٥]**...!.**

خوف واضطراب...!

ولعل مما يدفع المؤمن للخوف من عدم قبول صلاته، وعدم نظر الرب لعبادته، وردّ ذلك اللقاء الذي هو فرصة العبد لملاقاة خالقه، وفرح الفقير بلقاء الغني، والذليل بلقاء العزيز ﷻ... تلك الأحاديث الزاجرة، والألفاظ الحاسمة، والكلمات النبوية، والتوجيهات الربانية كحديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي سِتِّينَ سَنَةً وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً؛ لَعَلَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ، وَلَا يُتِمُّ السُّجُودَ، وَيُتِمُّ السُّجُودَ، وَلَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ" أخرجه ابن عدي وابن أبي شيبة والأصبهاني وحسنه الألباني.

وكذلك نفي النبي ﷺ القاطع بأنه لا صلاة له، وأنها لا تجزئه تلك الصلاة، ولا تقبل منه هذه العبادة: فعَنْ عَلِيِّ بْنِ شَيْبَانَ الْحَنَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ فَلَمَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمُؤْخِرِ عَيْنِهِ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ -يَعْنِي صُلْبَهُ- فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ: لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ") رواه ابن ماجه وأحمد.

وأخطر من ذلك كله أنه عند قدومه على ربه جل وعلا لا ينظر إليه، ولا يبالي بوجوده، ولا يأذن بدخوله، ولا يأبه بحضوره وهي الطامة حقًا، والمعضلة صدقًا: فعَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَنْظُرُ اللَّهُ - عز وجل -

إِلَى صَلَاةِ رَجُلٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ" رواه أحمد والطبراني، وحسنه شعيب الأرناؤوط والألباني، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ" رواه أصحاب السنن.

بل قل عن ذلك الحديث الذي يمقته النبي ﷺ، ويزدريه، بأن شبهه ﷺ بالغراب، بل في نفس الحديث نفاه رسول الأمة ﷺ من أن يكون منها، أو يتشرف بالانتماء إليها: فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: (صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ جَلَسَ فِي طَائِفَةٍ مِنهُمْ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَامَ يُصَلِّي، فَجَعَلَ يَرْكَعُ وَيَنقُرُ فِي سُجُودِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَرَوْنَ هَذَا؟، مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا مَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَنقُرُ صَلَاتَهُ كَمَا يَنقُرُ الْغُرَابُ الدَّمَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي يُصَلِّي وَلَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ مَثَلُ الْجَائِعِ الَّذِي لَا يَأْكُلُ إِلَّا التَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ لَا تُغْنِيَانِ عَنهُ شَيْئًا، فَأَسْبِغُوا الْوُضُوءَ، وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، وَأَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ"، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْعَرِيِّ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، كُلُّ هَؤُلَاءِ سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ) رواه ابن خزيمة وأبو يعلى.

ويؤكده حديث أَبِي وَائِلٍ قَالَ: (رَأَى حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ﷺ رَجُلًا لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ دَعَاهُ حُذَيْفَةُ فَقَالَ لَهُ: مُنذُ كَمْ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ؟

قَالَ: مُنذُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَقَالَ: مَا صَلَّيْتَ مُنذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَوْ مِتَّ وَأَنْتَ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ لَمِتَّ عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ أَقْبَلَ حُذَيْفَةُ عَلَيْهِ يُعَلِّمُهُ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُخَفِّفُ فِي صَلَاتِهِ وَإِنَّهُ لَيُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ) رواه البخاري والنسائي وأحمد.

والأمر يطول فهذا رسول الله ﷺ يتهمه بالسرقة، ويوصفه بالكبيرة، ويلصق اسم هذه الفعلة الشنيعة به، وليست أي سرقة بل أقبح سرقة: فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: (ذُكِرَتْ السَّرِقَةُ عِند رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَيُّ السَّرِقَةِ تعُدُّونَ أَقْبَحُ"، فَقَالُوا: الرَّجُلُ يَسْرِقُ مِنْ أَخِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَقْبَحَ السَّرِقَةِ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ" قَالُوا: كَيْفَ يَسْرِقُ أَحَدُنَا صَلَاتَهُ؟ قَالَ: "لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا، وَلَا سُجُودَهَا، وَلَا خُشُوعَهَا")، وفي رواية: "لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ" رواه البيهقي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة.

أما بعد:

فلا بأس أن أختم مقدمتي بحديث طالما تداولته ألسنة الرجال، وذاع في الوديان والجبال، وجعله الفقهاء أعظم الأركان، وأهم واجبات الصلاة في الإسلام، إنه حديث تخيفني فيه تلك الكلمات الزاجرة، والأوامر الصارمة، والتوجيهات الحاسمة من رسول الله ﷺ لذلك الأعرابي الذي صلّى مرارًا ويردّه الحبيب ﷺ قائلًا: "ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ..."[1]، وكأني أسمع تلك الكلمات في أذني،

---

١ - رواه البخاري ومسلم، وهو حديث المسيء في صلاته المشهور الذي أطبقت كتب السنة على روايته، وله ألفاظ متعددة مجموعها: عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: (دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَصَلَّى الرَّجُلُ فَأَخَفَّ صَلَاتَهُ ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: " وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَ: "وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ, فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا فَعَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: "إِنَّهُ لَا تَتِمُّ صَلَاةٌ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ فَيَضَعَ الْوُضُوءَ مَوَاضِعَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ -عز وجل- فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَيَمْسَحَ بِرَأسِهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ تَشَهَّدْ وَأَقِمْ ثُمَّ قُمْ فَاسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ , ثُمَّ كَبِّرْ"، وفي رواية: "ثُمَّ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَر، وَيَحْمَدُ اللهَ وَيُمَجِّدُهُ وَيُكَبِّرُهُ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ" وفي رواية: "ثُمَّ اقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ, ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا شِئْتَ"، وفي رواية: "فَإِنْ كَانَ مَعَكَ قُرْآنٌ فَاقْرَأْ بِهِ، وَإِلَّا فَاحْمَدْ اللهَ وَكَبِّرْهُ وَهَلِّلْهُ، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ يَرْكَعُ، فَإِذَا رَكَعْتَ فَضَعْ رَاحَتَيْكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ" وَامْدُدْ ظَهْرَكَ حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ، وَتَسْتَرْخِيَ، ثُمَّ يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا، فَإِذَا رَفَعْتَ رَأسَكَ فَأَقِمْ صُلْبَكَ حَتَّى تَرْجِعَ الْعِظَامُ إِلَى مَفَاصِلِهَا، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ يَسْجُدُ، فَيُمَكِّنَ جَبْهَتَهُ مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْخِيَ،

وأراها واقعًا في صلاتي، وأخاف أن أكون أنا المراد قبل غيري، والمردودة صلاته دون سواي، فماذا عساي أن أقول، وكيف ألبي حبيبي ﷺ، وهذه مركبتي لن تخترق الفضاء لتصل لربي -لو قدرناها كذلك-، وسترد على وجهي، فرحماك اللهم رحماك بي...!

وقد تقول ليس هذا حالك، بل وحالي، وحال فلان، وفلان، وفلان، وكثير ممن عرفتَ، وعرفتُ، وعرفوا... وهذا الذي دعاني لأخط هذا الكتاب، وأتحرى فيه الصواب، وأقتحم الصعاب، وأفكّر في كل وسيلة وباب ندخل به من صلاتنا على رب الأرباب، ومن لا يحتاج للحجاب، وبالصلاة إن أحسنها نقابله مقابلة الأحباب، وقد جعلت كتابي هذا في أربعة فصول:

الفصل الأول: مقدمات.

الفصل الثاني: الصلاة تعظيمًا وأهمية.

الفصل الثالث: الخشوع كيف ولماذا!.

الفصل الرابع: وسائل الحصول على الخشوع.

ثُمَّ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ وَيَرْفَعُ رَأسَهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدًا، وَيُقِيمَ صُلْبَهُ". وفي رواية: "فَإِذَا رَفَعْتَ رَأسَكَ فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِكَ الْيُسْرَى، حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ يَسْجُدُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ سَاجِدًا، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأسَهُ فَيُكَبِّرُ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا، فَإِذَا جَلَسْتَ فِي وَسَطِ الصَّلَاةِ فَاطْمَئِنَّ وَافْتَرِشْ فَخِذَكَ الْيُسْرَى ثُمَّ تَشَهَّدْ، ثُمَّ افْعَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُكَ، وَإِنْ انْتَقَصْتَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا انْتَقَصْتَ مِنْ صَلَاتِكَ، قَالَ: وَكَانَ هَذَا أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْأَوَّلِ أَنَّهُ مَنْ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا انْتَقَصَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَمْ تَذْهَبْ كُلُّهَا").

وأسأل اللّه العظيم رب العرش العظيم أن يلهمني فيه الصواب، ويفتح لي ما انغلق من الأبواب؛ فإنه العزيز الوهاب، إليه المرجع والمئاب.

المؤلف/
عبدالله رفيق السوطي
٢٨/ جمادى الأولى/ ١٤٤٤هـ.
الموافق: ٢٢/١٢/٢٠٢٢م.

الفصل الأول: مقدمات

لا بد لكل شيء من مقدمات تسبقه، وعلامات تدل عليه، وتعريفات تليق به، وتوضيحات تكشف عنه، هذا في أي شيء فكيف بالصلاة، والخشوع فيها وهما مفتاح الجنة، وباب الفلاح في الحياة الفانية، يتصل ذلك بالآخرة الباقية، وليس في أي موضع فيها بل الفردوس الأعلى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢]، **ثم قال:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:٩-١١]، **فكان لا بد من مقدمات، تصل بها للنهايات، بإذن رب البريات.**

تعريفات

وفي هذا المبحث سأحرص على تعريف ما في العنوان من: مصطلح الصلاة، وسوف أؤجل التعريف بالخشوع حتى يأتي فصل الخشوع، وأكتفي بتعريف الصلاة لغة وفقهًا، وسلوكًا، والحكم على الشيء فرع عن تصوره، وصحة الحكم تتوقف على صحة التصور، كما هو معروف لدى الفقهاء والأصوليين؛ وجريًا على عادتهم في البدء بالتعريفات قبل التوغل في الموضوعات.

الصلاة في كتب اللغة وأهل التفسير

الصلاة في كتب أهل اللغة هي الدعاء، ونقل الإجماع على ذلك ابن بطال[١]**، ويكفينا أن الله ﷻ قد نطق بذلك في كتابه:** ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [سورة التوبة:١٠٣]**، قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله:** ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ **أي: ادعُ لهم، واستغفر لهم، كما رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أُتِيَ بصدقة قوم صَلَّى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: "اللهم صَل على آل أبي أوفى")**[٢]**، وفي الحديث الآخر: (أن امرأة قالت: يا رسول الله: صلّ عليَّ وعلى زوجي، فقال: "صلى الله عليك، وعلى زوجك**[٣]**")**[٤]**.**

---

١ - النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب لابن بطال (المقدمة/ ١٨).

٢ - رواه البخاري ومسلم: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الْأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ)، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى".

٣ - لعله يريد ما رواه أحمد عن جابر قالت زوجته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (يَا رَسُولَ اللهِ، صَلِّ عَلَيَّ وَعَلَى زَوْجِي صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ")، وأصله في البخاري ومسلم في قصة طويلة: قصة مطالبة غرماء والد جابر بدينهم).

٤ - تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٧).

ونجد البغوي رحمه الله يؤكد المعنى ذاته، ويقوي الكلام الذي أدلى به ابن كثير عليهما الرحمة فقال: (﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي: ادعُ لهم، واستغفر لهم، وقيل: هو قول الساعي[١] للمصدق إذا أخذ الصدقة منه: آجرك اللّه فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت، والصلاة في اللغة: الدعاء)[٢]، وفي آخر كلامه رحمه الله أكّد على المعنى اللغوي للصلاة الذي سبق وأشرنا إليه، ودلّل لذلك الزبيدي رحمه الله في تاج العروس حين قال: (وفي الحديث: "وإن كان صائمًا فليصلِّ"[٣]: أي فليدع بالبركة والخير وكل داع مصل)[٤].

ويقول شيخ المفسّرين الطبري رحمه الله في معنى الآية: (﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ يقول: وادعُ لهم بالمغفرة لذنوبهم، واستغفر لهم منها: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾، يقول: إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم، بأن اللّه قد عفا عنهم وقبل توبتهم)[٥].

١ – المراد به العامل على الزكاة، المحصّل لها ممن وجبت عليهم في أموالهم.
٢ – تفسير البغوي (٤/ ٩١).
٣ – يشير لما ثبت في البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة مجموعها: عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ – رضي اللّه عنهما – عَنْ النَّبِيِّ –صلى اللّه عليه وسلم– قَالَ: ("إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ، عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللّهَ وَرَسُولَهُ"). (قَالَ نَافِعٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ يَأتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ صَائِمًا وَمُفْطِرًا فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، دَعَا بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا جَلَسَ فَأَكَلَ).
٤ – تاج العروس لمرتضى الزبيدي (ص: ٨٤٦٨).
٥ – تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٤).

وخير من فصّل ابن بطال ﷺ في شرح لفظ المهذب: (وفي تسمية الصلاة صلاة لأهل الاشتقاق ثلاثة أقوال: قيل لما فيها من الدعاء؛ وقيل: لرفع الصلا في الركوع، وهو مغرز الذنب من الفرس[1]؛ وقيل: لما فيها من الخشوع واللين، يقال: صليت العود بالنار: إذا لينته، والمصلى يلين ويخضع، فقد أرجع اشتقاق لفظ الصلاة إلى ثلاثة أصول مرتبة حسب اشتهارها بين اللغويين، والإجماع على أن الدعاء عند العرب كان يسمى صلاة، وشاهده قول الأعشى:

تقُولُ بِنتي وَقَـدْ قَـرَّبْتُ مُـرْتحِلاً   يَاربِّ جنِّبْ أبي الأوْصَابَ وَالْوَجَعَا
عَلَيْكِ مِثْلُ الذِى صَلَّيْتِ فاغْتمِضِى   نَوْمًا فَإنَّ لِجَنبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعَـا

وقوله أيضًا:

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَنِّهَا   وَصلَّى عَلَى دَنّهَا وَارْتسَمْ

ذكر هذا الخليل، وابن قتيبة، وابن الأنباري، والأزهري، وابن دريد، والجوهري، والزمخشري، وابن الأثير، وغيرهم.

والأصل الثاني: الصلا، وهو: واحد الصلوين، وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها، وأول موصل الفخذين من الإنسان، وهما عن يمين العصعص[2]

---

١ - ونقل ابن المبرد معان عدة لذلك: (عرقان من جانب الذنب، وقيل: عظمان ينحنيان في الركوع والسجود، وقال ابن سيدة: "الصلا: وسط الظهر من الإنسان، ومن كل ذي أربع"، وقيل: هو ما انحدر من الوركين، وقيل: الفرجة التي بين الجاعرة والذنب، وقيل: هو ما عن يمين الذنب وشماله) الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي (٢/ ١٥٨).

٢ - هو عجب الذنب، الذي لا يبلى كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال نشوان الحميري: (عَجْبُ الذنب، ويقال: إنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى. وجمعه العصاعص) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٧/ ٤٣٠٢).

وشماله، وقد ذكر ذلك اللغويون بعد الأول؛ فقد نقل أبو عبيد عن الأصمعي: أن أصل ذلك في الخيل، فالسابق والمصلى الثاني الذي يتلوه، قال: وإنما قيل له المصلى؛ لأنه يكون عند صلا الأول، وأكد هذا ابن دريد في قوله: وقال قوم: بل اشتقاق الصلاة: من رفع الصلا في السجود، والمصلى من الخيل: الذي يجيء وجحفلته على صلا السابق، ثم كثر في كلامهم حتى سموا الثاني من كل شيء مصليا. وعلق بأن الأول أعلى)(١)أ.هـ.

وأفاد الزجاج رحمه الله معنى جميلًا، ورجّح أن الصلاة من اللزوم؛ فالمصلي ملازم لصلاته طول عمره، لا يتركها إلا عند فقدان عقله، أو حال صغره، قبل تكليفه، بمعنى أنه مرفوع عنه القلم في الحالين، فضلًا على أن الصلاة ما هي إلا

وفي البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ("مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ" فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟، قَالَ: أَبَيْتُ) (أي لا يعلم رضي الله عنه)" ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءَ الْحَيَاةِ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ وَلَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى , إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا, وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ لَا تَأكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فَإِنَّهُ مِنْهُ خُلِقَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا أُخْرِجَتِ الْأَجْسَادُ، أَرْسَلَ اللهُ الْأَرْوَاحَ، وَكَانَ كُلُّ رُوحٍ أَسْرَعَ إِلَى صَاحِبِهِ مِنَ الطَّرْفِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّوَرِ أُخْرَى , فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟، فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ").

١ - النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب (المقدمة/ ١٧) لابن بطال، وتحقيق د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، مع تصرف يسير.

التزام بشرع الله ﷻ، واتباع أمره، والقيام بحقه، فيقول الزجاج: (وأصل هذا كله عندي من اللزوم، يقال صَلِيَ، وأصْلَى، واصْطَلى، إذَا لَزِم، ومن هذا ما يُصْلى في النار، أي أنه يلزَم)[1]، وأجمل منه ما اختاره الراغب ﵀: (ومعنى صلى الرجل أي أنه أزال عن نفسه بهذه العبادة الصلاء الذي هو نار الله الموقدة)[2].

وأخيرًا فقد أكّد كلام الزجاج الأصفهاني ﵀ في مجموعه حيث قال: (الأَصلُ في الصَّلاة الُّلزومُ، فكأنّ المُصَلِّى لَزِم هذه العِبادةَ لاستِنجاح طَلِبَتهِ من اللّه عزّ وجلّ، وقيل: سُمِّيَت صَلاةً؛ لأنَّها في أكْثر المواضع ثاني الإيمان وتالِيه في الذكر، كقوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة:٣]، **والمُصَلِّى: الذي يتلُو الأَوَّلَ)[3].**

---

١ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٣٢).
٢ - المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٨٥).
٣ - المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للأصفهاني (٢/ ٢٨٨).

الصلاة في كتب الفقهاء

وغير بعيد عن اللغويين أولئك الفقهاء، النجباء، الفضلاء، الذين ملأوا مكتبات أمتنا بخيرهم، وأغنونا بفضل مؤلفاتهم، وحرسوا شرعنا بأقوالهم، واستنباطاتهم، وذخائر ما منّ اللّه به عليهم، فجزاهم اللّه عنا كل خير، وعند التأمل في أقوالهم، والتتبع لمؤلفاتهم نجد أن الصلاة عندهم هي تلك التي تبدأ بتكبيرة الإحرام، وتنتهي بالتسليم، سواء كانت نفلًا أو فرضًا، جماعة أو فرادى، يقول ابن المبرد ﵀ عند تعريفه لها بأنها: (الأفعالُ المعلومةُ مِنْ القِيَام، والقُعُود، والرُّكُوع، والسُّجُود، والقِرَاءَةِ، والذِكْر وغيرِ ذلك)[1]، وهو هنا سمّى بعض أركانها، وفي كتاب التعريفات الفقهية نجد: (الصلاة في اللغة: الدعاءُ، وفي الشريعة، عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائطَ محصورة بصفات معيّنة)[2].

ويكفي هنا أن أنقل ما قاله في القاموس من خلاف للفقهاء بعد أن ذكر لفظ الصلاة: (هذه العبادة لم تنفك شريعة عنها، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع، ولذلك قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [سورة النساء:١٠٣]**، قاله الراغب ﵀: قال شيخنا: وهذه**

١ - الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لابن المبرد(٢/ ١٥٧).
٢ - التعريفات الفقهية للبركتي (ص: ١٢٩).

حقيقة شرعية لا دلالة لكلام العرب عليها إلا من حيث اشتمالها على الدعاء الذى هو أصل معناها، وفي كلام الشهاب ما يقتضي أن الصلاة الشرعية حقيقة معروفة للعرب، وفى المزهر: أنها من الكلمات الإسلامية، وفى الكل نظر، وقال ابن الأثير رحمه الله: سُميت ببعض أجزائها الذى هو الدعاء، وفى المصباح: لاشتمالها على الدعاء، وقال الراغب رحمه الله: سُميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه، قال صاحب المصباح رحمه الله: وهل سبيله النقل حتى تكون الصلاة حقيقة شرعية في هذه الأفعال، مجازًا لغويًا في الدعاء؛ لأن النقل في اللغات كالنسخ في الأحكام، أو يقال استعمال اللفظ في المنقول إليه مجاز راجح، وفى المنقول حقيقة مرجوحة فيه، خلاف بين أهل الأصول.

وقيل الصلاة في اللغة مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة، ومنه: "اللهم صلّ على آل أبى أوفى"[1] أي بارك عليهم أو ارحمهم، وعلى هذا فلا يكون قوله: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [سورة الأحزاب:٥٦]**، مشتركًا بين معنيين، بل مفرد في معنى واحد وهو التعظيم، ونقل المناوي رحمه الله عن الرازي رحمه الله ما نصه: الصلاة عند المعتزلة من الأسماء الشرعية، وعند أصحابنا من المجازات المشهورة لغة من إطلاق اسم الجزء على الكل، فلما كانت مشتملة**

---

١ - يشير للحديث الذي تقدم معنا قريبًا في البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الْأَسْلَمِيِّ - رضي اللّه عنه - قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى اللّه عليه وسلم - إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ". فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى".

على الدعاء أُطلق اسم الدعاء عليها مجاز، قال: فإن كان مراد المعتزلة من كونها اسمًا شرعيًا هذا فهو حق، وإن أراد أن الشرع ارتجل هذه اللفظة فذلك ينافيه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة يوسف:٢]")[١] **أ.هـ.**

ولا بأس أن أذكر أهل فقه الرياضة كما نقل البسام عن الأستاذ طبارة قال: (الصلاة هي رياضة دينية إجبارية لكل مسلم يؤديها خمس مرات، بلا إجهاد، ولا إرهاق، فتكون خير مقوم للبدن، ومنشط لأمعائه، ورياضة صالحة لعضلات جسمه ومفاصله، وإذا تأملنا حركات الصلاة وجدنا شبهًا بينها وبين النظام السويدي في الرياضة، والنظام السويدي لا يزيد عمره عن مائة سنة، في حين أنَّ نظام الصلاة في الإسلام مضى عليه ألف وأربعمائة عام)[٢]، لكن يجب التنبه أن الصلاة نصليها للّه لا للرياضة الأبدان، ولا لكمال الأجسام، ولا يعنينا أمرهم في هذا الشأن.

١ - تاج العروس (ص: ٨٤٦٨).

٢ - توضيح الأحكام من بلوغ المرام للبسام (٦/ ٤٤٨).

الصلاة في كتب أهل السلوك

وأعني بأهل السلوك أطباء القلوب، وجرّاحي الأفئدة، وواصفي الأدوية من أهل التزكية والصفاء والنقاء، وخيار الأمة الفضلاء، أولئك العظماء، النجباء، النبلاء، من نحسبهم أتقياء، أولياء، أخفياء، وفي مقدمتهم العلماء، كما مدحهم رب الأرض والسماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ﴾ [سورة فاطر:٢٨]، **(أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتمّ، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر)**[١].

وأهل السلوك هم من سلكوا طريق المصطفى، وانتهجوا المنهج المرتضى لرب الأرض والسماء، لا أولئك الذين سلكوا سبيل الغواية، وادعوا الهداية، من أصحاب التصوف المذموم، والمبتدع الملوم[٢]: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس:١٠-١١]، **(أي فازت وسعدت نفسٌ زكاها اللّه، أي أصلحها وطهرها من الذنوب، ووفقها للطاعة:** ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، **أي خابت وخسرت نفس أضلها اللّه فأفسدها، وقال الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: معناه قد أفلح**

---

١ – تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٤).

٢ – وراجع كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية الفرقانُ بينَ أولياءِ الرَّحمَنِ وأولياءِ الشَّيْطانِ.

من زكّى نفسه فأصلحها، وحملها على طاعة اللّه عز وجل: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، **أهلكها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس)** [١].

وهذا ابن تيمية رحمه الله يجلي معنى الصلاة عند أهل السلوك، وهو من أعلاهم شأنًا، وأجلهم سلوكًا، وأقومهم طريقًا، فيقول: (هي أعرف المعروف من الأعمال، وهي عمود الإسلام، وأعظم شرائعه، وهي قرينة الشهادتين، وإنما فرضها اللّه ليلة المعراج، وخاطب بها الرسول ﷺ بلا واسطة، لم يبعث بها رسولًا من الملائكة، وهي آخر ما وصى به النبي ﷺ أمته، وهي المخصوصة بالذكر في كتاب اللّه تخصيصًا بعد تعميم كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٠]، **وقوله:** ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]، **وهي المقرونة بالصبر، وبالزكاة، وبالنسك، وبالجهاد في مواضع من كتاب اللّه كقوله تعالى:** ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [سورة البقرة:٤٥]، **وقوله:** ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [سورة البقرة:٤٣]، **وقوله:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٦٢]، **وقوله:** ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [سورة الفتح:٢٩]، **وقوله:** ﴿وَإِذَا كُنتَ

---

١ - تفسير البغوي (٨/ ٤٣٩).

فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ﴾ [سورة النساء:١٠٢]، **إلى قوله:** ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [سورة النساء:١٠٣])[١] **أ.هـ.**

وهذا جمع طيب مبارك يحصر بعض آيات الصلاة في كتاب الله تعالى، مع أن آيات كتاب الله في الصلاة أكثر من هذا، ويكفي أنه جعلها شرط الإسلام: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٥]، **وقال في أخرى مؤكدًا ذلك الشرط:** ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة:١١].

---

١ – كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٨/ ٧٠).

هذا بالنسبة لها في كتاب اللّه، غير أن المعنى الروحي للصلاة عند ابن عطاء اللّه السكندري رحمه الله نراه مختلفًا منه عند غيره حيث قال: (الصلاة محل المناجاة، ومعدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله فكثّر أمدادها)[١].

وكأنه يقول: الصلاة مدخل العبد إلى الرب، وبابٌ لولوج الفقير للغني، فيها يصفّي ذنوبه، وينقّي قلبه وجسده مما أصابه قبلها من ذنوب كما قال طبيب القلوب ﷺ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ مَا تَقُولُونَ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟" قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: "فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا" رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: "إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ"، ويشبه المعنى الذي أشار إليه ابن عطاء اللّه رحمه الله ما راوه الطبراني وصححه الألباني: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ

---

١ – متن الحكم العطائية للعارف باللّه/ أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء اللّه السكندري رحمه اللّه.

تحْتَرِقُونَ تحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتهَا، ثُمَّ تنامُونَ فلَا يُكْتبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تسْتَيْقِظُوا".

ثم يشبّه خيرها ابن عطاء اللّه ﷺ بالميدان العلمي الذي يتناول طالب العلم فيه ما يشاء، ويجلب منه ما أراد، ومع قلتها من جهة العدد فهي عظيمة النفع والمدد، يقول الأزهري الشرنوبي ﷺ في شرحه لتلك الحكمة العطائية: (يعني: أن الصلاة هي محل مناجاة العبد لربه بتلاوة كلامه والثناء عليه، ومعدن المصافاة معه بتوجهه بكليته إليه، وبقدر إقبال العبد يكون إقبال الرب، وثمرتها إذا كانت على الوجه الأكمل أنها تتسع فيها ميادين الأسرار، أي تتسع فيها القلوب الشبيهة بالميادين للفرسان، بمعنى أنها تنشرح بتوارد الأسرار أي العلوم والمعارف التي تتسابق إليها كتسابق الفرسان، وهذا يتسبب عن كونها تشرق أي تطلع فيها شوراق الأنوار أي الأنوار الشبيهة بالكواكب الشارقة؛ فإن الأنوار إذا أشرقت في القلوب انشرحت لما يرد عليها من العلوم والمعارف.

وهذه العبارات الست التي هي من فوائد الصلاة معانيها متقاربة أتى بها لتكون كالدليل لما قاله من أن المأمور به إنما هو إقامة الصلاة لا وجودها؛ فإن الصلاة المعتبرة هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين؛ فإن اللّه تعالى يقول في كتابه المكنون : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [سورة الماعون:٤-٥]، ثم قال: علم وجود الضعف منك -أيها العبد- فقلل أعدادها، بجعل الخمسين خمسة، وعلم احتياجك إلى فضله وكرمه فكثّر

أمدادها - بفتح الهمزة جمع مدد - أي ثوابها وأسرارها فجعلها خمساً في الفعل، وخمسين في الأجر، فاحمده على ما أنعم، واشكره على ما تفضل وتكرم)(١) أ.هـ.

زاد ابن عطاء الله السكندري رحمه الله في موضع آخر حكمة ودرة من درره التي قيل عنها: لو كان شيئًا يُقرأ في الصلاة غير القرآن لكانت الحكم العطائية، فيقول: (الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب، واستفتاح لباب الغيوب).

وأقول: يشير ابن عطاء الله رحمه الله إلى أن الصلاة مطهرة للعبد من ذنوبه، مكفّرة عنه سيئاته، جالبة له البركات، ممحية عنه السيئات، رافعة له درجات ودرجات، وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ "، يقول الشرنوبي رحمه الله معلقًا على تلك الحكمة العطائية: (يعني: أن الصلاة التامة المستوفية للشروط والآداب، المشتملة على الخشوع والخضوع للعزيز الوهاب، طهرة أي مطهرة للقلوب من الذنوب الشبيهة بالأدناس قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]، وفي الحديث: "إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب يمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات أترون ذلك يبقي من

---

١ - شرح الحكم العطائية للشرنوبي (ص: ٩٦).

درنه شيئاً؟"(١) وقوله: واستفتاح أي طلب فتح لباب الغيوب عطف مسبب على سبب؛ لأن القلوب إذا طهرت وتزكت رُفعت عنها الحُجب والأستار، فترى ما كان غائبًا عنها من المعارف والأسرار)(٢).

ويقول الحارثي الشهير بأبي طالب المكي رحمه الله في كتابه: "قوت القلوب في معاملة المحبوب" بعد أن ذكر قول الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢]: **(فمدحهم بالصلاة كما ذكّرهم بالإيمان، ثم مدح صلاتهم بالخشوع كما افتتح بالصلاة أوصافهم، ثم قال في**

١ - سبق قريبًا رواه البخاري ومسلم، وغيرهما، وتمامه كما جمع رواياته صاحب الجامع الصحيح: عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَجُلَانِ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَفْضَلَ مِنْ الْآخَرِ فَاسْتُشْهِدَ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُهُمَا ثُمَّ عُمِّرَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ قَالَ طَلْحَةُ: فَأُرِيتُ الْجَنَّةَ فِي الْمَنَامِ، فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ فَعَجِبُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ فَقَالَ: "مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟ ". فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟ "قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَ وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟" قَالُوا: بَلَى؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" وفي رواية: "مَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلَاتُهُ؟ إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ مَا تَقُولُونَ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟" قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ:"فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا".

٢ - شرح الحكم العطائية للشرنوبي (ص: ٩٦).

آخرها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٩]، **فختم بها نعوتهم، وقال في نعت عباده المصلّين الذين استثناهم من الجزوعين من المصائب والفقر، المانعين للمال والخير:** ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [سورة المعارج:٢٢-٢٣]، **ثم نسق النعوت وقال في آخرها:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [سورة المعارج:٣٤]**، فلولا أنها أحبّ الأعمال إليه ما جعلها مفتاح صفات أحبائه وختامها، ولما وصفهم بالدوام والمحافظة عليها، ومدحهم بالخشوع فيها، والخشوع هو انكسار القلب، وإخباته، وتواضعه، وذلته، ثم لين الجانب، وكفّ الجوارح، وحسن سمت، وإقبال، والمداومة والمواظبة عليها، وسكون القلب والجوارح فيها، والمحافظة هي حضور القلب وإصغاؤه، وصفاء الفهم وإفراده من مراعاة الأوقات وإكمال طهارة الأدوات، ثم قال تعالى في عاقبة المصلّين:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٠-١١]، **فجعل أول عطائهم الفلاح وهو الظفر والبقاء، وآخره الفردوس وهو خير المستقر والمأوى، وقال في أضدادهم: من أهل النار:** ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [سورة المدثر: ٤٢-٤٣]، **وقال موبخاً لآخر منهم:** ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [سورة القيامة:٣١]، **ونهى رسول اللّه ﷺ عن طاعة من نهاه عن الصلاة، ثم أمره بها وأخبره أنّ فيها القرب والزلفى في قوله تعالى:** ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [سورة العلق: ٩-١٠]، **ثم قال:** ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [سورة العلق:١٩]؛

فالمصلّون بقية من خلقه، وورثة جنته من عباده، وأهل النجاة من دار غضبه، جعلنا اللّه منهم بعطفه ورحمته)[١].

---

١ - قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ١٦٦).

فروق لغوية وشرعية

ولا يفوتني في آخر هذه التعاريف بالصلاة أن أذكر مسألة يُحتاج إليها كثيرًا، وأُسأل عنها مرارًا، وهي: معنى الصلاة من الله، ومن الملائكة، ومن المؤمنين، ومن غير هؤلاء.

فعند الجمهور أن الصلاة من الله -تبارك وتعالى- بمعنى رحمته لمن صلى عليهم، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء، هذا في قول الجمهور[1]، زاد كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ومن الطّير والهوام التسبيح، وزاد الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: صلاةُ الناس على الميت إِنما معناها الدعَاءُ والثناء، وزاد ابن المبرد: ومن الآدمي: التَّضَرعُ والدعاءُ.

غير أن ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد رد على قولهم إن الصلاة من الله بمعنى الرحمة فقال: (قولهم والصلاة من الله بمعنى الرحمة باطل من ثلاثة أوجه:

---

١ - انظر مثلًا: النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب (١/ ١٠٣)، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٠٨١)، والتعريفات الفقهية (ص: ١٢٩)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٣١)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لابن المبرد (٢/ ١١)، تاج العروس (ص: ٨٤٦٨).

أحدها: أن الله تعالى غاير بينهما في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [سورة البقرة:١٥٧].

الثاني: أن سؤال الرحمة شُرع لكل مسلم، والصلاة تختص بالنبي ﷺ، وهي حق له، ولآله ﷺ، ولهذا منع كثير من العلماء من الصلاة على معين غيره، ولم يمنع أحد من الترحم على معين.

الثالث: أن رحمة الله عامة وسعت كل شيء، وصلاته خاصة بخواص عباده)[1].

وكذلك استشكل رحمه الله مسألة أن الصلاة من العباد بمعنى الدعاء فقال: (وقولهم الصلاة من العباد بمعنى الدعاء مشكل من وجوه:

أحدها: أن الدعاء يكون بالخير والشر، والصلاة لا تكون إلا في الخير.

الثاني: أنّ دعوتُ تعدى باللام، وصليت لا تعدى إلا بعلى، ودعا المعدّى بعلى ليس بمعنى صلى، وهذا يدل على أن الصلاة ليست بمعنى الدعاء.

الثالث: أن فعل الدعاء يقتضي مدعوًا، ومدعوًا له، تقول: دعوت الله لك بخير، وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك، لا تقول: صليت الله عليك، ولا لك، فدل على أنه ليس بمعناه، فأي تباين أظهر من هذا، ولكن التقليد يعمي عن إدراك الحقائق، فإياك والإخلاد إلى أرضه اشتقاق الصلاة)[2].

---

١ - بدائع الفوائد (١/ ٣٠-٢٩).
٢ - المرجع السابق.

الفصل الثاني: الصلاة تعظيمًا وأهمية

كيف لا يكون للصلاة عظمة، وأهمية، وفضل ويكفيها أنها الركن الثاني من أركان الإسلام، بل الركن الوحيد الذي كفّر ﷺ من تركها، وجعل أداءها من عدمه الفارق الأهم، والدليل الأعظم بين المسلم وغيره: "الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ" كما عند الترمذي والنسائي، بل عند مسلم وبعض ألفاظه لابن ماجه وأحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَلَاةِ، فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ"، وفي رواية: "فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ"، بل هي في دين كل الأنبياء، وفرضها ربنا جل جلاله في السماء، وما سترى فيما سيأتي فأدع ذلك لك فحيا هلا:

ماذا تعني الصلاة في نظرك

بعد هذا الكتاب نريد أن نصلّي كما يجب، ونقوم بين يدي ربنا ﷻ كما يليق، نشتاق للسجود، ونطمئن في الركوع، ونخضع للّه ﷻ في كل ركن، ونعظمه في كل تحرك، فهل أنت مستعد لذلك، وهل تجهزت لتصلِّ، والعبرة بصدقك، ومدى عزمك، ومقدار همتك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [سورة الرعد: ١١][(١)].

١ - ونقل ابن كثير -رحمه اللّه- عن ابن أبي حاتم بسنده إلى: عن إبراهيم قال: أوحى اللّه إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة اللّه فيتحولون منها إلى معصية اللّه إلا تحول لهم مما يحبون إلى ما يكرهون، ثم قال: إن مصداق ذلك في كتاب اللّه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾)، ثم قال ابن كثير -رحمه اللّه- معلقًا مع حذفي للسند الذي أورده عن ابن أبي شيبة: (وقد ورد هذا في حديث مرفوع، فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه "صفة العرش": عن عمير بن عبد اللّه قال: خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة، قال: كنت إذا سكتُّ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ابتدأني، وإذا سألته عن الخبر أنبأني، وإنه حدثني عن ربه، عز وجل، قال: "قال الرب: وعزتي وجلالي، وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهتُ من معصيتي، ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي") انظر تفسير ابن كثير مع تصرف يسير(٤/ ٤٤٠).

المجاهدة مفتاح الوصول

ثم على مقدار اجتهادك، ومجاهدتك، وسعيك، ومدى تضحيتك، وعملك يكون وصولك، وسهولة انطلاقك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٩]، **فالمجاهدة هنا أمر حتمي، وشيء ضروري لمن أراد الخشوع في صلاته، والانتفاع بهذه الفريضة العظيمة، ونيل الفلاح الموعود به في كتاب اللّه لمن خشع فيها:** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١].

قال ابن كثير ﷺ نقلًا عن ابن أبي حاتم ﷺ بسنده إلى التابعي عباس الهمداني ﷺ في تفسير الآية الكريمة السابقة: (الذين يعملون بما يعلمون يهديهم لما لا يعلمون)[١]، وفي تفسير السعدي ﷺ: (﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **بالعون والنصر والهداية، دل هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أُمر به أعانه اللّه ويسر له أسباب الهداية)[٢].**

---

١ - تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٦).
٢ - تفسير السعدي (ص: ٦٣٥).

وذكر البغوي ﷺ عن بعض السلف قولهم: (قال الحسن ﷺ: أفضل الجهاد مخالفة الهوى، وروي عن ابن عباس ﷺ: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا، وقيل: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، والطريق المستقيمة هي التي يوصل بها إلى رضا الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم)[1]**.**

ولنا عبرة، وعظة، وفيها انطلاقة، وتبعث على تصميم وإرادة، إنها قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [سورة محمد:١٧]، **يقول الألوسي: (﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾، إلى طريق الحق: ﴿زَادَهُمْ﴾، أي الله ﷻ: ﴿هُدًى﴾ بالتوفيق والإلهام)**[2]**، ويقول صاحب الظلال ﷺ: (فالذين اهتدوا بدأوا هم بالاهتداء، فكافأهم الله بزيادة الهدى، وكافأهم بما هو أعمق وأكمل: ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾)**[3]**، فشرط إتيان الهداية إليك أن تأتيها قبل ذلك، وشرط زيادتها لديك طلبك لها أنت بعملك، واجتهادك، وجهادك.**

ثم هناك نموذج عملي نردده كل جمعة، إنه نموذج أهل الكهف الذي طلبوا الهداية، واجتهدوا في تحصيلها، وفروا من قومهم؛ محافظة على دينهم،

---

١ - تفسير البغوي (٦/ ٢٥٦).
٢ - تفسير الألوسي (١٩/ ١٢١).
٣ - في ظلال القرآن (٦/ ٤٤٨).

فكانت قصتهم خالدة تالدة إلى يوم القيامة: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [سورة الكهف:١٣]، **يقول القرطبي** رحمه الله**: (أي يسرناهم للعمل الصالح، من الانقطاع إلى اللّه تعالى، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا، وهذه زيادة على الإيمان)**[١]**.**

وفي سورة مريم عليها السلام **يقول الحق تبارك وتعالى:** ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ﴾ [سورة مريم:٧٦]، **وعند الطبري** رحمه الله **شارحًا للآية الكريمة: (يقول تعالى ذكره: ويزيد اللّه من سلك قصد المحجة، واهتدى لسبيل الرشد، فآمن بربه، وصدّق بآياته، فعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه عنه هُدي بما يتجدّد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه، ويقرّ بلزوم فرضها إياه، ويعمل بها، فذلك زيادة من اللّه في اهتدائه بآياته هدى على هداه، وذلك نظير قوله:** ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [سورة التوبة:١٢٤])[٢]**.**

فالبداية منك، والزيادة من اللّه، المنطلق منك والدافع بعد ذلك هو اللّه سبحانه وتعالى**، والمفتاح بيدك والمسهّل هو اللّه، فإن رأى** جل جلاله **صدقك يسّر لك، وثبّتك،**

١ – تفسير القرطبي (١٠/ ٣٦٥).
٢ – تفسير الطبري (١٨/ ٢٤٤).

وهداك، وألهمك، فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ ﷺ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ، غَنِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبْيًا ، فَقَسَمَ، وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالَ: "قَسَمْتُهُ لَكَ"، فَقَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى بِسَهْمٍ هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ- فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ"، فَلَبِثُوا قَلِيلًا، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَهُوَ هُوَ؟"، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ"، ثُمَّ كَفَّنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُبَّتِهِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: "اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ، خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ")[1].

وليس بمستحيل أن تكون مثلهم، وأن تنال ما نالوا، وتصل لما وصلوا، وإنما هم رجال ملكوا الإيمان، واجتهدوا في رضا الرحمن فلم يخب الله سعيهم، ولم ينقصهم من أجرهم، ولم يلِتهم من عملهم، وقديمًا قيل: كم ترك الأول للآخر، ألا فبادر بادر!.

---

١ – رواه النسائي وصحّحه الألباني.

قال ابن القيم ﵀: (قال بعض السلف: إني أدخل في الصلاة فأحمل هم خروجي منها، ويضيق صدري إذا فرغت أني خارج منها، ولهذا قال النبي ﷺ: "جعلت قرة عيني في الصلاة"[١]، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه، ولا يخرج منه؛ فإن قرة عين العبد نعيمه، وطيب حياته به، وقال بعض السلف: إني لأفرح بالليل حين يقبل؛ لما يلتذ به عيشي، وتقر به عيني من مناجاة من أحب، وخلوتي بخدمته، والتذلل بين يديه، وأغتم للفجر إذا طلع؛ لما أشتغل به بالنهار عن ذلك، فلا شيء ألذ للمحب من خدمة محبوبه وطاعته، وقال بعضهم: تعذبت بالصلاة عشرين سنة، ثم تنعّمت بها عشرين سنة، وهذه اللذة والتنعم بالخدمة إنما تحصل بالمصابرة والتعب أولًا، فإذا صبر عليه وصدق في صبره أفضى به الى هذه اللذة، قال أبو زيد ﵀: سقت نفسي إلى الله وهي تبكي، فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك، ولا يزال السالك عرضة للآفات والفتور والانتكاس حتى يصل إلى هذه الحالة، فحينئذ يصير نعيمه في سيره، ولذته في اجتهاده، وعذابه في فتوره، ووقوفه، فترى أشد الأشياء عليه ضياع شيء من وقته، ووقوفه عن سيره، ولا سبيل إلى هذا إلا بالحب المزعج)[٢].

---

١ - رواه النسائي وأحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " وصححه الألباني.

٢ - طريق الهجرتين (ص: ٤٧٤).

وهي كلمات نافعات، وأوصاف مجرّبات لقوم عرفوا فاغترفوا، وسعوا فوصلوا، وجرّبوا فنالوا، ودعوا فلُبوا، وما بيننا وبينهم حتى نصل لتلك الدرجة، ونبلغ هذه المرحلة، إلا باجتهاد مضني، وعراك مجدي، وقطع للعلائق، واتصال بالخالق: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الروم:٤-٥]، **و:** ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق:٣٧].

قال الغزالي رحمه الله: (واعلم أنك بنفس المجاهدة تهذّب نفسك حتى تصير ملكًا روحانيًا، وبمتابعة الغفلة والشهوات تصير شيطانًا رجيمًا، فجاهد النفس الأمّارة بالسوء تمحَ صفات آفاتها حتى تصير لوامة، ثم انقل اللوامة إلى مقام المطمئنة، كما ينقل السلطان فراشه إلى مقام الكاتب، ثم إلى مقام الوزير، ثم يتصرف مع نصحه في ملكه، فينظر إلى حسناته، فيكون عنده سيئات هذا مقام حسنات سابقة كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين)[١].

وصدق رحمه الله فيصير الإنسان بمجاهدته لنفسه وهواه ملكًا حقًا، لا يعبد هاتفًا، ولا صديقًا، ولا امرأة، ولا دنيا... بل يصير حرًا طليقًا لربه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الفرقان:٤٣]، **وقال:**

١ - سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي (ص: ٣٦).

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٣].

يقول ابن القيم رحمه الله: (في النفس ثلاثة دواع متجاذبة: داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان: من الكبر، والحسد، والعلو، والبغي، والشر، والأذى، والفساد، والغش، وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان، وهو داعي الشهوة، وداع يدعوها إلى أخلاق الملك: من الإحسان، والنصح، والبر، والعلم، والطاعة، كما قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولًا بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلّب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم)(١).

ونختم بعودة للغزالي رحمه الله وفي موضع آخر من كتاب آخر له يقول: (الدين هو المجاهدة، والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [سورة العنكبوت:٦٩]**، ومن لم يجتهد حق اجتهاده لم يجز أن يتحدث معه في معرفة حقيقة الروح، وأول أس المجاهدة: أن تعرف عسكر القلب؛ لأن الإنسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد)**(٢).

---

١ - مدارج السالكين بتصرف (٢/ ٣٥١).
٢ - كيمياء السعادة (ص: ٢).

عظمة الصلاة في شرع الله

وهنا لا بد أن نعرف عظمة الصلاة؛ كي نخشع فيها؛ لأن من لا يعرفها لن يقدرها حق قدرها، ولن يعطيها منزلتها، ولن يؤديها كما أمره ربه أن تؤدّى؛ لينال الفضائل الواردة في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ لمن حافظ عليها، وخشع فيها، واستقام قلبه عند أدائها، وبالتالي فهذا أول علاج، وشرطه الأساس، وعموده القويم لمن أراد الفلاح بخشوعه في الصلاة.

والحقيقة المرة أنه لو عرف الخلق ربهم تبارك وتعالى ما عصوه، ولم يتجرأوا على مخالفته، وعدم الإذعان لأمره، والانزجار لزواجره: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [سورة الأنعام: ٩١]، قال الطبري رحمه الله: (وما أجلُّوا الله حق إجلاله، ولا عظّموه حق تعظيمه)[١]، وفي مفتاح دار السعادة عن بشر الحافي رحمه الله قال: (لو فكّر الناس في عظمة الله ما عصوه)[٢].

وأول طريق لتعظيمها تعظيم ما شرعه سبحانه وتعالى لنا، ومعرفة حقه علينا، وأن كل عبادة منا ليست بشيء أمام تفضّله علينا، مقابل ما نقصر في حقه جل وعلا، ونعصيه، ونردّ ما أنعم به علينا بمعصيتنا له، وإن كانت معاصينا جهالة منا؛ وقطعًا لم يُعصَ الله إلا بجهل كما ذكر ربنا جل وعلا ذلك في كتابه

١ - تفسير الطبري (١١/ ٥٢١).
٢ - مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٠).

الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء:١٧]، **وأكّد ذلك بقوله:** ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:٥٤]، **وعند ابن كثير** رحمه الله **في تفسيره وهو ينقل عن السلف معنى الجهالة السابقة في الآية القرآنية: (قال مجاهد وغير واحد: كل من عصى اللّه خطأ أو عَمدًا فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب، وقال قتادة عن أبي العالية: أنه كان يحدث: أن أصحاب رسول اللّه ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة، رواه ابن جرير، وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول اللّه ﷺ فرأوا أن كل شيء عُصي به** جل جلاله **فهو جهالة عمدًا كان أو غيره، وقال ابن جُرَيْج: أخبرني عبد اللّه بن كثير، عن مجاهد قال: كل عامل بمعصية اللّه فهو جاهل حين عملها)**[1]**، وصدقوا؛ إذ لا يمكن لعاقل أن يعصي خالقه، ورازقه، ومن حباه بنعمه، وأجزل له عطاياه، وحرسه من نقمه، ولهذا يقول الكفّار أصحاب النار، يوم يصلونها بأمر الجبار:** ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك:١٠]، **فنفوا عن أنفسهم العقل في دنياهم؛ إذ لو عقلوا عذاب ربهم ما عصوه، وقد أكّد ربنا المسألة ثانية فقال:**

---

١ – تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٥).

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج:٧٤]، **وثالثة:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [سورة الزمر:٦٧]، **وفي التفسير الميسّر: (وما عظَّم هؤلاء المشركون اللّهَ حق تعظيمه: إذ عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوَّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، تنزّه وتعاظم ﷻ عما يشرك به هؤلاء المشركون)**(١).

ومثله الخشوع للّه تبارك وتعالى فلن يخشع قلبُ من لم يعرفه، ومن لم يذق حلاوة الإيمان، ومتعة المناجاة، وسعادة الأنس باللّه، والفناء له، قال ابن رجب رحمه الله: (وأصل الخشوع الحاصل في القلب إنما هو من معرفة اللّه، ومعرفة عظمته، وجلاله، وكماله؛ فمن كان باللّه أعرف كان له أخشع، وتتفاوت القلوب في الخشوع بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت، وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع)(٢).

ومع أن البشر لا يمكن أن يقدّروا خالقهم، ولن يستطيعوا مجازاته فيما أعطاهم لكن هم وربهم تبارك وتعالى في أمر عجيب كما في رواية البيهقي

١ - التفسير الميسر (٨/ ٢٨٥).
٢ - الذل والانكسار للعزيز الجبار لابن رجب الحنبلي ص٤٦.

والحاكم: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي"، وضعفه الألباني رحمه الله، يقول ابن القيم رحمه الله في الشفاء: (ومعلوم أن ما يطيع عليه البشر لا يفي بذلك، وما يستحقه الرب تعالى لذاته، وأنه أهل أن يعبد أعظم مما يستحقه لإحسانه؛ فهو المستحق لنهاية العبادة والخضوع والذل لذاته ولإحسانه وإنعامه، وفي بعض الآثار: لو لم أخلق جنة ولا نارًا لكنت أهلًا أن أُعبد، ولهذا يقول أعْبد خلقه له يوم القيامة وهو الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك[1]، فمن كرمه وجوده ورحمته ﷻ أن رضي من عباده بدون اليسير مما ينبغي أن يُعبد به، ويستحقه لذاته وإحسانه، فلا نسبة للواقع منهم إلى ما يستحقه بوجه من الوجوه فلا يسعهم إلا عفوه وتجاوزه)[2].

وهذا ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر يقعّد المسألة، ويؤصلها، ويضع لها قانونًا محكمًا فيقول: (إذا تم علم الإنسان لم ير لنفسه عملاً، وإنما يرى إنعام الموفق لذلك العمل، ويجب على العاقل ألا يرى لنفسه عملاً، أو يعجب به،

---

١ - عند الحاكم وحسنه الألباني: عَنْ سَلْمَانَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوُسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ".

٢ - شفاء العليل (ص: ١١٩).

وذلك بأشياء: منها أنه ُوفق لذلك العمل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [سورة الحجرات:٧]، **ومنها أنه إذا قيس بالنعم لم يفِ بمعشار عشرها، ومنها أنه إذ لوحظت عظمة المخدوم احتقر كل علم وتعبد، هذا إذا سلم من شائبة، وخلُص من غفلة، فأما والغفلات تحيط به، فينبغي أن يغلّب الحذر من رده، ويخاف العتاب على التقصير فيه، فيشتغل عن النظر إليه)**(١).

وأخيرًا أختم مقدمة تعظيم الصلاة بتعظيم من شرعها بكلام ابن القيم رحمه الله حيث قال: (فاللّه سبحانه يُعبد، ويحمد، ويُحب؛ لأنه أهل لذلك، ومستحقه، بل ما يستحقه سبحانه من عباده أمر لا تناله قدرتهم، ولا إرادتهم، ولا تتصوره عقولهم، ولا يمكن أحد من خلقه قط أن يعبده حق عبادته، ولا يوفيه حقه من المحبة والحمد، ولهذا قال أفضل خلقه، وأكملهم وأعرفهم به، وأحبهم إليه، وأطوعهم له: "لا أحصي ثناء عليك"(٢)**، وأخبر أن عمله ﷺ لا**

---

١ - صيد الخاطر (ص: ١٢٨).

٢ - رواه مسلم والترمذي والنسائي: عَنْ عَائِشَةَ - رضي اللّه عنها - قَالَتْ: (فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم - ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ الْفِرَاشِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِه، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَعَلْتُ أَطْلُبُهُ بِيَدِي، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي الْمَسْجِدِ يَقُولُ: "سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ رَبِّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ". فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لَفِي شَأْنٍ وَإِنَّكَ لَفِي آخَرَ").

يستقل بالنجاة فقال: "لن ينجى أحدًا منكم عمله"، قالوا: ولا أنت يا رسول اللّه؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّه برحمة منه وفضل"[١]، عليه صلوات اللّه وسلامه عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق، وفي الحديث المرفوع المشهور[٢]: "أن من الملائكة من هو ساجد للّه لا يرفع رأسه منذ خُلق، ومنهم راكع لا يرفع رأسه من الركوع منذ خُلق إلى يوم القيامة، وأنهم يقولون يوم القيامة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"، ولما كانت عبادته تعالى تابعة لمحبته وإجلاله وكانت المحبة نوعين: محبة تنشأ عن الإنعام والإحسان، فتوجب شكرًا، وعبودية بحسب كمالها ونقصانها، ومحبة تنشأ عن جمال المحبوب وكماله، فتوجب عبودية وطاعة أكمل من الأولى، كان الباعث على الطاعة والعبودية لا يخرج عن هذين النوعين)[٣].

---

١ – رواه البخاري ومسلم وأحمد: عَنْ عَائِشَةَ – رضي اللّه عنها – قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ – صلى اللّه عليه وسلم –: (" قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ". وفي رواية: "مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟، قَالَ: " وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِمَغْفِرَةٍ مِنْهُ وَرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ –وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأسِهِ– "فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا").

٢ – عند الحاكم وحسنه الألباني –وتقدم قريبًا–: عَنْ سَلْمَانَ – رضي اللّه عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ – صلى اللّه عليه وسلم –: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوُسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ".

٣ – مفتاح دار السعادة (٢/ ٨٩).

صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي

ويكفي من عظمتها، وما ينبغي للمسلم أن يتذكره دائمًا، ويفخر به أبدًا: أن كل حركة وسكنة فيها نتلقاها بالسلسلة المتصلة لرسول اللّه ﷺ، فنصلي كصلاته تمامًا حركة، وقولًا، وعملًا، أما الكتب السابقة فلا يوجد فيها أي نص عن الصلاة وكيفيتها، وخذ مثلًا التوراة والإنجيل؛ فليس فيهما أي نص عن كيفية الصلاة، أو كيف صلّى نبي اللّه موسى، أو عيسى عليهما السلام، وإنما كل ديانة ومذهب من اليهودية والنصرانية يتخذ صلاة حسب ما قال القساوسة(١)، أما نحن فرأس الدليل قول الحبيب ﷺ: عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي " رواه البخاري.

---

١ - بتصرف من: إعادة اكتشاف الصلاة ص٣٦-٤٠.

فوائد الصلاة

وإن مما يزيد المؤمن لربه تعظيمًا، وللصلاة حبًا، ورغبة، وعزيمة، وحرصًا معرفة فوائدها، والتفقه في منافعها، والتزود بمعلومات عن مناقبها، وما يجني لنفسه منها، وما يحوزه من ثمراتها، ويتمتع في رياضها، قال ابن القيم رحمه الله: (والصلاة مجلبةٌ للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوّية للقلب، مبيِّضة للوجه، مُفْرِحةٌ للنفس، مُذهبة للكسل، منشِّطةٌ للجوارح، ممدَّة للقُوَى، شارحِة للصَّدر، مغذِّية للروح، مُنوِّرة للقلب، حافِظةٌ للنعمة، دافعة للنقمة، جالِبة للبركة، مُبعِدة من الشيطان، مُقرِّبة من الرحمن.

وبالجملة.. فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب، وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتلي رجلان بعاهةٍ أو داءٍ أو مِحنةٍ أو بَليةٍ إلا كان حظُّ المُصَلِّي منهما أقلَّ، وعاقبته أسلم.

وللصلاة تأثيرٌ عجيب في دفع شُرور الدنيا، ولا سِيَّما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهراً وباطناً، فما استُدْفِعَتْ شرورُ الدُّنيا والآخرة، ولا استُجْلِبَت مصالِحُهُمَا بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك أنَّ الصلاة صِلةٌ باللّهِ عَزَّ وجَلَّ، وعلى قدر صِلَةِ العبد بربه عَزَّ وجَلَّ تفتح عليه من الخيرات أبوابَها، وتقطعُ عنه من الشرور أسبابَها، وتفيضُ عليه موادَ التوفيق مِن ربه عَزَّ وجَلَّ، والعافية والصحة،

والغنيمة والغِنى، والراحة والنعيم، والأفراح والمسرَّات، كلها محضرةٌ لديه، ومسارِعةٌ إليه)[١].

ويؤكد كلام ابن القيم رحمه الله **هذا ابن رجب الحنبلي** رحمه الله **في فتح الباري شرحه الخاص لصحيح البخاري** رحمه الله **فقال: (الصلاة هي قوت قلوب المؤمنين وغذاؤها بما اشتملت عليه من ذكر اللّه، ومناجاته، وقربه، فمن أتم صلاته فقد استوفى غذاء قلبه وروحه، فما دام على ذلك كمُلت قوته، ودامت صحته وعافيته، ومن لم يتم صلاته فلم يستوف قلبه وروحه قوتها وغذاءها، فجاع قلبه وضعُف، وربما مرض أو مات؛ لفقد غذائه، كما يمرض الجسد ويسقم إذا لم يكمل تناول غذائه وقوته الملائم له)**[٢].

وتكفيه من فوائدها أنها تخفف عليه أعظم، وأشد، وأخوف موقف للعبد، إنه موقف العبد بين يدي الرب: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩]، **(للعبد بين يدي اللّه موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف قال تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [سورة الإنسان:٢٦-٢٧])[٣].

---

١ – زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٣٢).
٢ – فتح الباري ـ لابن رجب (٥/ ٥١).
٣ – الفوائد (ص: ٢٠٠).

الصلاة في أنابيب الاختبار!

هذا بالنسبة لعلماء الشريعة، وما ذكروا من فوائد للصلاة بديعة، ومنافع عميقة، لكن ماذا عن علماء الطب، بل ماذا عن التجارب العملية للصلاة، بل أعظم من هذا ماذا لو جربها غير المسلمين، بصلاة غير المسلمين، فكيف بالمسلمين، وبالصلاة الصحيحة القطعية من الوحي الأمين: قال: د. سامر سقا أميني[١]: (اتفق الباحثون أن الصلاة لها تأثيرات إيجابية على الصحة، وأن هذه التأثيرات قابلة للقياس نسبيًا، وإن كنا لا نعرف تماما آليات التأثير.

وقد أكدت الدراسات المختلفة هذه العلاقة الوثيقة بين الالتزام العملي الديني والصحة، مما دعا إلى إطلاق اسم: EPIDEMIOLOGIE DE LARELIGION على الفرع من الطب الذي يدرس العلاقة بين الدين والصحة، وتخوض الأبحاث الغريبة في محاولة وضع عدة تعاريف لمصطلحات معنوية: الصلاة، الروحانية، التدين، التأمل.

ويجب أن نعلم أن الدراسات المجربة في الغرب أجريت على عدة طوائف وأديان، وبالتالي فإن أمثال تلك التعاريف ليست واضحة ذلك الوضوح الذي نتصوره نحن في ديننا.

---

١ - د. سامر سقا أميني أخصائي في أمراض السمع والنطق ssaka@scs-net.Org

وقد اتخذ التدين هو الأساس في الدراسات، وعُرف أنه الالتزام بالجانبين الاعتقادي والعملي لدين محدد، ومعظم الأبحاث تدرس العلاقة بين الصحة والالتزام العملي الديني (عدد مرات الصلاة، المشاركة في الشعائر العامة...)؛ لأن هذه الناحية من الدين هي أكثر قابلية للقياس من غيرها من النشاطات الروحية، والدراسات المخبرية تحتاج إلى قِيم تقبل القياس.

وقد تبين في دراسة إحصائية أمريكية أن:

٨٢٪ من الناس يعتقدون بالمزايا العلاجية للصلاة.

٧٣٪ من الناس يعتقدون أن الصلاة من أجل الآخرين (الدعاء) يمكن أن تملك مفعولا شافيا.

٦٤٪ من الناس يعتقدون أن الأطباء يجب أن يصلُوا من أجل المرضى الذين يطلبون منهم الدعاء.

٤٥٪ من الناس يلجئون إلى الصلاة عند مواجهة صعوبات صحية وذلك في سنة ٢٠٠٢م مقارنة مع ٣٥٪ سنة ١٩٩٧م، ومع ٢٥٪ سنة ١٩٩١م.

٤٥٪ من الناس يقولون إن الدين يؤثر في قرارهم الطبي في الأمراض الخطيرة.

٤٩٪ من الناس يرون ضرورة أن يناقش الأطباء المعتقدات الدينية مع مرضاهم خاصة المصابين منهم بأمراض خطرة.

ولنذكر بعض الدراسات:

١ - دراسة الدكتورLARRY DOSSEY: وهو من أشهر الباحثين في هذا الموضوع، وقام بدراسته على أربعة آلاف شخص خلال فترة ست سنوات، وكانت

النتائج: إن التدين له تأثير ممتاز على الصحة بشكل عام، وعلى أمراض معينة بشكل خاص (الأمراض القلبية، ارتفاع التوتر الشرياني، السرطانات، الأمراض الهضمية...)

٢- دراسة HARRIS: على ٩٩٠ مريضًا تم قبولهم في وحدة العناية الاكليلية في أحد المشافي الأمريكية، وقد طلب إلى مجموعة من الناس أن يصلوا من أجل نصف هؤلاء المرضى كل يوم خلال أربعة أسابيع وذلك ضمن الشرطين الآتيين: الناس الذين يقومون بالدعاء والصلاة لا يعرفون المرضى الذين يدعون لهم، وقد أعطوا فقط اسمهم الأول، والمرضى لا يعرفون إن كان يدعى لهم أم لا، وأظهرت الدراسة أن القسم من المرضى الذي حصل على الدعاء كانت الاختلاطات التالية للعمل الجراحي لديهم أقل بـ ١٠٪ من القسم الآخر الذي لم يحصل على نصيب من الدعاء والصلاة.

٣- دراسة أخرى: أجريت على٣٩٣ مريضًا في العناية المشددة وفي ظروف مماثلة لدراسة HARRIS وتبين بالنتيجة أن المرضى الذين حصلوا على الدعاء بالغيب احتاجوا إلى دعم تنفسي، وصادات "مضادات حيوية"، ومدرات بنسبة أقل من الباقين، وكذلك تعرضوا إلى نسبة أقل من الاختلاطات.

٤- دراسة في مجلة PSYCHOMATIC MEDECIN: أجريت الدراسة على ٧٨ مريضًا أسود البشرة، و٧٧مريضًا أبيض البشرة، أعمارهم تتراوح بين ٢٥ إلى ٤٥ سنة، وسبب اعتماد لون البشرة للاعتقاد أن الامريكيين السود يعطون أهمية أكثر للإيمان باللّه وممارسة الصلاة من البيض، خضع المرضى لمراقبة دورية للضغط إضافة إلى دراسة مفصلة للمعتقد الديني ومقدار الالتزام بالشعائر الدينية خاصة الصلاة، وقد وجد أن ممارسة الصلاة تؤدي إلى خفض الضغط الشرياني عند السود (والذين هم عادة معرضون أكثر من البيض للإصابة بهذه الآفة) بشكل واضح. أما عند البيض فلم تكن النتائج واضحة لقلة ممارسة الشعائر الدينية.

٥- دراسة على موقع NATURAL PHARMACIST: أجريت الدراسة على أربعين مصابًا بمرض الإيدز وفي مرحلة متقدمة منه، حيث قسّم المرضى إلى قسمين كما في الدراسات السابقة، وضمن نفس شروط الدعاء السابقة، فقد تم توقيت جلسات للدعاء والصلاة لقسم من المرضى بمعدل ستة أيام في الأسبوع خلال عشرة أسابيع، وتمت مراقبة المرضى خلال ستة أشهر، وقد تبين بشكل واضح التحسن عند مجموعة الدعاء.

النتيجة: يجمع الباحثون في هذه المجالات أنه على الرغم من صعوبة الدراسات والاستنتاجات في المجالات الروحية، فإن التدين والصلاة يعتبران من وسائل المحافظة على صحة طيبة تماما كالتغذية الجيدة وممارسة الرياضة.

وهم يؤكدون أن المواظبين على الصلاة والدعاء هم أقل عرضة للإصابات الجسمية والنفسية، وكذلك هم أكثر تحملا للألم، وأقل استعدادًا للإصابة بالقلق والكآبة، وهم عادة بصحة جيدة، يتعافون بسرعة بعد العمليات الجراحية.

ومن التوصيات الحديثة ضرورة أن يطرح الطبيب أسئلة حول المعتقد الديني لمريضه، وأن يأخذ ذلك في الحسبان عند تقييم الحالة المرضية.

أما الدكتور إليكسيس كارليل الحائز على جائزة نوبل في الطب فيقول عن الصلاة: إنها تحدث نشاطًا عجيبًا في أجهزة الجسم وأعضائه، بل هي أعظم مولد للنشاط عُرف إلى يومنا هذا، وقد رأيت كثيراً من المرضى الذين أخفقت العقاقير في علاجهم كيف تدخلت الصلاة فأبرأتهم تمامًا من عللهم، إن الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط، ولقد شاهدت تأثير الصلاة في مداواة أمراض مختلفة مثل: التدرن البريتوني، والتهاب العظام، والجروح المتقيحة والسرطان وغيره[١]، أ.هـ.

١ - د. سامر سقا أميني أخصائي في أمراض السمع والنطق ssaka@scs-net.Org.

وأؤكد أن كل هذه الدراسات عن الصلاة عند غير المسلمين فكيف ما لو عرفوا صلاة المسلمين، ودينهم الصحيح الذي رضيه ﷻ لهم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة:٣] **فأتمه حق التمام، ورضيه بكامل الرضا بل قال:** ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٨٥]**!.**

يقول صاحب كتاب إعادة اكتشاف الصلاة ما مضمونه: (إن الآلة التي اسمها الإنسان قُدّر لها قاعدة فيزيائية عجيبة تقول: إن خير وقت لإعادة تشغليها بعد نوم هو قبل الشروق لا بعده، وهي حكمة عجيبة قل من يدركها: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سورة الملك:١٤])(١)**.**

ورحم اللّه ثابت البناني رحمه الله إذ قال: (الصَّلَاةُ خِدْمَةُ اللّهِ فِي الْأَرْضِ لَوْ عَلِمَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ لَمَا قَالَ: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [سورة آل عمران:٣٩])(٢)**.**

ويمثلها السمرقندي(١) رحمه الله بقوله: (إن مثل الصلاة كمثل ملك اتخذ عرسًا، فاتخذ وليمة، وهيأ فيها ألوانًا من الأطعمة والأشربة، لكل لون لذة، وفي كل لون

---

١ – انظر: إعادة اكتشاف الصلاة ص٢٦ بتصرف.

٢ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٢٠)، وشعب الإيمان (٤/ ٥١٨)، وتعظيم قدر الصلاة (١/ ٩٩).

منفعة؛ فكذلك الصلاة دعاهم الرب إليها، وهيأ لهم فيها أفعالاً مختلفة، وأذكارًا فتعبدهم بها؛ ليلذهم بكل لون من العبودية، فالأفعال كالأطعمة، والأذكار كالأشربة).

ثم يكفي من فوائدها ذلك الحديث الذي يشرح الصدور، وينير العقول، ويأخذ بالأفئدة، ويتنادى إليه الأحبة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتابِ فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ غَيْرُ تمَامٍ"، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: إنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الإمَامِ؟ فَقَالَ: اقْرَأ بِهَا فِي نفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّهُ تعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" رواه مسلم وغيره.

١ – نصر بن محمد السمرقندي.

الصلاة في دين كل الأنبياء

وإن من عظمة الصلاة عند الله أنه فرضها على جميع أنبيائه عليهم السلام، وإن كانت تختلف في كيفيتها، وشروطها، وأعدادها من شرع لشرع؛ فقد قال في عموم أنبيائه عليهم السلام وفرض الصلاة عليهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩﴾ [سورة مريم:٥٨]، **ثم قال في الآية التي تليها مباشرة:** ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [سورة مريم:٥٩]، **وذلك يعني أن أعظم ما حذره الأنبياء بعد الشرك بالله ترك الصلاة، وقال عن بني إسرائيل وأنبيائهم عليهم السلام:** ﴿۞وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة:١٢]، **فشرَط جل جلاله معيته معهم إن أقاموا الصلاة!.**

إلى غير تلك من الآيات التي تدل على أن الله ﷻ خاطب كل نبي بفرض الصلاة عليه وعلى قومه كإبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة البقرة:١٢٥]، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة الحج:٢٦]، **وموسى وهارون** عليهما السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٨٧]، **وعيسى** عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [سورة مريم:٣١]، **وقبل ذلك داود وسليمان** عليهما السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ [سورة ص:٢٤]، ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [سورة ص:٣٢]، **وذكْر سليمان** عليه السلام **لربه في الآية المقصود به الصلاة عند الجمهور، قال الطبري** رحمه الله: **(وقوله:** ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ **يقول: إني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي، وأداء**

فريضته، وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)[١]، وغير هذه الآيات، وإنما ما ذكرت نموذج[٢].

١ - تفسير الطبري (٢١/ ١٩٤).

٢ - للاستفصال أكثر راجع تعظيم قدر الصلاة للمروزي بداية الكتاب.

آخر وصية الحبيب!

وإذا علمنا أن نبينا ﷺ قد كانت آخر وصيته: "الصَلَاةَ... الصَلَاةَ" علمنا معنا الآية السابقة في شأن الصلاة عند أنبياء اللّه عليهم صلواته وسلامه، وحث ربنا عليها، وحث أقوامهم أيضًا على المحافظة عليها، والالتزام بها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [سورة مريم:٥٨-٥٩]، **وعلى عظم قدر الصلاة عند أنبياء اللّه عمومًا منهم نبينا: فَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ حِينَ حَضَرَتهُ الْوَفَاةُ: "الصَلَاةَ، الصَلَاةَ، اتَّقُوا اللّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَقُولُهَا حَتَّى جَعَلَ يُغَرْغِرُ بِهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ) رواه ابن ماجه والبيهقي وأحمد والحاكم وصححه، وكذلك الألباني.**

آخر عرى الدين نقضا

ومن عظمة الصلاة، وأهميتها عند اللّه أن الناس سيحافظون عليها مع ذنوبهم الجسام في غيرها، وبعدهم التام فيما سواها إلا أن الصلاة لا زالوا يستمسكون بها، ويؤدونها فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، كُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ" رواه أحمد وصححه الألباني.

الصلاة عمود الدين

وإذا سقط العمود سقط الدين كله، وانتهى من أساسه، وذهب من أصله، وفي الترمذي وابن ماجه وأحمد: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟"، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ"(١).

١ - وقد حسنه الألباني، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - بطوله: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ: (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَلِيًّا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ، قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟" , قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟" قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ: "فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا "، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟، فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ إِنَّكَ لَنْ تَزَالَ سَالِمًا مَا سَكَتَّ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ، كُتِبَ عَلَيْكَ، أَوْ لَكَ").

حكم تارك الصلاة

بل لعظمتها عنده عليه الصلاة والسلام أنه حكم بالكفر على تاركها، وليست هذه عادته مطلقًا بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام بالنسبة لغير الصلاة، لكنه شدد في الصلاة، وبالغ في أمرها، وزجر بأشد العبارات تاركها: فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ"، وفي رواية: "فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ" رواه مسلم وغيره، وروى الترمذي وغيره عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ" وصححه الألباني.

قال المباركفوري رحمه الله شارح الترمذي: (أي فإذا تركوها برئت منهم الذمة، ودخلوا في حكم الكفار نقاتلهم كما نقاتل من لا عهد له، قال التوربشتي رحمه الله: ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام لما استؤذن في قتل المنافقين: "ألا إني نهيت عن قتل المصلين"[١]، قيل يمكن أن يكون ضمير الغائبين عامًا فيمن بايع رسول الله ﷺ سواء كان منافقًا أو لا، يدل عليه قوله ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه:

---

١ - رواه أبو داود والدارقطني والبيهقي وغيرهم وصححه الألباني ونصه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم بِمُخَنَّث قَدْ خَضَّبَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِالْحِنَّاء، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم: "مَا بَالُ هَذَا؟ "، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ يَتَشَبَّهُ بِالنِّسَاء، "فَأَمَرَ بِه فَنُفِيَ إِلَى النَّقِيعِ"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ أَلَا نَقْتُلُهُ؟، فَقَالَ: "إِنِّي نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ".

"لا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا؛ فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة"[١])[٢].

وكفر تاركها تكاسلًا هو مذهب الحنابلة ومن وافقهم خلافًا لجمهور الفقهاء الذي يرون تفسيقه فقط، ومذهب الجمهور هو الراجح، وأما الأحاديث التي تدل على كفره فمؤولة بأنها لزجره، وتغليظ العقوبة عليه، لا كفره كفرًا يخرجه من الملة؛ فهو ينطق الشهادتين، وبهما يدخل الإسلام، فكيف يكفر وهو يقولهما، ولا يقر بالصلاة لكن يتركها تكاسلًا، قال السيوطي رحمه الله في شرحه لسنن النسائي: (قال الحافظ: هو توبيخ لتارك الصلاة وتحذير له من كفر أي سيؤديه ذلك إليه إذا تهاون بالصلاة، وقال البيهقي في شعب الإيمان: يحتمل أن يكون المراد بهذا الكفر كفرًا يبيح الدم، لا كفرًا يرده إلى ما كان عليه في الابتداء[٣]، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه جعل إقامتها من أسباب حقن الدم، وقال في النهاية، قيل هو لمن تركها جاحدًا، وقيل: أراد المنافقين؛ لأنهم يصلون رياء،

---

١ - رواه ابن ماجه والبيهقي وأحمد وحسنه الألباني: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ" أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ، وَلَا تَشْرَبْ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ".

٢ - تحفة الأحوذي (٧/ ٣٠٨).

٣ - يريد الحد الذي يناقشه الجمهور كأي حد لمسلم مثل حد الزنا، وليس حد الكفر الذي يخرجه من الإسلام كما يناقشه الحنابلة، وسيأتي بعد النقل عن السيوطي.

ولا سبيل عليهم حينئذ ولو تركوها في الظاهر كفروا، وقيل: أراد بالترك تركها مع الإقرار بوجوبها، أو حتى يخرج وقتها)(١).

ومع هذا فإن الجمهور يرون قتل تارك الصلاة تكاسلًا، وإن لم يكفّروه كما سبق، والخلاف: هل يقتل حدًا كقتل الزاني المسلم كما هو مذهب المالكية والشافعية، أم ردة كما هو مذهب الحنابلة، أم لا يقتل أصلًا بل يحبس تعزيرًا حتى يتوب فيصلي كما هو مذهب الحنفية والظاهرية، قال ابن رشد رحمه الله: (وأما ما الواجب على من تركها عمدًا، وأُمر بها فأبى أن يصليها، لا جحودًا لفرضها، فإن قومًا قالوا: يقتل، وقومًا قالوا: يعزر ويحبس، والذين قالوا يقتل منهم من أوجب قتله كفرًا وهو مذهب أحمد وإسحاق وابن المبارك، ومنهم من أوجبه حدًا وهو مالك والشافعي، وأبو حنيفة وأصحابه وأهل الظاهر ممن رأى حبسه وتعزيره حتى يصلي)(٢).

قال الشوكاني رحمه الله معلقًا على الحديث الذي ساقه ابن تيمية الجد رحمه الله في منتقى الأخبار: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة"، رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي: (الحديث يدل على أن ترك الصلاة من موجبات الكفر، ولا خلاف بين المسلمين في كفر من ترك الصلاة منكرا لوجوبها، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو لم يخالط المسلمين مدة

١ - شرح السيوطي لسنن النسائي (١/ ٢٣١).
٢ - بداية المجتهد (١/ ٩٠).

يبلغه فيها وجوب الصلاة، وإن كان تركه لها تكاسلًا مع اعتقاده لوجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف الناس في ذلك: فذهبت العترة والجماهير من السلف والخلف منهم مالك والشافعي إلى أنه لا يكفر بل يفسق، فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، وبه قال عبد اللّه بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي.

وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة، والمزني صاحب الشافعي إلى أنه لا يكفر، ولا يقتل، بل يعزر ويحبس حتى يصلي.

احتج الأولون على عدم كفره بقول اللّه عز و جل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٤٨]، **واحتجوا على قتله بقوله تعالى:** ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة التوبة:٥]، **وبقوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّه تعالى" الحديث متفق عليه، وتأولوا قوله ﷺ: "بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة"، وسائر أحاديث الباب على أنه مستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر، وهي القتل،**

أو أنه محمول على المستحل، أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر، أو على أن فعله فعل الكفار.

واحتج أهل القول الثاني بأحاديث الباب.

واحتج أهل القول الثالث على عدم الكفر بما احتج به أهل القول الأول، وعلى عدم القتل بحديث: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث"[(١)] وليس فيه الصلاة.

والحق أنه كافر يقتل، أما كفره فلأن الأحاديث قد صحت أن الشارع سمى تارك الصلاة بذلك الاسم، وجعل الحائل بين الرجل وبين جواز إطلاق هذا الاسم عليه هو الصلاة، فتركها مقتض لجواز الإطلاق، ولا يلزمنا شيء من المعارضات التي أوردها الأولون؛ لأنا نقول لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة واستحقاق الشفاعة ككفر أهل القبلة ببعض الذنوب التي سماها الشارع كفرًا، فلا ملجأ إلى التأويلات التي وقع الناس في مضيقها، وأما أنه يقتل فلأن حديث: "أمرت أن أقاتل الناس" يقضي بوجوب القتل لاستلزام المقاتلة له، وكذلك سائر الأدلة المذكورة في الباب الأول، ولا أوضح من دلالتها على المطلوب، وقد شرط اللّه في القرآن التخلية بالتوبة وإقامة الصلاة وإيتاء

---

(١)- الحديث رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاث: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانه فَعَلَيْهِ الرَّجْمُ، أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ مُسْلِمًا مُتَعَمِّدًا فَعَلَيْهِ الْقَوَدُ فَيُقْتَلُ به، وَالتَّارِكُ لدينه، الْمُفَارِقُ للْجَمَاعَة". وفي رواية: "وَرَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ فَيُحَارِبُ اللّهَ وَرَسُولَهُ، فَيُقْتَلُ، أَوْ يُصْلَبُ، أَوْ يُنْفَى مِنَ الْأَرْضِ".

الزكاة فقال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [سورة التوبة:٥]، **فلا يخلى من لم يقم الصلاة.**

وفي صحيح مسلم: "سيكون عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ عنقه، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، فقالوا: ألا نقاتلهم؟، قال: لا ما صلوا"، فجعل الصلاة هي المانعة من مقاتلة أمراء الجور، وكذلك قوله لخالد في الحديث السابق: "لعله يصلي" فجعل المانع من القتل نفس الصلاة، وحديث: "لا يحل دم امرئ مسلم" لا يعارض مفهومه المنطوقات الصحيحة الصريحة، والمراد بقوله في حديث الباب: "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة"، كما قال النووي: إن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإن تركها لم يبق بينه وبين الكفر حائل، وفي لفظ مسلم: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

ومن الأحاديث الدالة على الكفر حديث الربيع بن أنس عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ: "من ترك الصلاة متعمدًا فقد كفر جهارًا" ذكره الحافظ في التلخيص وقال: سُئل الدارقطني عنه فقال: رواه أبو النضر عن أبي جعفر عن الربيع موصولا، وخالفه علي بن الجعد فرواه عن أبي جعفر عن الربيع مرسلًا، وهو أشبه بالصواب، وأخرجه البزار من حديث أبي الدرداء ﷺ بدون قوله "جهارًا"، وأخرج ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: "تارك الصلاة

كافر"، واستنكره، ورواه أبو نعيم من حديث أبي سعيد ﵁ وفيه عطية وإسماعيل بن يحيى وهما ضعيفان.

قال العراقي: لم يصح من أحاديث الباب إلا حديث جابر المذكور، وحديث بريدة الذي سيأتي، وأخرج ابن ماجه من حديث أبي الدرداء قال: "أوصاني خليلي صلى اللّه عليه وآله وسلم: أن لا تشرك باللّه وإن قُطعت، وحُرّقت، وأن لا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا؛ فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر؛ فإنها مفتاح كل شر"، قال الحافظ: وفي إسناده ضعف، ورواه الحاكم في المستدرك ورواه أحمد والبيهقي من طريق أخرى وفيه انقطاع، ورواه الطبراني من حديث عبادة بن الصامت ومن حديث معاذ بن جبل وإسنادهما ضعيفان، وقال ابن الصلاح والنووي: إنه حديث منكر.

واختلف القائلون بوجوب قتل تارك الصلاة فالجمهور أنه يضرب عنقه بالسيف، وقيل يضرب بالخشب حتى يموت، واختلفوا أيضًا في وجوب الاستتابة فالهادوية توجبها، وغيرهم لا يوجبها؛ لأنه يقتل حدًا ولا تسقط التوبة الحدود كالزاني والسارق، وقيل إنه يقتل لكفره فقد حكى جماعة الإجماع على كفره كالمرتد وهو الظاهر، وقد أطال الكلام المحقق ابن القيم في ذلك كتابه في الصلاة والفرق بينه وبين الزاني واضح؛ فإن هذا يقتل لتركه الصلاة في الماضي، وإصراره على تركها في المستقبل والترك في الماضي يتدارك بقضاء ما تركه، بخلاف الزاني فإنه يقتل بجناية تقدمت لا سبيل إلى تركها، واختلفوا هل

يجب القتل لترك صلاة واحدة أو أكثر، فالجمهور أنه يقتل لترك صلاة واحدة، والأحاديث قاضية بذلك، والتقييد بالزيادة على الواحدة لا دليل عليه، قال أحمد بن حنبل: إذا دعي إلى الصلاة فامتنع وقال لا أصلي حتى خرج وقتها وجب قتله، وهكذا حكم تارك ما يتوقف صحة الصلاة عليه من وضوء، أو غسل، أو استقبال قبلة، أو ستر عورة، وكل ما كان ركنًا أو شرطا)[١] أ.هـ.

وفي شرح الأثيوبي للنسائي: (قال الحافظ: تارِك الصَّلاة اختُلِفَ فِيهِ، فَذَهَبَ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاق، وَبَعْض الْمَالِكِيَّة، وَمِنْ الشَّافِعِيَّة ابْن خُزَيْمَةَ، وَأَبُو الطَّيِّب بْن سَلَمَة، وَأَبُو عُبَيْد بْن جُوَيْرِيَة، وَمَنصُور الْفَقِيه، وَأَبُو جَعْفَر التِّرْمِذِيّ، إِلَى أَنَّهُ يُكَفَّر بِذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَد وُجُوبَها، وَذَهَبَ الْجُمْهُور إِلَى أَنَّهُ يُقْتَل حدًّا.

وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّة، وَوَافَقَهُمْ الْمُزَنِيُّ، إِلَى أَنَّهُ لَا يُكَفَّر، وَلَا يُقْتَل.

وَمِنْ أَقْوَى مَا يُسْتَدَلّ بِهِ عَلَى عَدَم كُفْره حَدِيث عُبَادَةَ ﵁ رَفَعَهُ: "خَمْس صَلَوَات كَتَبَهُنَّ اللَّه عَلَى الْعِبَاد" الْحَدِيث، وَفِيهِ: "وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ، فَلَيْسَ لَهُ عِند اللَّه عَهْد، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّة" أَخْرَجَهُ مَالِك، وَأَصْحَاب السُّنَن، وَصَحَّحَهُ ابْن حِبَّان، وَابْن السَّكَن، وَغَيْرهمَا.

وَتمَسَّكَ أَحْمَدُ، وَمَنْ وَافَقَهُ بِظَوَاهِر أَحَادِيثَ وَرَدَتْ بِتَكْفِيرِهِ، وَحَمَلَهَا مَنْ خَالَفَهُمْ عَلَى الْمُسْتَحِلّ؛ جَمْعًا بَيْن الْأَخْبَار، وَاللَّه أَعْلَمُ، قال الجامع -عفا الله

---

١ - نيل الأوطار (١/ ٣٦٩).

تعالى عنه-: الأرجح في تارك الصلاة أنه يقتلُ، وأنه كافر؛ لقوله ﷺ: "فمن تركها فقد كفر"، ولكنه كفر دون كفر)[1] **أ.هـ.**

وأخيراً: فقد ساق ابن القيم الإجماع على كفر تاركها فقال: (وقد دل على كفر تارك الصلاة: الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة)[2]**.**

فأي مسلم عاقل يرتضي لنفسه أن يدخل في دائرة هذا الخلاف بين من أمر الله بالرجوع إليهم: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:٤٣]، **وأكّده في سورة الأنبياء فقال:** ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٧]، **بينما في النساء يقول:** ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء:٨٣]، **وهاهم أولئك الفضلاء اختلفوا في كفر، وفسق، وردة، وقتل، وحبس... قاطع الصلاة، فيا لخسارة من دخل في هذا الخلاف الشديد، والحكم الرشيد، والخطب الفظيع، والأمر الخطير، و:** ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق:٣٧]**!.**

---

١ - ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣١/ ٣١٤).

٢ - كتاب الصلاة ص١٧.

الصلاة ومكان فرضها

ومن تعظيم الشرع لهذه الفريضة الكبرى أنه لم يفرضها في الأرض كسائر الفرائض، والأوامر، والنواهي، وعموم التشريعات، بل رفع رسوله ﷺ إليه لفرضها كما في حديث الإسراء والمعراج الطويل ومنه ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة: "ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟، قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ..."، الحديث بطوله ثم في قال في الخامسة: "فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ، وَقُلُوبُهُمْ، وَأَسْمَاعُهُمْ، وَأَبْصَارُهُمْ، وَأَبْدَانُهُمْ، فَخَفِّفْ عَنَّا، فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ؛ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا".

الصلاة لا تسقط عن مسلم في أي حال

ومن عظمتها أنها لا تسقط عن أي مسلم مادام روحه في جسده، وكان بالغًا، عاقلًا، غير معذورة وهي المرأة بحيض أو نفاس، حتى في أشد مرضه يلزمه أداءها على أي حالة كانت، ولو برمشِه وإشارتِه.

حتى أن النبي ﷺ أمر بضرب الصغار عليها، وليس هذا من عوائده ﷺ في شيء أبدًا غير الصلاة: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"، رواه أبوداود والترمذي وأحمد، وصححه الألباني.

والنائم والناسي لا تسقطان عنهما بل يلزمهما القضاء، مع أن القلم مرفوع عنهما وقت عذرهما بنوم أو نسيان: فعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا اسْتَيْقَظَ، وَمَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا"، رواه البخاري ومسلم.

وبيّن ﷺ كيفية صلاة المريض ولم يعذره بأبي هو وأمي ﷺ فقال: "صَلِّ قائِمًا، فَإِنْ لَمْ تستطعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تستطعْ فَعَلَى جَنبٍ" رواه البخاري وغيره.

بل أعظم من هذا فحتى وقت المعارك، والموت المحقق، لا تسقط أبدًا، إنما تخفف فقط: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٣٨]، **ثم قال بعدها مباشرة:** ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٣٩]، **وعلّمنا النبي ﷺ صلاة الخوف[1]، وصلاة**

---

١ - ولها كيفية كثيرة، وقد جمع الشوكاني في الدراري ما يقرب من عشرين كيفية، وأحدها ما في البخاري ومسلم: عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قِبَلَ نَجْدٍ فَوَازَيْنَا الْعَدُوَّ فَصَافَفْنَا لَهُمْ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُصَلِّي لَنَا فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ تُصَلِّي، وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى مُوَاجِهَةُ الْعَدُوِّ، وَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِمَنْ مَعَهُ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ مِثْلَ نِصْفِ صَلَاةِ الصُّبْحِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَلَمْ يُسَلِّمُوا، وَأَقْبَلُوا عَلَى الْعَدُوِّ فَقَامُوا فِي مَقَامِ أَصْحَابِهِمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا، فَجَاءَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا فَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِهِمْ رَكْعَةً، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ قَامَ هَؤُلَاءِ فَقَضَوْا رَكْعَتَهُمْ، وَقَامَ هَؤُلَاءِ فَقَضَوْا رَكْعَتَهُمْ"، وفي رواية: "ثُمَّ قَامَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ الطَّائِفَتَيْنِ فَصَلَّى لِنَفْسِهِ رَكْعَةً وَسَجْدَتَيْنِ فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الطَّائِفَتَيْنِ قَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ هُوَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ، صَلَّوْا رِجَالًا قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ، أَوْ رُكْبَانًا، مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ، أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا".

المسايفة[1]، وهما أشد المواقف التي تمر في حياة المسلم على الإطلاق فكيف في وقت الأمن!.

---

١ - قال ابن بطال: (هذه الصلاة تسمى صلاة المسايفة، فيصلى إيماءً وكيف تمكن، وممن قال بذلك ابن عمر ذكره عنه مالك في الموطأ: إن كان خوفًا شديدًا صلوا قيامًا على إقدامهم أو ركبانًا مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها، وهو قول مجاهد، وطاوس، وإبراهيم، والحسن، والزهري، وطائفة من التابعين، روى ابن جريج عن مجاهد قال: إذا اختلطوا فإنما هو الذكر والإشارة بالرأس فمذهب مجاهد أنه يجزئه الإيماء عند شدة القتال كمذهب ابن عمر، وهو مذهب مالك، والثوري، والشافعي)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٥٣٧).

وقال الفاكهاني: (الجمهورُ على جواز عمل كلِّ ما يُحتاج إليه في صلاة الخوف؛ من قول، أو فعلٍ من أمر القتال: قلَّ أو كثرَ، قال مالك: يصلي المسايفُ مستقبلَ القبلة، وغيرَ مستقبلها، وبه قال الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأهلُ الظاهر، وعامةُ العلماء، وقال أبو حنيفة، وابن أبي ليلى: لا يصلي الخائف إلا إلى القبلة) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٣/ ١٥١)، بل قال العيني نقلًا عن السلف: (عن عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة قال: "سألت الحكم بن عُتَيْبة وحماد بن أبي سليمان، وقتادة عن صلاة المسايفة، فقالوا: ركعة حيث كان وجهه"، وعن وكيع، عن شعبة، عن المغيرة بن مقسم، عن إبراهيم مثل قول الحكم وحماد وقتادة، وعن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن مجاهد: "في قول الله -عز وجل-: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، قال: في الغزو يصلي راكبًا وراجلًا، يومئ حيث كان وجهه، والركعة الواحدة تجزئه". وبه يقول سفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه) نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (٥/ ٢٠١).

وأخيرًا فمن العلماء من اكتفى بالتكبير بدون أي صلاة إذا اشتد القتال قال ابن بطال: (أما التكبير فقد روى عن مجاهد أنه قال: صلاة المسايفة بتكبيرة واحدة، وعن سعيد بن جبير، وأبى عبد الرحمن قال: الصلاة عند المسايفة تهليل وتسبيح وتحميد وتكبير، ذكره الفزاري في السير، وذكر ابن المنذر عن إسحاق: تجزئك ركعة تومئ بها، فإن لم تقدر فسجدة واحدة، فإن لم تقدر فتكبيرة واحدة؛ لأنه ذكر لله، وقال الحسن بن حي: يكبر مكان كل ركعة تكبيرة، وأما أئمة الفتوى بالأمصار فلا يجزئ عندهم التكبير من الركوع والسجود؛ لأن التكبير لا يسمى بركوع ولا سجود، وإنما يجزئ الإتيان بأيسرهما، وأقل الأفعال الثابتة

الصلاة ميزان نجاة

بل فضلها وعظمتها وخيرها يلاحق المسلم إلى يوم القيامة، بل هي مفتاح نجاته، وفلاحه، ونجاحه، وإلا فتعاسته، وخسارته، وشقائه، وخالدًا أبدًا: فَعَنْ تمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ"، وفي رواية: "فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ، فَإِنْ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ نَافِلَةٌ، وَإِنْ كَانَ انْتَقِصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ -عز وجل-: انْظُرُوا هَلْ تجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تطَوُّعٌ قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تطَوُّعِهِ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ" رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم.

وزد على ذلك ما جاء عند أحمد والبيهقي: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: "مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بُرْهَانٌ وَلَا نُورٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ وَأُبَيِّ بن خلف"!.

عنهما الإشارة والإيماء الدال على الخضوع لله فيهما) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٥٤٢).

الصلاة شرط النظر لوجه الله

ومن عظمة الصلاة، وأهميتها في شرعنا، ومنزلتها عند ربنا، أنه جعل عقوبة الذي يتهاون بها أن لا ينظر إلى ربه تبارك وتعالى في يوم أعظم نعمة فيه النظر لوجهه جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾ [سورة القيامة:٢٢ -٢٥]، **ثم قال بعد ذلك مبينًا سبب حرمانه من النظر لوجهه الكريم:** ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [سورة القيامة:٣١]، **وكفى بهذه عقوبة لو افترضنا دخوله الجنة وحُرم النظر لوجهه ﷻ، ويمكن ذلك بعد أخذه جزاءه من النار، ولن يحرم النظر لوجهه تعالى:** ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٥]، **ثم قال بعدها:** ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [سورة المطففين:١٦]**!.**

ويؤكد هذه العقوبة القرآنية ما ورد في السنة النبوية عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ﵁ قَالَ: "كُنَّا عِندَ النَّبِيِّ ﷺ فَنظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ [سورة ق:٣٩]**".**

ترك الصلاة سبب للنار

وعظمة أخرى للصلاة: أن المتهاون فيها يَحشر نفسَه في نار جهنم؛ لتهاونه في ركن الإسلام الأعظم بعد الشهادتين، ولهذا كان جواب أهل النار الطبيعي عن سؤال أهل الجنة ما الذي أدخلهم هذه النار التي لا يدخلها من كان عاقلًا بشهادة أهل النار أنفسهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك:١٠]، **فقال مخبرًا عن حديث الفريقين:** ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [سورة المدثر: ٤٢-٤٣]، **وصدقوا في إجابتهم، وأحسنوا حين عقلوا لكن أين: حين لا ينفع العمل:** ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٨]**!.**

برئت ذمة الله من تاركها

وياالخسارة ذلك الشقي التعيس، الذي تهاون في صلاته بالرغم أن من عظمتها عند ربه أن أخرج من حفظه من تهاون بها: فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: "أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنهُ الذِّمَّةُ، وَلَا تَشْرَبْ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ" رواه ابن ماجه والبيهقي وحسنه الألباني.

قال الأمين البويطي ﷺ: ("فقد برئت منه" أي: من ذلك التارك عمدًا "الذمة" أي: ذمة اللّه وأمانه وحرمته؛ أي: صار كالكافر الذي لا ذمة له فعلًا؛ فإن ترك الصلاة متعمدًا من خصالهم، وهذا كناية عن الكفر تغليظًا عليه، قال الطيبي: أو المراد منه: الأمان من التعرض بالقتل أو التعزير، كذا في المرقاة، وقال الجزري: الذمة والذمام هما بمعنى: العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، ويسمى أهل الذمة بذلك؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم، وحديث: "فقد برئت منه الذمة" أي: أن لكل أحد من اللّه عهدًا بالحفظ والكلأ، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة، أو فعل ما حرم اللّه تعالى، أو خالف ما أمر به .. خذلته؛ أي: فارقته وأهانته ذمة اللّه التي فارقها بإباحة دمه)[١].

---

١ - مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى (٢٤/ ٢٣٥).

وفي نهاية الحديث لفتة مهمة، ومسألة خطيرة أشار إليها الطيبي ﵀ في مرقاته حيث قال: (قَرَن ترك الصلاة، وشرب الخمر مع الشرك؛ إيذانًا بأن الصلاة عمود الدين، وتركها ثُلْمَةٌ في الدين، وأنَّ شرب الخمر كعبادة الوثن؛ ولأن أم الأعمال ورأسها الصلاة؛ وأم الخبائث الخمر[1]**، فأنَّى يجتمعان؟! قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]، **فالصلاة مفتاح كل خير، والخمر مفتاح كل شر؛ أي: لأنها تزيل العقل، فلا يبالي بشيء من المنكرات، فقد انفتح له باب الشر، بعد أن كان مغلقًا عليه بقيد العقل)**[2]**.**

---

١ - ورد في سنن النسائي عن عثمان رضي الله عنه قصة لطيفة في سبب تسميتها بهذا الاسم: فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رضي الله عنه - قَالَ: "اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِث، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَة، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَة وَضِيئَة عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَة، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذه الْخَمْرَة كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا فَسَقَتْهُ كَأْسًا، فَقَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، وَإِنَّهُ وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ").

٢ - مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (٢/ ٥٧١).

شرط الله لها أكمل الأحوال

والصلاة ليست كالصيام والزكاة والحج... وغيرها من العبادات يصح بدون طهارة صغرى، وحتى بدون طهارة كبرى، وطهارة بدن، وثوب، ومكان، وبدون استقبال قبلة... أما الصلاة فلا بد من كل ذلك وأكثر؛ تعظيمًا لشأنها، وتفخيمًا لأمرها، ومزيد عناية بها، كيف لا وهو على موعد لمقابلة رسمية مع ملك الملوك ﷻ إن صح التعبير، وله المثلى الأعلى جل وعلا!.

بقدر إيمانك يكون التزامك بصلاتك

ثم هذا ربنا تعالى قد جعل المحافظة على الصلاة في أوقاتها صفة الإيمان وميزانه، ودليل وجوده أو انعدامه فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [سورة النساء:١٠٣]، **فبقدر إيمان المسلم يكون التزامه، ومحافظته على ركن الإسلام الأعظم في أوقاتها، وأفعالها، وخشوعها، وخضوعها، وسائر أركانها وشروطها، وبقدر نقصه من ذلك يكون نقص إيمانه إن لم يكن انعدامه:** ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [سورة طه:١٣٢]، **وانظر بم ختم الله الآية الكريمة بوعدين: الوعد بالرزق، وهو أعظم ما يهم أكثر الخلق حتى أعظم عند أغلبهم من دينهم، وبالعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، والوصول إلى أعلى سلّم في الإيمان، أو ما يمكن نقول عنه مفتاح الجنة وهو التقوى:** ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]، ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ [سورة مريم:٦٣]، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [سورة مريم:٧٢]، **والآيات كثيرة!.**

الصلاة مغتسلَ من الذنوب

كثيرة هي ذنوبنا، وعظيمة تلك خطايانا، وكبيرة تلك معاصينا، لكن ما رأيك لو دللتك على ما دلنا عليه حبيبنا ﷺ عن ذلك المغتسل البارد، والبحر الواسع، الذي يغسل ذنوبنا، وينقينا من جراثيم أحاطت بقلوبنا، بل حطتها عن العلو، وجعلتا في سفول ودنو، فحجبتنا عن ربنا، والقرب من مليكنا ﷻ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٥]، والحجاب نفسه هو حجاب الذنوب لا عن جنته وفقط بل عن أعمارنا، وأعمالنا، وأرزاقنا، وسعادتنا، وعن قربنا من خالقنا، وتعلقنا بمولانا فلكما هوينا هفونا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ هُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ -عز وجل- فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾" رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني.

لكن مع هذا فهناك مصفيات ومغتسلات، وفي اليوم خمس مرات، ففي البخاري ومسلم وغيرهما: "إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ مَا تَقُولُونَ؟ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ " قَالُوا:

لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: "فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا"(١).

وقل عن حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تحْتَرِقُونَ تحْترِقُون، فَإِذَا صَلَّيْتمُ الْفَجْرَ غَسَلَتها، ثُمَّ تحْترِقُونَ تحْترِقُون، فَإِذَا صَلَّيْتمُ الظُّهْرَ غسَلَتها، ثُمَّ تحْترِقُونَ تحْترِقُون، فَإِذَا صَلَّيْتمُ الْعَصْرَ غسَلَتها، ثُمَّ تحْترِقُونَ تحْترِقُون، فَإِذَا صَلَّيْتمُ الْمَغْرِبَ غَسَلَتها، ثُمَّ تحْترِقُونَ تحْترِقُون، فَإِذَا

---

١ - أورده في الجامع الصحيح بطوله الذي لا يخلو من فائدة جليلة للصلاة تناسب موضوعنا وهو عناك من حديث طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ - رضي اللّه عنه - قَالَ: (كَانَ رَجُلَانِ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى اللّه عليه وسلم - وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَفْضَلَ مِنْ الْآخَرِ فَاسْتُشْهِدَ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُهُمَا ثُمَّ عُمِّرَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ قَالَ طَلْحَةُ: فَأُرِيتُ الْجَنَّةَ فِي الْمَنَامِ، فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، فَعَجِبُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى اللّه عليه وسلم - وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: "مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم -: "أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟ " قَالُوا: بَلَى قَالَ: "وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَصَامَ وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟" قَالُوا: بَلَى قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم -: "فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" وفي رواية: "مَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلَاتُهُ؟ "إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، مَا تَقُولُونَ؟ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ " قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: " فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا".

صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تنامُونَ فلَا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تسْتيْقِظُوا" رواه الطبراني، وقال عنه الألباني: حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبَتْ الْكَبَائِرُ"، يؤكّده ما في مسند الإمام أحمد: عَنْ أَبِي أَيُّوب الْأَنْصَارِيَّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِنَّ كُلَّ صَلَاةٍ تحُطُّ مَا بيْنَ يَدَيْهَا مِنْ خَطِيئَةٍ".

ولأحمد وحسّنه الألباني: عَنْ الْحَارِثِ مَوْلَى عُثْمَانَ ﵁ قَالَ: جَلَسَ عُثْمَانُ ﵁ يَوْمًا وَجَلَسْنا مَعَهُ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَتوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَتوَضَّأُ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: "مَنْ توَضَّأَ وُضُوئِي، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يَبِيتَ يَتمَرَّغُ لَيْلَتَهُ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ"، فَقَالُوا: هَذِهِ الْحَسَنَاتُ فَمَا الْبَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ؟ قَالَ: هُنَّ: سُبْحَانَ اللّهِ، وَالْحَمْدُ للّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، وَاللّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ).

وللطبراني وحسّنه الألباني: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُبْعَثُ مُنَادٍ عِنْدَ حَضْرَةِ كُلِّ صَلَاةٍ فَيَقُولُ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا فَأَطْفِئُوا عَنكُمْ مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ وَتَسْقُطُ خَطَايَاهُمْ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، وَيُصَلُّونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يُوقِدُونَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ صَلَاةِ الْأُولَى نَادَى: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا فَأَطْفِئُوا مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ وَيُصَلُّونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَصْرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْمَغْرِبُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَتَمَةُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَيَنَامُونَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمُدْلِجٌ فِي خَيْرٍ، وَمُدْلِجٌ فِي شَرٍّ".

وعند مسلم: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا".

وفي صحيح مسلم: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ".

ولأحمد وحسنه الألباني: عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: كُنتُ مَعَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِنهَا غُصْنًا يَابِسًا فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عُثْمَانَ أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟ فَقُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا فَعَلَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَأَخَذَ مِنهَا غُصْنًا يَابِسًا فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ، فَقَالَ: "يَا سَلْمَانُ أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟" فَقُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ قَالَ: "إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [سورة هود: ١١٤]".

وفي صحيح مسلم والبخاري وغيرهما بألفاظ متقاربة عَنْ أَبِي الْيَسَرِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: (أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا فَقُلْتُ: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطْيَبَ مِنْهُ فَدَخَلَتْ مَعِي فِي الْبَيْتِ فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ، وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا، فَلَمْ أَصْبِرْ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ رضي الله عنه فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ، وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا، فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخَذْتُ امْرَأَةً فَفَعَلْتُ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ: قَبَّلْتُهَا، وَلَزِمْتُهَا غَيْرَ أَنِّي لَمْ أُجَامِعْهَا فَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ لِي عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَخَلَفْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟"، قَالَ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [سورة

هود:١١٤]، **قَالَ أَبُو الْيَسَرِ: فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ: "بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً".**

وقد تقول هذا شأن الفريضة لكن النافلة أقل من ذلك، وهذا رسولك عليه الصلاة والسلام يتولى الرد على هذا فعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تعَالَى لِذَلِكَ الذَّنْبِ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَقَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء:١١٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٥]"، **رواه أصحاب السنن إلا النسائي، ورواه أحمد وصححه الألباني.**

وللطبراني وابن عساكر وحسنه الألباني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تكْفِيرُ كُلِّ لِحَاءٍ (سباب وخصام) رَكْعَتَانِ"، وعند أحمد وحسنه الألباني وغيره: عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ أَخِي مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقُلْتُ: لَا، إِلَّا صِلَةُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ وَالِدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: بِئْسَ سَاعَةُ الْكَذِبِ هَذِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى

رَكْعَتَيْنِ يُحْسِنُ فِيهِمَا الذِّكْرَ وَالْخُشُوعَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ -عز وجل- غَفَرَ لَهُ"، وانظر لأهمية الخشوع كيف شرطه ﷺ في صلاة التوبة!.

بل بمجرد نافلة من ركعتين مغفرة الذنوب، وتطهير العبد من العيوب فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" رواه أبو داود وأحمد.

وفي السجود تتساقط الذنوب فعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْمُسْلِمَ يُصَلِّي وَخَطَايَاهُ مَرْفُوعَةٌ عَلَى رَأْسِهِ، كُلَّمَا سَجَدَ تَحَاطَّتْ، فَيَفْرُغُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ تَحَاطَّتْ خَطَايَاهُ" رواه الطبراني وحسنه الألباني، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما فَتًى وَهُوَ يُصَلِّي قَدْ أَطَالَ صَلَاتَهُ وَأَطْنَبَ فِيهَا، فَقَالَ: مَنْ يَعْرِفُ هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ كُنتُ أَعْرِفُهُ لَأَمَرْتُهُ أَنْ يُطِيلَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أُتِيَ بِذُنُوبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَى رَأْسِهِ وَعَاتِقَيْهِ، فَكُلَّمَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ تَسَاقَطَتْ عَنْهُ" رواه البيهقي وابن حبان.

وأخيراً والباب يطول جداً: عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ قَالَ: كُنَّا عِندَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ تَبَسَّمَ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا ضَحِكْتُ؟" تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا تَوَضَّأْتُ ثُمَّ تَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ضَحِكْتُ؟" فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَتَمَّ وُضُوءَهُ ثُمَّ دَخَلَ فِي

صَلَاتِهِ فَأَتمَّ صَلَاتهُ خَرَجَ مِنْ صَلَاتِهِ كَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مِنْ الذُّنُوبِ" رواه أحمد والبزار.

فأين الطامعون في المغفرة، الحريصون على الجنة، المتلهفون لرضا ربهم، والبعد عن سخط خالقهم!.

مجرّد الذهاب إليها مغفرة

بل قل إذا كان مجرد المشي إلى الصلاة مغفرة للذنوب فكيف بالدخول فيها، والخشوع، وإسبال الدموع، وإعلان الذل والرجوع: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ " رواه مسلم، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلًا" رواه الحاكم وصححه، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةِ تَطَوُّعٍ"، وفي رواية: "وَمَنْ مَشَى إِلَى سُبْحَةِ الضُّحَى لَا يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ عَلَى إِثْرِ صَلَاةٍ لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ" رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ فِي جَمَاعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ" رواه البخاري ومسلم.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ﵄ قَالَ: (خَلَتْ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنْ الْمَسْجِدِ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا فَنَقْتَرِبَ مِنْ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَكَرِهَ أَنْ تُعْرَى الْمَدِينَةُ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ" قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس:١٢]، فَقَالَ: "يَا بَنِي سَلِمَةَ أَلَا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللّهِ فَقَالَ: "دِيَارَكُمْ؛ فَإِنَّهَا تُكْتَبُ آثَارُكُمْ، إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً فَقَالُوا: مَا كَانَ يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ؛ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللّهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً" رواه مسلم، وَعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ فَخَطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً، وَخَطْوَةٌ تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةً، ذَاهِبًا وَرَاجِعًا" رواه النسائي وابن وأحمد.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: حَضَرَ الْمَوْتُ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا مَا أُحَدِّثُكُمُوهُ إِلَّا احْتِسَابًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَلَاةِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمَهُ الْيُمْنَى إِلَّا كَتَبَ اللّهُ -عز وجل- لَهُ حَسَنَةً، وَلَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ الْيُسْرَى إِلَّا حَطَّ اللّهُ -عز وجل- عَنْهُ سَيِّئَةً، فَلْيُقَرِّبْ أَحَدُكُمْ أَوْ لِيُبَعِّدْ" رواه أبو داود والبيهقي.

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ، فَقُلْتُ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وفِي الرَّمْضَاءِ وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ وَيَرْفَعُكَ مِنْ الْوَقْعِ، فَقَالَ: وَاللّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنبِ الْمَسْجِدِ قَالَ: فَمَا سَمِعْتُ مِنهُ كَلِمَةً أَكْرَهَ إِلَيَّ مِنهَا فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ نَبِيَّ اللّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَدَعَاهُ فَقَالَ: "مَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنزِلِي إِلَى جَنبِ الْمَسْجِدِ؟"، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "قَدْ جَمَعَ اللّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ"، وفي رواية: "لَكَ أَجْرُ مَا نَوَيْتَ"، وفي رواية: "إِنَّ لَكَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ دَرَجَةً") رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد.

هذا فضلًا عن ما في الذهاب والإياب من أجور متلاحقة، وحسنات مضاعفة، وأنوار في الدنيا والآخرة: فعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "بَشِّرْ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِنَّ اللّهَ لَيُضِيءُ لِلَّذِينَ يَتخَلَّلُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ بنورٍ سَاطِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه الطيالسي.

وفي الجمعة خاصة عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَنْ غَسَّلَ رَأسَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ"، وفي رواية: "وَغَدَا، وَابْتَكَرَ، وَمَشَى، وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنْ الْإِمَامِ، فَاستَمَعَ، وَأَنْصَتَ"، وفي رواية: "فَاسْتَمَعَ، وَلَمْ يَلْغُ،

كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا" رواه الترمذي وأبو داود والنسائي، وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: لَحِقَنِي عَبَايَةُ بْنُ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ وَأَنَا مَاشٍ إِلَى الْجُمُعَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ فَقَالَ: أَبْشِرْ؛ فَإِنَّ خُطَاكَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْسٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ"، وفي رواية: "مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ" رواه البخاري، وبعض ألفاظه عند الترمذي وأحمد، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ " متفق عليه.

الصلاة غزو في سبيل الله

بل المحافظة عليها يعدل الغزو في سبيل الله لجهاد أعداء الله، والسفر لأيام بل لأشهر لأجل الحضور للصلاة في المساجد الأربعة الفاضلة؛ فعند النسائي وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني: عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُفْيَانَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: (غَزَوْنَا غَزْوَةَ السَّلَاسِلِ فَفَاتَنَا الْغَزْوُ فَرَابَطْنَا ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ أَبُو أَيُّوبَ وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ﵄ فَقُلْتُ: يَا أَبَا أَيُّوبَ فَاتَنَا الْغَزْوُ الْعَامَ وَقَدْ أُخْبِرْنَا أَنَّهُ مَنْ صَلَّى فِي الْمَسَاجِدِ الْأَرْبَعَةِ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَدُلُّكَ عَلَى أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ؟ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ، غُفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ" أَكَذَلِكَ يَا عُقْبَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ).

ثمنها الجنة

بل هذا المولى تبارك وتعالى يتخذ عنده عهدًا لمن حافظ عليها في أوقاتها، وداوم عليها دون تضييع لها أن يدخله الجنة، فضلًا عن المغفرة من عنده: فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﵁ قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْنِدِي ظُهُورِنَا إِلَى قِبْلَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَةُ رَهْطٍ: أَرْبَعَةٌ مَوَالِينَا، وَثَلَاثَةٌ مِنْ عَرَبِنَا، إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الظُّهْرِ حَتَّى انتهى إِلَيْنَا فَقَالَ: "مَا يُجْلِسُكُمْ هَاهُنَا؟" فَقُلْنَا: نَنتظِرُ الصَلَاةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَأَرَمَّ (أي سكت) قَلِيلًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ - عز وجل -؟" فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: "فَإِنَّ رَبَّكُمْ - عز وجل - يَقُولُ: إِنِّي فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّهُ مَنْ صَلَّى الصَلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَحَافَظَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا فَلَهُ عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا لِوَقْتِهَا، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، وَضَيَّعَهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلَا عَهْدَ لَهُ عَلَيَّ إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ") رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وحسنه الألباني.

الصلاة صك عفو رباني

وإذا كانت الحدود في الإسلام كما سماها الإسلام نفسه حدودًا أي لا يمكن تجاوزها لكن هذا النبي ﷺ لما لم يعلم عن فعل الرجل لم يقم الحد عليه؛ لأنه صلى وهي كافية: فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﵁ قَالَ: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ)، وفي رواية: (أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ فَسَكَتَ عَنهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَصَلَّى بِنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا فَرَغَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ، وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟" قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟" فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ" وفي رواية: "ذَنْبَكَ "، وفي رواية: "اذْهَبْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَفَا عَنكَ") رواه مسلم وغيره بألفاظ متقاربة.

قال النووي ﵀ معلقًا على الحديث في شرحه المنهاج لصحيح مسلم بن الحجاج: (هذا الحد معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير، وهي هنا من

الصغائر؛ لأنها كفرتها الصلاة، ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له لم تسقط بالصلاة؛ فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود لا تسقط حدودها بالصلاة، هذا هو الصحيح في تفسير هذا الحديث)[١].

وأحسن منه ما قاله ابن حجر رحمه الله في الفتح: (ولعل الرجل ظن أن كل خطيئة فيها حد، فأطلق على ما فَعل حدًا، واللّه أعلم)[٢]، يريد الحافظ رحمه الله: أن خطيئة الرجل لا توجب حدًا، فعلم النبي ﷺ ذلك بواسطة جبريل عليه السلام، أو أنه علم أن الرجل جاهل في التفريق بين الذنوب التي توجب حدًا، وبين ما لا توجبه، فلم يستفصل منه النبي ﷺ؛ لعلمه بحال الرجل أنه لا يمكن أن يقترف ذنبًا؛ لعبادته وطاعته، وإنما من شدة زهده، وعبادته، وخوفه من ربه أراد التطهر من ذنبه الصغير، ويقدم نفسه لربه ليطهرها رسول اللّه ﷺ من الذنب الذي جناه وإن كان صغيرًا، وهذا هو الذي أقطع به، ويطمئن قلبي له، وأفتي الناس به، لا كما ظن بعضهم أن هذا الحديث يسقط الحدود، أو يجرّئ الناس على الذنوب صغيرها وكبيرها ثم يذهب للصلاة فإذا هي مغفورة كما يقوله البطالون، والكسالى، ودعاة المنكرات!.

١ - شرح النووي على مسلم (١٧/ ٨١).
٢ - فتح الباري - ابن حجر (٨/ ٣٥٦).

أحب الأعمال إلى الله

كما هي عادة الصحابة؛ فقد كانوا يحرصون على أن يسألوا رسول اللّه ﷺ عن تلك الأمور التي تقرّبهم من ربهم، وترفعهم عنده درجات، وتبعدهم عن تلك الذنوب المهلكات، وتجنبهم من الوصول في الدركات، فَعَنْ أُمِّ فَرْوَةَ بِنْتِ أَبِي قُحَافَةَ الْقُرَشِيَّةِ رضي الله عنها قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "الصَلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا" رواه الترمذي وأحمد، بل في البخاري ومسلم: عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللّهِ؟ قَالَ: "الصَلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ"، فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي) رواه البخاري ومسلم.

الصلاة رفعة وعزة في الدارين

وهذه العبادة العظيمة، والفريضة المباركة فيها رفعة المؤمن وعزته، وعلو شأنه، لا في الدنيا وفقط، بل وفي الآخرة وهو الأهم؛ فعند مسلم والترمذي والنسائي وأحمد: عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: (لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَنفَعُنِي اللّهُ بِهِ، وَيُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِله؛ فَإِنَّكَ لَا تسْجُدُ لِلهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً" قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ).

بل هي جالبة للحسنات، ماحية للسيئات، رافعة للدرجات؛ فعند ابن ماجه: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ للّهِ سَجْدَةً إِلَّا كَتَبَ اللّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَمَحَا عَنهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، فَاسْتَكْثِرُوا مِنْ السُّجُودِ"، وعند ابن ماجه وأحمد: عَنْ أَبِي فَاطِمَةَ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ قَالَ: "عَلَيْكَ بِالسُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَا تسْجُدُ لِلّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ بِهَا عَنكَ خَطِيئَةً"، ولأحمد وحسنه الألباني: عَنْ مُطَرِّفٍ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: قَعَدْتُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَعَلَ يُصَلِّي يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ ثُمَّ يَقُومُ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ لَا يَقْعُدُ،

فَقُلْتُ: وَاللّهِ مَا أرَى هَذَا يَدْرِي يَنصَرِفُ عَلَى شَفْعٍ أوْ وِترٍ فَقَالُوا: ألَا تقُومُ إِلَيْهِ فَتقُولَ لَهُ؟ فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللّهِ، مَا أرَاكَ تدْرِي تنصَرِفُ عَلَى شَفْعٍ أوْ عَلَى وَترٍ، قَالَ: وَلَكِنَّ اللّهَ يَدْرِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ سَجَدَ للّهِ سَجْدَةً كَتبَ اللّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ بِهَا عَنهُ خَطِيئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً"، فَقُلْتُ: مَنْ أنتَ؟ فَقَالَ: أبُو ذَرٍّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أصْحَابِي فَقُلْتُ: جَزَاكُمْ اللّهُ مِنْ جُلَسَاءَ شَرًّا، أمَرْتمُونِي أنْ أُعَلِّمَ رَجُلًا مِنْ أصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ؟!).

ثمن سجودك!

وقصة ربيعة الأسلمي ﷺ خير شاهد على ذلك، وليست بالفرائض وفقط، بل كل سجود فهو باب لمرافقته عليه الصلاة والسلام في الجنة؛ ففي صحيح مسلم عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي اَلنَّبِيُّ ﷺ: "سَلْ"، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي اَلْجَنَّةِ، فَقَالَ: "أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟" قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ قَالَ: "فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ اَلسُّجُودِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وقد جمع طرق الحديث في الجامع الصحيح[١]: عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: (كُنتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعَ، حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَأَجْلِسَ بِبَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ، أَقُولُ: لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَاجَةٌ فَآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ قَالَ: فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ ﷺ يَقُولُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ" حَتَّى أَمَلَّ فَأَرْجِعَ أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَرْقُدَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا لِمَا يَرَى مِنْ خِفَّتِي لَهُ وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ: "سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْظِرْنِي أَنْظُرُ فِي أَمْرِي ثُمَّ أُعْلِمُكَ بِذَلِكَ قَالَ: "فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ"، قَالَ: فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ زَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِآخِرَتِي؛ فَإِنَّهُ مِنْ اللَّهِ - عز وجل - بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ فَجِئْتُهُ فَقَالَ: "مَا فَعَلْتَ يَا

١ - الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لـصهيب عبد الجبار.

رَبِيعَةُ؟"، فَقُلْتُ: نعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ أسْأَلُكَ مُرَافَقَتكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: "أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟" فَقُلْتُ: هُوَ ذَاكَ فَقَالَ: "مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ؟" فَقُلْتُ: لَا وَاللّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ لِي: "سَلْنِي أُعْطِكَ" وَكُنتَ مِنْ اللّهِ بِالْمَنزِلِ الَّذِي أنْتَ بِهِ نظَرْتُ فِي أمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي، فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لِآخِرَتِي: "فَصَمَتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي: إِنِّي فَاعِلٌ؛ فَأَعِنِّي عَلَى نفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ") رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد، ولأحمد عَنْ أَبِي فَاطِمَةَ اللَّيْثِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "يَا أَبَا فَاطِمَةَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تلْقَانِي فَأَكْثِرْ السُّجُودَ".

سماها اللّه إيمانًا

وإن من عظمة الصلاة التي تجعل المسلم يخشع في صلاته، ويندفع لها اندفاع حريص عليها، محبًا لها خاشعًا ومحافظة عليها أن اللّه ﷻ سماها إيمانًا فقال في شأن تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]**، أي صلاتكم، قاله الجمهور، قال ابن كثير** رحمه الله**: (وقوله:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ **أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك لا يضيع ثوابها عند اللّه، وفي الصحيح**[1] **من حديث أبي إسحاق السَّبِيعي، عن البراء** رضي الله عنه **قال: مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فقال الناس: ما حالهم في ذلك؟ فأنزل اللّه تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾)[2].

وللبيهقي وأحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ** ﷺ**: "مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الصَلَاةِ، وَصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ"، وَعَنْ ثَوْبَانَ** رضي الله عنه **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ** ﷺ**: "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ**

---

١ – رواه أبو داود والترمذي: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي اللّه عنهما – قَالَ: "لَمَّا وُجِّهَ رَسُولُ اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – إِلَى الْكَعْبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ: كَيْفَ بِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللّهُ – عز وجل –: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

٢ – تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٨).

الصَلَاةَ" رواه ابن ماجه والحاكم وأحمد، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "الصّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرَ" رواه الطيالسي، وحسنه الألباني، وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: (آخَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا وَمَاتَ الْآخَرُ بَعْدَهُ بِجُمُعَةٍ فَصَلَّيْنا عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَا قُلْتمْ؟" فَقُلْنا: دَعَوْنا لَهُ وَقُلْنا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ أَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ؟ وَأَيْنَ صَوْمُهُ بَعْدَ صَوْمِهِ؟ وَأَيْنَ عَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ؟ فَلَمَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ") رواه النسائي وأبو داود وأحمد، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنزِلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ تمْنعانِكَ مَخْرَجَ السُّوْءِ، وَإِذَا دَخَلْتَ إِلَى مَنزِلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ يَمْنعانِكَ مَدْخَلَ السُّوْءِ" رواه البيهقي، وحسنه الألباني.

الفصل الثالث: الخشوع كيف ولماذا!

بيت القصيد، ومحور الحديث، ومن أهم ما في الكتاب الذي بين يديك أن تصل لمرتبة الخشوع، وأن تسبل الدموع بين يدي علام الغيوب، وأن تستجيب للأمر الرباني، والوحي الإلهي بالخشوع، وأن لا تتشبه بأهل الكتاب في قسوة القلب، والبعد التام عن الرب: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحديد:١٦]، ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة البقرة:٧٤]، **وأختم- وحتى لا أطيل عليك لندخل في الموضوع على السريع- بالبشرى العظيمة لك إن خشعت:** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢]، **وختمها:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٠-١١]، **فماذا تنتظر بعد هذا الفلاح؟!.**

ماذا يعني الخشوع في نظرك

والخشوع هو محور حديثنا، ومركز انطلاقتنا، وسر صلاتنا، بل وبقية طاعاتنا؛ إذ معناه قرب ربنا منا، وقربنا من مولانا وخالقنا تبارك وتعالى، وفي مدارج السالكين يقول ابن القيم رحمه الله: (واللّه سبحانه أقرب ما يكون إلى عبده عند ذله وانكسار قلبه كما في الأثر الإسرائيلي: يا رب أين أجدك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ولأجلي، ولهذا كان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[1])؛ لأنه مقام ذل وانكسار بين يدي ربه، وتأمل قول النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل أنه يقول يوم القيامة[2]: "يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني؟ قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، ابن آدم استسقيتك فلم تسقني؟

١ – حديث رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي اللّه عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه – صلى اللّهُ عليه وسلّم-: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ ".

٢ – رواه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي اللّه عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه – صلى اللّه عليه وسلم -: "إِنَّ اللّه – عز وجل – يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي؟. قَالَ يَا رَبِّ: كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي؟ قَالَ يَا رَبِّ: وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي؟ قَالَ يَا رَبِّ: كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي".

قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي، ابن آدم مرضت فلم تعدني؟ قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما إن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما لو عدته لوجدتني عنده".

فقال في عيادة المريض: "لوجدتني عنده"، وقال في الإطعام والإسقاء: "لوجدت ذلك عندي"، ففرّق بينهما؛ فإن المريض مكسور القلب، ولو كان من كان فلا بد أن يكسره المرض[١]؛ فإذا كان مؤمنًا قد انكسر قلبه بالمرض كان اللّه عنده، وهذا -واللّه أعلم- هو السر في استجابة دعوة الثلاثة: المظلوم، والمسافر، والصائم؛ للكسرة التي في قلب كل واحد منهم؛ فإن غربة المسافر وكسرته مما يجده العبد في نفسه، وكذلك الصوم فإنه يكسر سورة النفس السبعية الحيوانية ويذلها[٢].

---

١ - وصدق رحمه اللّه لكن أكثرهم ما إن يفيق من مرضه حتى يعود لمعصية ربه، وما كان عليه في سابق زمانه، ولهذا قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]

٢ - مدارج السالكين (١/ ٢٩٨).

وفي كتاب متأخر يوافق قوله قول كل متقدّم عرّف الخشوع بقوله: (والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه للّه تعالى، وانكساره بين يديه؛ ذلًا وافتقارًا، وإيمانًا به وبلقائه)[١].

وأما من حيث الأصل فقد قال الطبري رحمه الله: (وأصل الخشوع: التواضع والتذلل والاستكانة)[٢]، وفسّر أبو علي القالي رحمه الله اللغوي الشهير القنوت بالخشوع عند قول اللّه: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٣٨] **فقال: (أي مطيعين، والقنوت الخشوع، والقنوت الإقرار بالعبودية)[٣]، وجعل صاحب التعريفات الفقهية ثلاث كلمات مترادفة بمعنى واحد فقال: (الخُشوع، والخضوع، والتواضعُ بمعنى وهو الانقياد للحق)[٤].**

---

١ - تفسير السعدي (ص: ٥١).
٢ - تفسير الطبري (١/ ١٧).
٣ - البارع في اللغة أبو علي القالي (ص: ٤٦٨).
٤ - التعريفات الفقهية للبركتي (ص: ٨٦).

فروق لغوية

وعند التأمل في مترادفات الخشوع، أو ما يقارب هذه اللفظة يجعل العلماء فروقًا بينها، وهذا ابن بطال ﵀ يقول: (الفرق بين الخضوع والخشوع: قوله: خشع بمعنى خضع وذل، قال الليث: الخشوع: قريب المعنى من الخضوع غير أن الخضوع في البدن، والخشوع في القلب، والبصر، والصوت)[1]، ونجد الأصبهاني ﵀ يبين لنا ما قال الليث من فرق فقال: (الخُشُوع في الصوت والبَصَر كالخُضُوع في البدن، وقيل في تفسير قولهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [سورة المؤمنون:٢]، **خَائِفُون، وأَصلُ الخُشوع التَّطَأْطُؤ، وجَبَل خَاشع: مُتطأْطِيء)[2].**

وأما الراغب ففرّق بين الخشوع والضراعة، فجعل الخشوع للجوارح، والضراعة للقلب، فخالف الليث في بعض ما ذهب إليه؛ فالليث جعل الخشوع في القلب، ثم البصر، ثم الصوت، أما الراغب ﵀ في مفرداته فجعل الخشوع كله للجوارح فقال: (وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب)[3].

---

١ - النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب (المقدمة/ ٤١).
٢ - المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (١/ ٥٨١).
٣ - المفردات للراغب: ص ١٤٨.

وأما الفيروز آبادي رحمه الله فيقول في القاموس المحيط مؤكدًا أن الخشوع شيء، والخشوع غيره فقال: (الخُشوعُ: الخُضوعُ، أو قَريبٌ من الخُضوعِ، أو هو في البَدَنِ، والخُشُوعُ في الصوتِ، والبَصَرِ، والسُّكونُ والتَّذَلُّلُ، والخاشِعُ: المكانُ المُغْبَرُّ لا مَنزِلَ به، والمكانُ لا يُهْتَدَى له، والمُستَكِينُ، والراكِعُ)[1]**.**

وعند البغوي رحمه الله: (والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في القلب، والبدن، والبصر، والصوت، قال الله عز وجل: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨])[2] **.**

ولعل أجمع تعريف في الفروق ما جمعه الزبيدي رحمه الله في تاج العروس حيث قال: (الخُشُوعُ: الخُضُوعُ كالاخْتِشاعِ، والفِعْلُ كمَنَعَ يُقَالُ: خَشَعَ يَخْشَعُ خُشُوعاً واخْتَشَعَ، نقَلَه الجَوْهَرِيُّ، وقَالَ اللَّيْثُ: يُقَالُ: اخْتَشَعَ فُلانٌ ولا يُقَالُ: اخْتَشَعَ ببَصَرِهِ، أَوْ الخُشُوعُ: قَرِيب المَعْنَى مِن الخُضُوع، قالَهُ اللَّيْثُ، أَوْ هو، ونصُّ العَيْنِ إِلاَّ أَنَّ الخُضُوعَ في البَدَنِ: وهو الإقْرَارُ بالاسْتِخْذاءِ، والخُشُوع في الصَّوْتِ والبَصَرِ، قالَ اللّهُ تعَالَى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [سورة القلم:٤٣]، **وقُرِئَ: "خَاشِعاً أَبْصَارُهُمْ"، قالَ الزّجّاجُ: هو مَنصُوبٌ على الحالِ، وخَشَعَ ببَصَرِهِ أَيْ غَضَّهُ وهو مَجَازٌ، وفي النِّهَايَة: الخُشُوعُ في الصَّوْتِ والبَصَرِ كالخُضُوعِ في البَدَنِ،**

---

١ – القاموس المحيط (ص: ٧١٣).
٢ – تفسير البغوي (٥/ ٤٠٨).

ومِنهُ حَدِيثُ جابِرٍ ﷺ: أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَيْنا[1] فقالَ: "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللّهُ عَنهَ؟" قالَ: فخَشَعْنا أي خَشِينا وخَضَعْنا، قالَ: وهكَذَا جاءَ في كِتابِ أَبِي مُوسَى والَّذِي جاءَ في كِتابِ مُسْلِمٍ: فجَشِعْنا بالجِيمِ وشَرَحه الحُمَيْدِيّ في غَرِيبِه فقالَ: الجَشَعُ: الفَزَعُ والخَوْفُ، والخُشُوعُ: السُّكُونُ والتَّذَلُّلُ، ومِنهُ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة طه:١٠٨]، **أي انْخَفَضَتْ، وقِيلَ: سَكَنَتْ، وكُلُّ سَاكِنٍ خَاضِعٌ وخَاشِعٌ)[2].**

وفي مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله يقول: (والخشوع في أصل اللغة: الانخفاض والذل والسكون قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة

---

١ - يريد النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث في البخاري ومسلم وغيره بألفاظ جمعها صاحب الجامع الصحيح: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّم -: ("رَأَى رَسُولُ اللّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّم - نُخَامَةً فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ فَحَكَّهَا بِيَدِه ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّه فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ؟ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِه؟ أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟" قَالَ: فَخَشَعْنَا ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟" قَالَ: فَخَشَعْنَا ثُمَّ قَالَ: "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟" قُلْنَا: لَا أَيُّنَا يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: "فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِه فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ فَلَا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِه؛ فَإِنَّ اللّهَ قِبَلَ وَجْهِه إِذَا صَلَّى" وفي رواية: "فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلَا يَبْصُقَنَّ أَحَدُكُمْ عَنْ يَمِينِه؛ فَإِنَّ كَاتِبَ الْحَسَنَاتِ عَنْ يَمِينِه، وَلَكِنْ لِيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِه إِنْ كَانَ فَارِغًا، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْه". وفي رواية: "أَوْ تَحْتَ قَدَمِه الْيُسْرَى فَيَدْفِنُهَا أَوْ خَلْفَهُ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَتْفُلْ هَكَذَا: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّم - طَرَفَ رِدَائِه فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ". وفي رواية: "فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَفِي ثَوْبِه ثُمَّ لِيَخْرُجْ بِه").

٢ - تاج العروس (ص: ٥١٨٦).

طه:١٠٨]، **أي سكنت وذلت وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع وهو يبسها وانخفاضها وعدم ارتفاعها بالري والنبات قال تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [سورة فصلت:٣٩])[1].

وأخيرًا أنقل الخشوع عند أهل السلوك وأكتفي بقول الحارثي المشهور بأبي طالب المكي رحمه الله: **(والخشوع هو انكسار القلب، وإخباته، وتواضعه، وذلته، ثم لين الجانب، وكفّ الجوارح، وحسن سمت، وإقبال، والمداومة، والمواظبة عليها، وسكون القلب والجوارح فيها)[2]، وبقول ابن القيم** رحمه الله: **(الخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والجمعية عليه)[3].**

---

١ - مدارج السالكين (١/ ٥٢٠).

٢ - قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ١٦٦).

٣ - مدارج السالكين (١/ ٥٢١).

فرق بين خشوعين

وهنا يجدر التنبيه للفرق بين خشوعين، أو خاشعَين: متصنّع، متكلّف للخشوع، ومؤمن خاشع حقًا؛ فقد قال اللّه ﷻ عن أهل النار وهم أهل النار: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [سورة القلم:٤٣]، **وفي أخرى:** ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [سورة المعارج:٤٤]، **وقال:** ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ [سورة النازعات:٩]، **وفي الغاشية:** ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [سورة الغاشية:٢]، **مع أنه قال بعدها:** ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾ [سورة الغاشية: ٣-٤]، **والكل سماه اللّه ﷻ خشوعًا، غير أن الفرق بينهما كما بين المشرق والمغرب؛ فذاك خشوع موصل للجنة، والأخير خشوع لكنه موصل للنار!.**

وفي كلام ابن القيم رحمه الله ما يجلّي المسألة ويوضحها، ويزيل لبسها، ويكشف ستارها وهو يبين حقيقة الخشوعين فقال: (والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق، أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب للّه بالتعظيم، والإجلال، والوقار، والمهابة، والحياء، فينكسر القلب للّه كسرة ملتئمة من الوجل، والخجل، والحب، والحياء، وشهود نعم اللّه وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه خشوع الجوارح.

وأما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح؛ تصنعًا وتكلفًا، والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ باللّه من خشوع النفاق قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعًا والقلب غير خاشع؛ فالخاشع للّه عبد قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر، وأشرق فيه نور العظمة، فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشي به، وخمدت الجوارح، وتوقّر القلب، واطمأن إلى اللّه وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبتًا له.

والمخبت المطمئن؛ فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء، فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن، كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء فيستقر فيها، وعلامته: أن يسجد بين يدي ربه؛ إجلالًا وذلًا وانكسارًا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه، وأما القلب المتكبر فإنه قد اهتز بتكبره وربا فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء، فهذا خشوع الإيمان.

وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح؛ تصنعًا ومراءاة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات، فهو يخشع في الظاهر وحية الوادي، وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة)[1] أ.هـ.

---

١ - الروح (ص: ٢٣٣).

فخشوع الإيمان خشوع صادر عن تعظيمٍ لِله في قلبه، فسكن القلب به، وامتلأ بتعظيم اللّه فظهر ذلك على جوارحه دون تكلّف أو تصنّع، وأما خشوع النفاق فصادر عن الجوارح؛ ليقال هو خاشع القلب، وليس في القلب أي خشية وتعظيم للّه، ثم يزول سريعًا، ويظهر كذبه على وجهه وفلتات لسانه، أما خشوع الإيمان فثابت ثبات الجبال الراسيات، ولهذا يصور ابن رجب الحنبلي رحمه الله خشوع النفاق الظاهري، الكاذب الزائف بقوله: (فمن أظهر للناس خشوعًا فوق ما في قلبه فإنما هو نفاق على نفاق)[١].

ويصوره ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى تصويرًا آخر حيث قال: (وإسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح؛ فما من بدن حي إلا وفيه روح ولكن الأرواح متنوعة كما قال النبي ﷺ: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تعَارَفَ مِنهَا ائْتلَفَ، وَمَا تناكَرَ مِنهَا اختلَفَ"[٢)، وليس كل من صلّى ببدنه يكون قلبه منورًا بذكر اللّه، والخشوع، وفهم القرآن، وإن كانت صلاته يثاب عليها، ويسقط عنه الفرض في أحكام الدنيا، فهكذا الإسلام الظاهر بمنزلة الصلاة الظاهرة، والإيمان بمنزلة ما يكون في القلب حين الصلاة من المعرفة باللّه، والخشوع، وتدبر القرآن، فكل من خشع قلبه خشعت جوارحه، ولا ينعكس، ولهذا قيل: إياكم وخشوع النفاق، وهو أن يكون الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع، فإذا

---

١ – الذل والانكسار للعزيز الجبار لابن رجب الحنبلي ص٤٦.

٢ – رواه البخاري ومسلم: عَنْ عائشة – رضي اللّه عنها – قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ – صلى اللّه عليه وسلم –: وذكرت الحديث.

صلح القلب صلح الجسد كله، وليس إذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائمًا بحقائقها)[1].

ولا يقل قائل فانا في بعد عن النفاق وخشوعه؛ فهؤلاء أتقى الناس للّه بعد رسول اللّه ﷺ يخافون النفاق على أنفسهم رضي الله عنهم: (تاللّه لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين؛ لعلمهم بدقه، وجله، وتفاصيله، وجملة ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحذيفة رضي الله عنه: "يا حذيفة نشدتك باللّه هل سماني لك رسول اللّه ﷺ منهم؟ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحدا"، وقال ابن أبي مليكة رحمه الله: "أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل عليهما السلام: ذكره البخاري، وذكر عن الحسن البصري رحمه الله: "ما أمنه إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن"، ولقد ذُكر عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه كان يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق، قال أن يرى البدن خاشعًا، والقلب ليس بخاشع)[2].

وأختم بالإجماع الذي نقله ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين إذ قال: (وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تظهره، رأى النبي ﷺ رجلًا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع قلب هذا

---

١ - مجموع الفتاوى (٧/ ٣٦٧).
٢ - مدارج السالكين (١/ ٣٥٨).

لخشعت جوارحه[١] وقال النبي ﷺ: "التقوى ههنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات"، وقال بعض العارفين: حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، ورأى بعضهم رجلًا خاشع المنكبين والبدن فقال: يا فلان الخشوع ههنا، وأشار إلى صدره، لا ههنا وأشار إلى منكبيه، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو حذيفة رضي الله عنه يقول: إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا طأطأ رقبته في الصلاة فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك؛ ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب، ورأت عائشة رضي الله عنها شبابًا يمشون ويتماوتون في مشيتهم فقالت لأصحابها: من هؤلاء؟ فقالوا: نساك، فقالت: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطعم أشبع، وكان هو الناسك حقًا، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: كان يكره أن يرى الرجل من

---

١ - ونقله بعضهم كموقوف للفاروق رضي الله عنه، وأهل التحقيق أنه من كلام سعيد ابن المسيب وهو الذي نقله البيهقي بسنده إلى ابن المسيب فقال: (رُوِّينَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَعْبَثُ بِالْحَصَى فَقَالَ : لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ)، ومثله ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة - ترقيم عوامة (٢/ ٢٨٩)، السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (٢/ ٢٨٥)، والبغوي: شرح السنة للبغوي (٣/ ٢٦١)، وعبدالرزاق في مصنفه: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٢٦٦)، وابن المبارك في الزهد: الزهد لابن المبارك (ص: ٤١٩)، ورواه المروزي عن حذيفة بن اليمان، ومرة عن ابن المسيب: تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٩٤)، والعجيب أن بعضهم يجعله حديثًا لرسول الله كأبي نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٢٣٠)، قال العراقي: (رواه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم) ا.هـ تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١/ ٣٣٩)..

الخشوع أكثر مما في قلبه، وقال حذيفة ﷺ: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورب مصل لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعًا، وقال سهل ﷺ: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان)[١]**.**

١ - مدارج السالكين (١/ ٥٢١).

لماذا الخشوع!

يهون عليك أن تعلم لعلك بدمعة، بلحظة، بغمضة عين تحرم من النار، وتدخل الجنة، بل أعلاها؛ فقد روى الترمذي وأبو يعلى والحاكم وصححه وكذلك الألباني عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، وهذه ضمانة من رسول الله ﷺ ويكفي بها ضمانة: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [سورة النجم:٣-٤]، قال المناوي ﵀ في التيسير شارحًا للحديث: (أي لا تمس صاحبهما، فعبر بالجزء عن الجملة، وعبر بالمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى: "عين بكت من خشية الله" أي من خوف عقابه أو مهابة جلاله)[1].

يؤكّد الحديث السابق ما رواه الترمذي والنسائي وأحمد وصححه الألباني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَبْكِي أَحَدٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَطْعَمَهُ النَّارُ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ"، ويستحيل عقلًا وعادة أن يعود اللبن المحلوب في الضرع الذي خرج منه، وهو تعليق بمحال كما علّق الله دخول الكافرين الجنة بمحال أيضًا وهو دخول الجمل في ثقب إبرة الخياطة المعروفة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا

---

١ - التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٢٩٣).

يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ [سورة الأعراف:٤٠]، **قال ابن كثير** رحمه الله: **(هكذا قرأه الجمهور، وفسروه بأنه البعير، قال ابن مسعود** رضي الله عنه: **هو الجمل ابن الناقة، وفي رواية: زوج الناقة، وقال الحسن البصري** رحمه الله: **حتى يدخل البعير في خُرْق الإبرة، وكذا قال أبو العالية، والضحاك، وكذا روى علي بن أبي طلحة، والعَوْفي -رحمهم الله- عن ابن عباس** رضي الله عنهما**)**(١).

فهنيئًا لمن سعد بسقوط ولو دمعة من خشية اللّه تعالى فيفوز بذلك جنة مضمونة من رسول اللّه ﷺ، قال ابن علان في دليل الفالحين: ("حتى يعود اللبن في الضرع" أي يدخل من مسامه إليه، أي وذلك محال عادة فتعلق ولوج الخائف الوجل من اللّه تعالى، العارف بجلاله، القائم بما تقتضيه الخشية من امتثال الأوامر، واجتناب النواهي بعود اللبن إلى الضرع، والمراد بالولوج الدخول فيها، فلا ينافي وجوب المرور عليها المفسر به الورود، أما من لم يقم بقضية الخشية مما ذكر، ومات على غير الشرك من المعاصي فأمره إلى مولاه إن شاء أدخله الجنة مع الفائزين، وعفا عنه ما جناه، وإن شاء حبسه بالنار قدر ما سبق في علمه ثم أدخله الجنة لإيمانه بمحض فضله، وما ذكرت من أن المراد عود اللبن إلى الضرع من مسامها ليكون محالاً عاديًا، وإلا فقد صرح الفقهاء بأن اللبن إذا

---

١ – تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٤).

تنجس أمن تطهيره بأن تسقاه نحو الشاة ثم يخرج من ضرعها طاهرًا، وكذا إذا تنجس العسل يسقاه النحل ثم يمجه طاهراً)(١).

وللترمذي والطبراني وصححه الألباني: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ"، وهنا النفي الجازم بأن قطرة الدموع مع قطرة المجاهد يقتل أو يجرح في سبيل الله أحب إلى الله من كل شيء، ومن ذا يساوي المجاهد إلا من قدّم بكاء لحظات في محراب من محاريب العبادات، فارتفع وسما إلى أعلى الدرجات، فمن يا تراه يضيع الفرصة، وتفوته المنحة؟!.

ثم هذا حديث صححه الألباني يدفع المؤمن للخشوع، ويشجعه على الخضوع؛ كونه وهبه ﷺ طوبى، وهي شجرة في جنة الله العليا يسير الراكب عليها مائة عام لا يقطعها فَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ" وصححه الألباني، وفي حديث آخر بيّن لنا ﷺ ما هي طوبي فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "طُوبَى شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مَسِيرَةَ مِائَةَ عامٍ ثِيَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا" رواه الطبراني وأحمد وحسنه الألباني.

١ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤/ ٢٢٠).

وقد صحح الحاكم حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ ذَكَرَ اللّهَ فَفَاضَتْ عَيناهُ من خَشْيَةِ اللّهِ حَتَّى يُصِيبَ الأَرْضَ مِن دُمُوعِهِ لَمْ يُعَذِّبهُ اللّهُ يَوْمَ الْقيَامَةِ"، وكتطبيق عملي من حياته ﷺ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ اَلْمِرْجَلِ مِنْ اَلْبُكَاءِ" أَخْرَجَهُ اَلْخَمْسَةُ إِلَّا اِبْنَ مَاجَهْ وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ.

فهذه الأحاديث السابقة إضافة إلى ذلك الحديث المتداول المشهور: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ[1]: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ"، وفي رواية: "إِذَا خَرَجَ مِنهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ[2]، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللّهَ

---

١ - قال الكرماني: (قوله "في ظله" إضافة الظل إلى اللّه إضافة تشريف، وكل ظل فهو للّه وملكه، وأما الظل الحقيقي فهو منزه عنه؛ لأنه من خواص الأجسام، أو ثمة محذوف أي ظل عرشه، والمراد من لا ظل إلا ظله يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس، واشتد عليهم حرها، وأخذهم العرق، ولا ظل لشيء هناك إلا للعرش، وقيل المقصود من الظل هنا الكرامة والكنف من المكاره في ذلك الموقف، يقال فلان في ظل فلان أي في كنفه وحمايته) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٥/ ٤٦).

٢ - وقع قلب في بعض الروايات كما عند مسلم: "حتى لا تعلم يمينه ما أنفقت شماله"، والشمال لا تنفق، إنما انقلب الحديث على بعض الرواة فحصل تقديم، وتأخير كما حقّقه العلماء، قال الأثيوبي: (قَالَ فِي الفتح: هكذا وقع فِي معظم الروايات فِي هَذَا الْحَدِيث فِي البخاريّ وغيره، ووقع فِي "صحيح

حَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" رواه البخاري ومسلم، والأخير: "وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ حَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" هو ما نريد، ففاز بظلال العرش ببكاء قليل لم يصل للفرش، وهي نعمة ينعم الله بها على من يشاء، ويتفضل بها على قليل ممن اصطفى:

﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ

مسلم" مقلوبًا: "حَتَّى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله"، وهو نوع منْ أنواع علوم الْحَدِيث، أغفله ابن الصلاح، وإن كَانَ أفرد نوع المقلوب، لكنه قصره عَلَى ما يقع فِي الإسناد، ونبه عليه شيخنا -يعني البلقينيّ- فِي "محاسن الاصطلاح"، ومثل له بحديث: "إن ابن أم مكتوم يؤذن بليل"، وَقَدْ قدمنا الكلام عليه فِي "كتاب الأذان"، وَقَالَ شيخنا: ينبغي أن يسمى هَذَا النوع المعكوس. انتهى.
قَالَ الحافظ: والأولى تسميته مقلوبا، فيكون المقلوب تارة فِي الإسناد، وتارة فِي المتن كما قالوه فِي المدرج سواء، وَقَدْ سماه بعض منْ تقدّم مقلوبا. قَالَ عياض: هكذا فِي جميع النسخ التي وصلت إلينا منْ "صحيح مسلم"، وهو مقلوب، والصواب الأول، وهو وجه الكلام؛ لأن السنة المعهودة فِي الصدقة إعطاؤها باليمين، وَقَدْ ترجم عليه البخاريّ فِي "الزكاة" - "باب الصدقة باليمين"، قَالَ: ويشبه أن يكون الوهم فيه ممن دون مسلم، بدليل قوله فِي رواية مالك، لَمّا أوردها عقب رواية عبد الله بن عمر، فَقَالَ بمثل حديث عبيد الله، فلو كانت بينهما مخالفة لبينها، كما نبه عَلَى الزيادة فِي قوله: "ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه حَتَّى يعود إليه". انتهى.
قَالَ الحافظ: وليس الوهم فيه ممن دون مسلم، ولا منه، بل هو منْ شيخه، أو منْ شيخ شيخه يحيى القطّان، فإن مسلما أخرجه، عن زهير بن حرب، وابن نمير كلاهما عن يحيى، وأشعر سياقه بأن اللفظ لزهير، وكذا أخرجه أبو يعلى فِي "مسنده" عن زهير، وأخرجه الجوزقي فِي "مستخرجه" عن أبي حامد بن الشرقي، عن عبد الرحمن ابن بشر بن الحكم، عن يحيى القطّان كذلك، وعَقّبَه بأن قَالَ: سمعت أبا حامد بن الشرقي يقول: يحيى القطّان عندنا واهم فِي هَذَا، إنما هو: "حَتَّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه") ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٩/ ٢١٠).

ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد:٢٩]، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة آل عمران:٧٤]، **فهلا تحركت نفسك لتكون من الصفوة، وتنجو بنفسك ببكية لحظة لتجتاز هنالك من النار والحسرة التي لا قبلها ولا بعدها حسرة.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فذكر ﷺ هؤلاء السبعة؛ إذ كل منهم كمل العبادة التي قام بها، وقد صنّف مصنف في نعتهم سماه: اللمعة في أوصاف السبعة، فالإمام العادل كمل ما يجب من الإمارة، والشاب الناشئ في عبادة اللّه كمل ما يجب من عبادة اللّه، والذي قلبه معلق بالمساجد كمل عمارة المساجد بالصلوات الخمس لقوله:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ﴾ **والعفيف كمل الخوف من اللّه، والمتصدق كمل الصدقة للّه، والباكي كمل الإخلاص)**[١]**.**

وقال أبو بكر بن العربي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: "وَرَجلٌ ذَكَرَ اللّهَ خَاليا فَفَاضَت عَيناه" خصّ ﷺ الخالي بذلك؛ لأنّه أبعد من الرياء والسُّمعة وطلب الذِّكْر، فما كان في حال الخَلوَة من ذكر اللّه تعالى، واستشعار خشيته حتى تفيض عيناه؛ فإنّه خالص للّه تعالى لا يشوبه غيره، والخَلوَةُ والفكرةُ في أمر الآخرة نافعةٌ، وخوفُ اللّهِ، وذِكرُ الجنَّةِ والنّارِ، والحساب والعقاب نافع للقَلب، لا على ما تفعله**

١ - مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٤٤).

الصّوفية من الانفراد والتفكير في اللّه تعالى حتى تدعي عند ذلك حال المكاشفة؛ فإنّه أمرٌ لا يدرك إِلَّا في نادر من الخَلْقِ)[1].

وقال ابن الملقن رحمه الله: ("ورجل ذكر اللّه خاليًا ففاضت عيناه"، فيه: فضيلة البكاء من خشية اللّه تعالى، وفضل طاعة السر؛ لكمال الإخلاص، وهو على حسب حال الذاكر، وبحسب ما يتكشف له من أوصافه تعالى، فإن انكشف له غضبه وسخطه فبكاؤه من خوف، وإن انكشف جلاله وجماله فبكاؤه من محبة وشوق، وهكذا يتلون الذاكر بتلون ما يذكر من الأسماء والصفات، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٥٢]، ومن ذكره لم يعذبه؛ لأنه يعلم من يموت على الهدى وضده، ولا يذكر إلا من يموت على الهدى، قاله الداودي، وفي اشتراط الخلوة بذلك حض وندب على أن يجعل المرء وقتًا من خلوته للندم على ذنوبه، ويفزع إلى اللّه تعالى بإخلاص من قلبه، ويتضرع إليه في غفرانها، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه، وأن لا يجعل خلوته كلها في لذاته كفعل البهائم التي قد أمنت الحساب في المساءلة عن الفتيل والقطمير على رؤوس الخلائق، فينبغي لمن لم يأمن ذلك، وأيقن أن يطول في الخلوة بكاؤه، ويتبرم بجنانه، وتصير الدنيا سجنه لما سلف من ذنوبه)[2].

---

١ - المسالك في شرح موطأ مالك (٧/ ٤٩٨).
٢ - التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦/ ٤٥٤).

أما الآيات في كتاب الله عن فضل الخشوع فكثيرة لو استفصلنا فيها، وأخذنا بيان معناها لطال بحثنا لكن أهمها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢]، **ثم قال:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٠-١١]، **ويكفيهم هذا الشرف، وهذه المنحة، والمزية العظيمة، والفضيلة الكبيرة.**

ويكفي الخاشع أيضًا أنه بخشوعه يركب مركب الأولياء، ويلحق بزمرة الأنبياء، ويصل لمرتبة الأصفياء، ممن اجتباهم الله، وهداهم، واختارهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [سورة مريم:٥٨]**، وهذا رسول الله ﷺ كان يصلي وفي صدره أزيز فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْمَسْجِدَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنْ الْبُكَاءِ"** رواه أبو داود **والنسائي وأحمد وصححه الألباني، ولأحمد وابن ماجه وغيرهما وصححه الألباني: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ جَثَا عَلَى الْقَبْرِ، فَاسْتَدَرْتُ فَاسْتَقْبَلْتُهُ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ: "إِخْوَانِى لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا").**

وفي صحيح مسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ﵄ قَالَ: "تلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَ اللَّهِ - عز وجل - فِي إِبْرَاهِيمَ ﵇: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم:٣٦]، **وَقَوْلَ عِيسَى** ﵇: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة:١١٨]، **فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أُمَّتِي، أُمَّتِي"، وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ - عز وجل -: "يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟" فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﵇ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ: "يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ".**

وقد روت عائشة ﵂ ليلة من أعجب لياليه عليه الصلاة والسلام: فَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ ﵂ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا؟ فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّاهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: "يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي" فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: "فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ ﵁ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا

وَلَمْ يَتفكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:١٦٤]" **رواه ابن حبان وصحّحه، وكذا الألباني.**

فضلًا على أن الخشوع صفة ملازمة لأولي العلم، بل الخشوع في حد ذاته علم سماه أبو الدرداء ﷺ كما رواه الترمذي: "أَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تدْخُلَ المَسْجِدَ الجامع فَلَا ترَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا"[١]، ويؤكد ذلك حذيفة بن اليمان ﷺ بل جعله من صلب الدين، ومقابلًا للصلاة؛ فقد قال ﷺ: (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة)، فمن أوتي الخشوع فقد أوتي خيرًا كثيرًا: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ

---

١ - وله قصة قال أبو الدَّرْدَاءِ: كُنَّا مَعَ النبي - صلى اللّه عليه وسلم - فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُون مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ". فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ فَوَاللّه لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ أَبْنَاءَنَا ونساءَنَا فَقَالَ - صلى اللّه عليه وسلم -: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ" قَالَ جُبَيْرٌ: (فَلَقِيتُ عُبَادَةَ ابْنَ الصَّامِتِ، فقُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ الَّذِي قَالَ، فقَالَ: صَدَقَ إِنْ شِئْتَ حَدثتك بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ أول علم يرفع مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ المَسْجِدَ الجامع فَلَا تَرى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا)، غير أن بعضهم يذكر أن أبا الدرداء رفعه لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [سورة الإسراء:١٠٧-١٠٩].

وهذه صفة لازمة لأوليائه، وأنبيائه: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠].

وأما عن الصحابة رضي الله عنهم الذين هم أولو العلم والخشية حقًا فحدّث ولا حرج، ويكفي أن أذكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ ثم الفاروق رضي الله عنه ففي البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ"، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ" قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ رضي الله عنها قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ رضي الله عنها، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ"، وفي البخاري في قصته مع ابن الدغنة الذي كان الصديق رضي الله عنه بجواره من أذى قرش بداية الإسلام ومنها: "ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي

فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُم وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنهُ، وَيَنظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ".

وأما عمر ففي حلية الأولياء: عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عِيسَى رحمه الله قَالَ: (كَانَ فِي وَجْهِ عُمَرَ خَطَّانِ أَسْوَدَانِ مِنَ الْبُكَاءِ)[١]، ويكفيه أنه مرض مرة لسماعه لآيات من القرآن ترتل، وعاده الناس في مرضه لا يدرون ما به!.

وعند البيهقي: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: قَالَتْ لِي فَاطِمَةُ بِنتُ عَبْدِ الْمَلِكِ -امْرَأَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ- : يَا مُغِيرَةُ، إِنَّهُ يَكُونُ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ صَلَاةً وَصِيَامًا مِنْ عُمَرَ رحمه الله، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَشَدَّ فَرَقًا مِنْ رَبِّهِ مِنْ عُمَرَ، كَان اذَا صَلَّى الْعِشَاءَ قَعَدَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنُهُ، ثُمَّ يَنتبِهَ فَلَمْ يَزَلْ رَافِعًا يَدَيْهِ يَبْكِي حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنُهُ"[٢].

ولا يفوتوني هنا أن أذكر موقف الصحابي عباد بن بشر رضي الله عنه؛ فقد أصابه سهمٌ وهو في صلاته فأزاله ورماه وأتمّ صلاته كما في البخاري عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَرُمِيَ رَجُلٌ بِسَهْمٍ، فَنَزَفَهُ الدَّمُ، فَرَكَعَ، وَسَجَدَ وَمَضَى فِي صَلَاتِهِ"، وجاءت القصة مفصلة في غيره كأبي داود وأحمد

---

١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٥١).
٢ - وانظر الزهد لابن المبارك (ص: ٣٠٨).

وابن حبان والحاكم: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﵄ قَالَ: (خَرَجْنا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةَ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أَنْ لَا يَنتهِيَ حَتَّى يُهَرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَخَرَجَ يَتبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنزِلًا فَقَالَ: "مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنا؟" فَانتدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنصَارِ[١] فَقَالَ: "كُونا بِفَمِ الشِّعْبِ" قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرُ وَقَامَ الْأَنصَارِيُّ[٢] يُصَلِّي، وَأَتى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَهُ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةٌ لِلْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنزَعَهُ حَتَّى رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ انْتبَهَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ هَرَبَ فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرُ مَا بِالْأَنصَارِيِّ مِنَ الدَّمِ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَا أَنبَهْتنِي أَوَّلَ مَا رَمَى؟ قَالَ: كُنتَ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنفِذَهَا، فَلَمَّا تابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأَرَيْتكَ وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنفِذَهَا).

بل نجدهم يعاقبون أنفسهم إن انفتلوا عن صلاتهم، أو تشاغلوا فيها بغير ربهم، أو التفتوا لدنيا فانية، وزخارف ذاهبة، وهذا أبو طلحة ﵁ كما روى البيهقي يتصدق ببستانه؛ لأنه تلهى بعصفور في صلاته فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى

---

١ - هُمَا: عَمَّار بْن يَاسِر، وعَبَّاد بْن بِشْر رضي اللّه عنهم سَمَّاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ.
٢ - عَبَّاد بْن بِشْر رضي اللّه عنه.

بَكْرٍ: (أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِي ﷺ كَانَ يُصَلِّي فِي حَائِطٍ لَهُ فَطَارَ دُبْسِيٌّ[1]، فَطَفِقَ يَتَرَدَّدُ يَلْتَمِسُ مَخْرَجًا فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، فَجَعَلَ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ سَاعَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَلاَتِهِ، فَإِذَا هُوَ لاَ يَدْرِى كَمْ صَلَّى؟ فَقَالَ: لَقَدْ أَصَابَنِي فِي مَالِي هَذَا فِتْنَةٌ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ الَّذِى أَصَابَهُ فِي حَائِطِهِ مِنَ الْفِتْنَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ صَدَقَةٌ فَضَعْهُ حَيْثُ شِئْتَ).

وفي موطأ الإمام مالك رحمه الله: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يُصَلِّي فِي حَائِطٍ لَهُ بِالْقُفِّ - وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ - فِي زَمَانِ الثَّمَرِ، وَالنَّخْلُ قَدْ ذُلِّلَتْ، فَهِيَ مُطَوَّقَةٌ بِثَمَرِهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ ثَمَرِهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَلاَتِهِ فَإِذَا هُوَ لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى؟ فَقَالَ: لَقَدْ أَصَابَتْنِي فِي مَالِي هَذَا فِتْنَةٌ، فَجَاءَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه- وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ - فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: هُوَ صَدَقَةٌ فَاجْعَلْهُ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ، فَبَاعَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه بِخَمْسِينَ أَلْفًا، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَالُ الْخَمْسِينَ.

وعند البيهقي وضعّفه الألباني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ﴾ [سورة النجم:٦٠-٦١]، بَكَى أَصْحَابُ الصُّفَّةِ رضي الله عنهم حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ

---

١ - وهو الطائر الصغير (ذكر اليمام) جامع الأصول في أحاديث الرسول (١١/ ٢٠).

ﷺ حَنِينَهُمْ بَكَى مَعَهُمْ فَبَكَيْنَا بِبُكَائِهِ فَقَالَ ﷺ: "لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرٌّ عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ".

ولما أدرك رجل عابد، زاهد، تقي، صحابي، جليل قيمة البكاء من خشية اللّه كعبداللّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (لَأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رحمه الله: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَا تُصِيبُ دُمُوعُ الْإِنْسَانِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مَكَانًا مِنْ جَسَدِهِ إلَّا حَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَكَانَ عَلَى النَّارِ، وَقَالَ الْكِنْدِيُّ رحمه الله: الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تُطْفِئُ الدَّمْعَةُ مِنْهُ أَمْثَالَ الْبِحَارِ مِنْ النَّارِ)[١].

وفي مدخل ابن الحاج نرى حرقة السلف، ومدى خوفهم، وبكائهم بين يدي ربهم تبارك وتعالى: (قال الفربري: اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض رحمه الله فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي، ولحيته ترجف، فقال: عليكم بالقرآن، عليكم بالصلاة، ويحكم ليس هذا زمان حديث، إنما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق، إنما هذا زمان احفظ فيه لسانك، واخفِ مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وقال كعب الأحبار رحمه الله: والذي نفسي بيده؛ لأن أبكي من خشية اللّه تعالى حتى تسيل دموعي

١ - الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٣٧).

على خدي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب، وقال وهب بن منبه رحمه الله: فقد زكريا ابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام فوجده بعد ثلاث مضطجعًا على قبر وهو يبكي، فقال له: ما هذا يا بني؟ فقال: أخبرتني أن جبريل أخبرك أن بين الجنة والنار مفازة لا يطفئ حرها إلا الدموع، فقال ابكِ يا بني)[١].

وهذا ربنا تبارك وتعالى استبطأ الصحابة رضي الله عنهم وخشوهم، وحذرنا وإياهم من أن نكون كأهل الكتاب الذين قست قلوبهم، وغفلوا عن ربهم، وتناسوا ما بين أيديهم فقال: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحديد:١٦]، فاحذرهم وإلا كنت منهم، وهو تحذير رباني ضِمني من أن نصبح كأهل الكتب من قسوة قلب، وجمود عين ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ من ذلك: فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا") رواه مسلم، هذا وهو رسول الله ﷺ فكيف بنا نحن، وما هو خوفنا حتى لا نكون مثلهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ

---

١ - المدخل لابن الحاج (٣/ ١٦٠).

وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة البقرة:٧٤].

والشيء الملفت أن الله ذكر بعد الآية قبل الماضية: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحديد:١٦]، **حياة الأرض بعد جدبها، وزرعها بعد يبسها:** ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة الحديد:١٧]، **فكأنه يقول: في الخشوع حياة قلوبكم، ومصدر أنسكم، وراحتكم، وانشراح صدوركم، أنا المتكفّل بإيجاده فيكم كما أحييت الأرض أحيي القلب، فلماذا لا تعودون إلي، وتنتصبون بين يدي، وتتلذذون بمناجاتي:** ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة الحديد:١٦-١٧].

وفي تفسير السعدي رحمه الله: (أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق

الذي جاء به محمد ﷺ؟ وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله ﷺ، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله، ولم ينقد لشرائع الله)[1].

ثم هذا ربنا ﷻ ومولانا يبشرنا إن خضعنا له، وخشعنا لعظمته: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ

١ - تفسير السعدي (ص: ٨٤٠).

﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الحج:٣٤-٣٥]، **قال ابن كثير** رحمه الله **بعد أن ذكر بعض أقوال السلف في المخبتين: (وأحسن ما يفسّر بما بعده وهو قوله:** ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ **أي: خافت منه قلوبُهم،** ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ **أي: من المصائب)**[1]**، وهي كقول الله في صفات المؤمنين:** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢-٣ ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [سورة الأنفال:٤].

وفي كتاب الروح يقول ابن القيم رحمه الله**: (والمخبت المطمئن؛ فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء، فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء فيستقر فيها، وعلامته: أن يسجد بين يدي ربه إجلالًا وذلًا وانكسارًا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه، وأما القلب المتكبر فإنه قد اهتز بتكبره وربا فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء، فهذا خشوع الإيمان)**[2].

---

١ – تفسير ابن كثير (٥/ ٤٢٥)

٢ – الروح (ص: ٢٣٣).

وإذا كان جبل غير مكلف، ولا عاقل، لو نزل عليه القرآن لخشع، وتصدع؛ لعظمة ما نزل عليه، فأي قلوب ملكناها، وأي عقوبة نزلت عليها، وأي قسوة حلت بها: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢١]!.

ولقد كان القدوة والأسوة ﷺ أكثر بكاء عند قراءته لما أنزل الله عليه ففي البخاري ومسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اقْرَأْ عَلَيَّ" قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: "إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي"، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء:٤١]، فَقَالَ: "حَسْبُكَ الْآنَ"، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ)، هذا هو حاله مع كتاب الله تعالى لا يتمالك نفسه أن يبكي، ولو في الملإ فكيف به في الخلاء عليه الصلاة والسلام.

وإن مما يدفع المؤمن ويرفع حماسه للخشوع أن الله أعد له جنات النعيم؛ لخشوعه، وخوفه من ربه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٣٥].

احذر من ترك الخشوع

إذا علم المسلم أن صلاته مردودة، وأن فلاحه متوقف على صلاته، وأن العلماء اختلفوا في صحة صلاة من لم يخشع فيها، وأن بين صلاتنا وبين صلاة السلف بون شاسع، وفرق عجيب مذهل، وأنه لن ينتفع بها في واقع حياته إلا بقدر حضوره فيها، ومدى خشوعه حين يصليها، لعله بذلك يستدرك، ويقف وقفة جهاد لنفسه، وهواه، وشيطانه قبل ذلك؛ لينصرف عنه ما يجد، ويخشع في صلاته كما يجب.

يخرج من صلاته بلا صلاة!

ألم يدرك ذلك الذي لا يحضر ذهنه فيها، ولا يقبل على ربه بقلبه حين يعقدها، ولا يبالي بها حين يدخلها أنه يخرج منها كما أخبر نبينا ﷺ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عُشْرُهَا، تِسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا"، فَعَنْ ابْنِ لَاسٍ الْخُزَاعِيِّ رحمه الله قَالَ: (دَخَلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رضي الله عنه الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ أَخَفَّهُمَا وَأَتَمَّهُمَا ثُمَّ جَلَسَ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَجَلَسْنَا عِنْدَهُ فَقُلْنَا لَهُ: لَقَدْ خَفَّفْتَ رَكْعَتَيْكَ هَاتَيْنِ جِدًّا يَا أَبَا الْيَقْظَانِ؟ فَقَالَ: إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا الشَّيْطَانَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ فِيهِمَا) وفي رواية: (إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا السَّهْوَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عُشْرُهَا، تِسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا") رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، والبيهقي، وابن حبان.

بل يخرج منها دون استفادة منها، ولا تحقيق ثمرة من ورائها، ولا جني خير بسببها، وهذا ربنا يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]، وعند أحمد وابن حبان والبزار وغيرهما: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ قَالَ: "إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ"، وصححه الألباني، وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: "سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ"،

وفي تطريز رياض الصالحين نقل عن ابن مسعود ﷺ قوله: (في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي اللّه، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر، لم يزدد بصلاته من اللّه إلا بُعدًا)[1].

١ – تطريز رياض الصالحين (ص: ٦٠٩).

كي تخشع!

لا بأس -أيها القارئ الكريم- أن أسوق لك بعض العناوين التي تدفع بك للخشوع، وتحثك على الخضوع، وترغمك على إسبال الدموع، وفي محراب الصلاة وخارجها، فعند البيهقي وغيره: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ ﵁ فَأَتَيْتُهُ مُسَلِّمًا فَنسَبَنِي فَانتسَبْتُ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنِ أَخِي بَلَغَنِي أَنَّكَ حَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا"، وصحح الألباني وقفه ونصه: عن ابن أبي مليكة قال: (جلسنا إلى عبد اللّه بن عمرو ﵄ في الحجر فقال ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا لو تعلموا العلم لصلّى أحدكم حتى ينكسر ظهره، ولبكى حتى ينقطع صوته)، فإليك إياها في عناوين بارزة مع أنه لا غنى لك عن ما مضى، وأهمية ما بقى:

حال السلف في الصلاة

ولعل قصص أولئك القوم سلفنا وخيار من فينا توقظنا، وتدفعنا نحو الخشوع في صلاتنا، ومعرفة قدرها، وحضور أذهاننا فيها، والخروج منها بفائدة، والدخول فيها بخشية، والرغبة فيها بلهفة، وأولهم قدوتنا وأسوتنا ورسولنا عليه الصلاة والسلام، فَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ أَبِيهِ ﵁ قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ اَلْمِرْجَلِ مِنْ اَلْبُكَاءِ" رواه أصحاب السنن إلا ابن حبان ورواه أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والألباني.

وعند ابن حبان في صحيحه عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ ﵂ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا؟ فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّاهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: "يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي" فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ ﵁ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:١٦٤]"[١]، **ورواه ابن حبان وصحّحه، وكذا الألباني.**

---

١ – غير أن بعضهم يذكر أن الآية ليست هذه، بل الآيات كلها في نهاية سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ٢٠٠] وهو الذي يذكره أكثر أصحاب الشروح، زاد البيضاوي مدللا: (وَأخرج ابْن أبي الدُّنْيَا عَن أبي سُفْيَان رَفعه، قَالَ: "من قَرَأَ آخر سُورَة آل عمرَان فَلم يفكر فِيهَا ويله، فعد بأصابعه عشرا". فَقيل للأوزاعي: مَا غَايَة التفكر فِيهِنَّ؟ قَالَ: يقرؤهن وَهُوَ يعقلهن) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (١/ ٢٠٥)، والسبب في

وعند ابن خزيمة وغيره عن علي ﷺ وهو يصف وقعة بدر: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينا إِلَّا نائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ بَاتَ تحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي وَيَبْكِي، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللَّهُمَّ أنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتنِي، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنكِبَيْهِ)، وحسنه الألباني.

وأما عن الصحابة والسلف عمومًا فلا يسع الحديث عنهم مجلد وأكثر ويكفي أن أسوق بعضهم، وكلماتهم وهذا سعد بن معاذ ﷺ يحدث عن نفسه: (فيّ ثلاث خصال، لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن: كنت أنا؛ إذا كنت في الصلاة لا أحدث نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أحدّث نفسي بغير ما تقول، ويقال لها)، ومن التابعين عروة بن الزبير رحمه الله الذي نُشر بالمناشير في صلاته ولم يحس بهم البتة، وقالوا لعامر بن عبد القيس رحمه الله: أتحدّث نفسك بشيء في الصلاة؟ فقال: أو شيء أحب إليّ من الصلاة أحدّث به نفسي؟ قالوا: إنا لنحدّث أنفسنا في الصلاة، فقال: أبالجنة والحور ونحو ذلك؟ فقالوا: لا، ولكن بأهلينا وأموالنا، فقال: لأن تختلف الأسنة فيّ أحبُّ إليّ!.

اختلافهم: أن الرواة لا يذكرون الآية كلها، بل يقتصرون على قول الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيظن بعضهم هذه وبعضهم هذه؛ لتشابههما.

وكان مسلمة بن بشار ﵀ يصلي في المسجد، فانهدم طائفة منه وقام الناس، وهو في الصلاة لم يشعر، وكان عبد الله بن الزبير ﵄ يسجد فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو في الصلاة لا يرفع رأسه.، وهذا مسلم بن يسار ﵀ عندما يدخل في الصلاة يقول لأهله: تحدثوا؛ فلست أسمع حديثكم، ووقع حريق في داره ولم يشعر به؛ كونه في صلاته.

وأختم بما جاء عن حاتم الأصم ﵀ في حلية الأولياء: (مَرَّ عِصَامُ بْنُ يُوسُفَ بِحَاتِمٍ الْأَصَمِّ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ: يَا حَاتِمُ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ: نَعَمْ قَالَ: كَيْفَ تُصَلِّي؟ قَالَ حَاتِمٌ: أَقُومُ بِالْأَمْرِ، وَأَمْشِي بِالْخَشْيَةِ، وَأَدْخُلُ بِالنِّيَّةِ، وَأُكَبِّرُ بِالْعَظَمَةِ، وَأَقْرَأُ بِالتَّرْتِيلِ وَالتَّفَكُّرِ، وَأَرْكَعُ بِالْخُشُوعِ، وَأَسْجُدُ بِالتَّوَاضُعِ، وَأَجْلِسُ لِلتَّشَهُّدِ بِالتَّمَامِ، وَأُسَلِّمُ بِالسَّبَلِ وَالسُّنَّةِ، وَأُسْلِمُهَا بِالْإِخْلَاصِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَرْجِعُ عَلَى نَفْسِي بِالْخَوْفِ، أَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنِّي، وَأَحْفَظُهُ بِالْجُهْدِ إِلَى الْمَوْتِ، قَالَ: تَكَلَّمْ فَأَنْتَ تُحْسِنُ تُصَلِّي)[١].

١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٧٤).

السترة

لقد شُرعت السترة، بل شدد النبي ﷺ فيها، وأباح مقاتلة من اقتحمها، أو مر أمامك وأنت تصلي إليها، أو حتى بدونها إن تركتها، كل هذا لغرض حمايتك من أي شائبة في صلاتك، وخروج ذهنك عن ما لا بد أن تحضر فيها بعقلك، ومن تلك الأحاديث البينة عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُصَلِّ إِلَّا إِلَى سُتْرَةٍ، وَلَا تَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنْ أَبَى فَلْتُقَاتِلْهُ فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ" رواه ابن خزيمة وابن حبان وأصله عند مسلم وحسنه الألباني.

ومن أجمع تلك التوجيهات النبوية ما ورد في البخاري ومسلم: عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ قَالَ: (رَأَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ يُصَلِّي إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ فَأَرَادَ شَابٌّ مِنْ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَدَفَعَ أَبُو سَعِيدٍ فِي صَدْرِهِ، فَنَظَرَ الشَّابُّ فَلَمْ يَجِدْ مَسَاغًا إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَادَ لِيَجْتَازَ، فَدَفَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ أَشَدَّ مِنْ الْأُولَى، فَنَالَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ، ثُمَّ زَاحَمَ النَّاسَ فَخَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى مَرْوَانَ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَدَخَلَ أَبُو سَعِيدٍ خَلْفَهُ عَلَى مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: مَا لَكَ وَلِابْنِ أَخِيكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ، وَلْيَدْنُ مِنهَا، وَلَا يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ مَا

اسْتَطَاعَ؛ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ"، وفي رواية: "فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ" وبعض ألفاظه صحت عند غيرهما.

وهؤلاء كبار الصحابة يستبقون سواري المسجد؛ لتكون لهم سترة كما ورد في البخاري وغيره: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: (كَانَ المُؤَذِّنُ إِذَا أَذَّنَ قَامَ كِبَارُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ حَتَّى يَخْرُجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُمْ كَذَلِكَ، يُصَلُّونَ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ المَغْرِبِ)، وما ذاك إلا لأنهم يعلمون أمره عليه الصلاة والسلام: فعَنْ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لِيَسْتَتِرْ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ وَلَوْ بِسَهْمٍ" احمد وابن خزيمة والحاكم.

ومن أشد الأحاديث الواردة في منع اجتياز المار من أمام المصلي ما في البخاري ومسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ"، قَالَ أَبُو النَّضْرِ: لَا أَدْرِي أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً، ولهذا ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: لَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ رَمَادًا يُذْرَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيِ رَجُلٍ يُصَلِّي مُتَعَمِّدًا، وكل هذه الأحاديث وغيرها محافظة على المصلي أن يشوش أي شيء ذهنه، ويصرفه عن الخشوع المطالب به في صلاته، ويحضر فيها بقلبه وبدنه!.

صفوف ملائكية!

وهذا الإمام ينبهك قبل البدء بالصلاة للتراص فيها، بل يرفعك لعالم الملائكة، ويشحذ همتك لترتقي بنفسك، وتدخل على ربك بنفس تواقة، وهمة عالية، واقتداء بعالم علوي؛ ففي صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﵁ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَلَا تصُفُّونَ كَمَا تصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا"؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَكَيْفَ تصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟ قَالَ: "يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ ".

بل يوصيك عليه الصلاة والسلام بأن تودع الدنيا، وتذكر الموت والبلى، وتجعل نفسك وكأنك على شفا حفرة القبر نازلًا، وللدنيا مودعًا، وعلى ربك قادمًا، وللآخرة ملاقيًا؛ ففي مسند الفردوس وحسنه الألباني: عَنْ أنسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ، وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةً غَيْرَهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنهُ"، ففيه علاجان دلنا عليهما النبي ﷺ: فذكر الموت داخل الصلاة؛ ليتذكر مصيره الحتمي، واستحضاره قبل صلاته وكأن هذه آخر صلاة له في الدنيا، وعند ابن ماجه وأحمد عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﵁ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ عِظْنِي وَأَوْجِزْ قَالَ: "إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنهُ غَدًا وَأَجْمِعْ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ تَعِشْ غَنِيًّا") .

ترمي الدنيا خلفك!

وتأمّل وأنت تكبر للإحرام، مادًا يديك إلى منكبيك، أو أذنيك، وكأنك تقول: اللّه أكبر من كل دنياي، ودنيا غيري، من كل مال، وحال، وجاه، وسلطان، من كل كبير، وصغير، وذكر، وأنثى... ثم تدخل على ربك بصلاتك، فعيب أن تخون ذلك، وتتراجع عن قولك بتفكيرك فيما نبذته قبل لحظات بيدك!.

ثم ألا يستحي عبد أن يفكّر في الدنيا وما فيها، أو الخلق جميعًا وما معهم، وهو بين يدي مالك الدنيا والآخرة!.

كيف يفكّر في رزقه وهو واقف بين يدَي الرزاق!.

كيف يفكّر في قوة الخلق وهو بين يدَي الملك الحق، مالك القوة ومعطيها، وسالبها، ونازعها!.

كيف يفكّر في توافه الدنيا، وما يحوز منها، وهو بين يدي واهبها، ومانعها، وقابضها وباسطها: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [سورة آل عمران:٢٦]!.

كيف يرجو الدنيا ويهتم لشأنها، وتهمه توافهها وهو يطلب الآخرة!.

كيف لعبد يقبل على اللّه بجسده، ويفارقه بروحه وجوهره الأهم وهو قلبه: "إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"، رواه البخاري ومسلم.

وانظر لصلاة رسول اللّه ﷺ وصفتها؛ فلعل فيها العبرة والعظة: ففي صحيح مسلم وللترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه وأحمد بألفاظ مجموعها في رواية واحدة عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رضي الله عنه قَالَ: (قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَقُلْتُ: لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ كَيْفَ يُصَلِّي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَكَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى كَانَتَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ)، وفي رواية: (رَفَعَ يَدَيْهِ أَسْفَلَ مِنْ أُذُنَيْهِ)، وفي رواية: (حَتَّى حَاذَتَا أُذُنَيْهِ)، وفي رواية: (حَتَّى رَأَيْتُ إِبْهَامَيْهِ قَرِيبًا مِنْ أُذُنَيْهِ ثُمَّ الْتَحَفَ بِثَوْبِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى كَفِّهِ الْيُسْرَى وَالرُّسْغِ وَالسَّاعِدِ)، وفي رواية: (قَبَضَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ عَلَى صَدْرِهِ، وَأَدْخَلَ يَدَيْهِ فِي ثَوْبِهِ فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة:٧] قَالَ: آمِينَ)، وفي رواية: (فَجَهَرَ بِآمِينَ وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ)، وفي رواية: (فَسَمِعْتُهُ وَأَنَا خَلْفَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ أَخْرَجَ يَدَيْهِ مِنْ الثَّوْبِ ثُمَّ رَفَعَهُمَا حَتَّى كَانَتَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَجَافَى فِي الرُّكُوعِ)، وفي رواية: (وَخَوَّى فِي رُكُوعِهِ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ قَالَ: سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى كَانَتَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ، فَلَمَّا سَجَدَ وَضَعَ وَجْهَهُ بَيْنَ كَفَّيْهِ، وَيَدَاهُ قَرِيبَتَانِ مِنْ أُذُنَيْهِ)، وفي رواية: (وَضَعَ يَدَيْهِ حَتَّى كَانَتَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ)، وفي رواية: (فَكَانَتْ يَدَاهُ مِنْ أُذُنَيْهِ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَقْبَلَ بِهِمَا الصَّلَاةَ، وَخَوَّى فِي سُجُودِهِ، ثُمَّ لَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ السُّجُودِ أَيْضًا رَفَعَ يَدَيْهِ)، وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ

فِيهَا تسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتعَوُّذٍ تعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ"، فَكَانَ رُكُوعُهُ نحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: "سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ"، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى"، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ) رواه مسلم، بل في البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى مِنْ اللَّيْلِ قَامَ حَتَّى تتفَطَّرَ قَدَمَاهُ)، وفي رواية: (حَتَّى تنتفِخَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ: لِمَ تصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللّهُ لَكَ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تأَخَّرَ، فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟").

لغز أفعال وأقوال الصلاة

ونلاحظ أن الصلاة بمجموعها فيها أركان متعددة، وسنن، وأقوال، وأفعال... مختلفة، وكأن ذلك _واللّه أعلم_ من باب تغيير الروتين، وكسر الملل في ركن واحد كالقيام مثلًا، ومثله القراءة، وكل سنن الصلاة مع أركانها، ووجباتها _على مذهب الحنابلة: أركان، وواجبات، وسنن_، كلها تكسر الملل، وتزيل الشيطان، وترد الذهن الذي قد يغيب بالاستمرار على وتيرة واحدة، وفيها حركات ملفتة، ومتكررة، ومختلفة؛ ليتنشط العقل مع نشاط البدن وحركاته.

هيئة الضم

ثم انظر للضم الذي نفعله قد يكون دون تأمّل فيه؛ إذ هو مسكنة، وذل، وإعلان تقييد أنفسنا لخالقنا، وأننا أسرى بين يديه، عبيد له، وعلى أكمل وجه من الطاعة والانقياد له ﷻ، وفي حديث وائل ابن حجر السابق في صفة صلاته ﷺ: (ثُمَّ الْتَحَفَ بِثَوْبِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى كَفِّهِ الْيُسْرَى، وَالرُّسْغِ وَالسَّاعِدِ)، وفي رواية: (قَبَضَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ عَلَى صَدْرِهِ، وَأَدْخَلَ يَدَيْهِ فِي ثَوْبِهِ)، ولابن حبان والدارقطني: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُعَجِّلَ إِفْطَارَنَا، وَنُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنَضَعَ أَيْمَانَنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي الصَّلَاةِ".

وعَنْ هُلْبٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَؤُمُّنَا فَيَأْخُذُ شِمَالَهُ بِيَمِينِهِ) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وحسّنه الألباني، بل عند البخاري جاء بلفظ الأمر: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَدَ الْيُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ)، قَالَ أَبُو حَازِمٍ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا يَنْمِي ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أي يرفعه للنبي ﷺ على أنه هو قاله.

وعند النسائي وأبي داود وابن ماجه تعليم بالكيفية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ وَضَعْتُ شِمَالِي عَلَى يَمِينِي فِي الصَّلَاةِ " فَأَخَذَ بِيَمِينِي فَوَضَعَهَا عَلَى شِمَالِي ".

محاربة الشيطان بالاستعاذة

وهنا يأتي دور اللجوء للّه تعالى بالاستعاذة به ليصرف عنا الشيطان، ويصرفنا عنه، وانظر متى أتت الاستعاذة بعد أن بذلنا ما بوسعنا لمحاربته؛ كي لا يهجم علينا بوساوسه، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ كَبَّرَ، ثُمَّ يَقُولُ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ" ثُمَّ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ -ثَلَاثًا-" ثُمَّ يَقُولُ: "اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا -ثَلَاثًا-، أَعُوذُ بِاللّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ"، ثُمَّ يَقْرَأُ) رواه الترمذي وأبو داود صححه الألباني.

وعند الدارقطني والبيهقي: عَنْ الأَسْوَدِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ ﵁ افْتَتَحَ الصَّلَاةَ وَكَبَّرَ فَقَالَ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ تَعَوَّذَ"، وأصله عند مسلم.

والاستعاذة باللّه من الشيطان الرجيم وصفة علاج فعالة من رسول اللّه ﷺ الذي زكّى ﷻ ما جاء به: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم:٣-٤]، بل: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [سورة النجم:٥]، أي جبريل عليه السلام، ولهذا نفعت عثمان بن أبي العاص ﵁ أيما انتفاع، وزاد النبي ﷺ فيها النفث ثلاثًا جهة اليسار: فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ ﵁ قَالَ: (قَدِمْتُ

عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنهُ، وَاتفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا" قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي)، وصدق الله حين قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٨-٩٩]، **وقال:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠١].

إلى أين ينظر المصلي!

ومن ضبط الشرع الحنيف للمسلم؛ ليخشع في صلاته أن بيّن له أين يرمي بصره إذا صلّى، حتى أن سبب نزول قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٢]، هو تقلب أبصارهم لغير موطن سجودهم؛ فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢]، فَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ بِرُؤُوسِهِمْ هَكَذَا)[١].

وروى الحاكم والبيهقي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ)، وَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: (عَجَبًا لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ إِذَا دَخَلَ الْكَعْبَةَ كَيْفَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ قِبَلَ السَّقْفِ، يَدَعُ ذَلِكَ إِجْلالا لِلَّهِ وَإِعْظَامًا؛ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكَعْبَةَ مَا خَلَفَ بَصَرُهُ مَوْضِعَ سُجُودِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنهَا)، رواه البيهقي والحاكم وصححه الألباني، وفي صفة صلاته ﷺ نجد: (وَلَمْ يُجَاوِزْ بَصَرُهُ إِشَارَتَهُ) أحمد

---

١ _ وانظر: الدر المنثور- هجر (١٠/ ٥٤١)، والكشف والبيان - تفسير الثعلبي (٧/ ٣٨)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٦١)، وستأتي الآية وأقوال المفسرين فيها.

والنسائي وأبو داود، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله عن عطاء ابن أبي رباح رحمه الله أنه بلغه عن اللّه: (يا ابن آدم إلى من تلتفت، أنا خير لك ممن التفت إليه)[١].

ونقل أصحاب الموسوعة الفقهية الكويتية إجماع العلماء على غض البصر عما يلهي، وكراهة الالتفات، ورفع البصر إلى السماء، وأنه يستحب للمصلي النظر إلى موضع سجوده ونص كلامهم: (أجمع العلماء على استحباب الخشوع والخضوع، وغض البصر عما يلهي، وكراهة الالتفات، ورفع البصر إلى السماء، وأنه يستحب للمصلي النظر إلى موضع سجوده إذا كان قائمًا، ويستحب نظره في ركوعه إلى قدميه، وفي حال سجوده إلى أرنبة أنفه، وفي حال التشهد إلى حجره، أما في صلاة الخوف -إذا كان العدو أمامه- فيوجه نظره إلى جهته، وبهذا قال الحنفية، وهو رواية عند الحنابلة، وفي قول للشافعية أنه يسن، والآخر عندهم، وعند الحنابلة: النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته)[٢].

قال ابن المنذر رحمه الله: (قَالَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ وَالشَّافِعِيُّ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ: يَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالنَّظَرُ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ أَسْلَمُ وَأَحْرَى أَنْ لَا يَلْهُوَ الْمُصَلِّي بِالنَّظَرِ إِلَى مَا يَشْغَلُهُ عَنْ صَلَاتِهِ، وَهَذَا قَوْلُ عَوَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرَ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: أَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِمْ وَهُمْ قِيَامٌ فِي صَلَاتِهِمْ، وَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ

---

١ - الذل والانكسار للعزيز الجبار لابن رجب الحنبلي ص٧٣.
٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية (٨/ ٩٨).

النَّاسِ، وَهُوَ شَيْءٌ أُحْدِثَ، وَصَنْعَةٌ صَنَعَهَا النَّاسُ، وَذَلِكَ مُسْتَنْكَرٌ، وَلَا أَرَى بَأْسًا لَوْ مَدَّ بَصَرَهُ أَمَامَهُ، وَصَفَحَ سَجْدَةً قَلِيلًا مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فِي صَلَاتِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَذِهِ غَفْلَةٌ مِنْهُ، اسْتَحَبَّ بِمَا كَرِهَ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَكَرِهَ مَا اسْتَحَبُّوهُ مِمَّا هُوَ أَسْلَمُ لِلْمُصَلِّي، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ تَحَفُّظِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي صَلَاتِهِمْ وَحِفْظِهِمْ لِأَبْصَارِهِمْ أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ غَمَّضَ عَيْنَيْهِ، كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: يَضَعُ بَصَرَهُ بِحِذَاءِ الْمَكَانِ الَّذِي يَسْجُدُ فِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُغْمِضْ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: كَانَ يُؤْمَرُ إِذَا كَانَ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُغْمِضَ عَيْنَيْهِ، وَكَرِهَ بَعْضُهُمْ تَغْمِيضَ الْعَيْنِ فِي الصَّلَاةِ، وَمِمَّنْ كَرِهَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ هَدْيِ الصَّلَاةِ)(١).

وفي موضع آخر فيه تفصيل حسن لأقوال الفقهاء: (ذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يسن للمصلي أن ينظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته؛ لقول أبي هريرة ﵁: كان أصحاب النبي ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما أنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٢]، رمقوا بأبصارهم إلى موضع سجودهم؛ لأن جمع النظر في موضع أقرب إلى الخشوع، وموضع سجودهم أشرف وأسهل، قال أحمد في رواية حنبل: الخشوع في الصلاة أن يجعل نظره إلى موضع سجوده، وروي ذلك عن مسلمة بن يسار وقتادة، قال الشافعية: وهذا في غير صلاة الجنازة، أما في

١ - الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٣/ ٢٧٣).

صلاة الجنازة فإنه ينظر إليها[1]، واستثنى الشافعية من النظر إلى موضع السجود في الصلاة حالة التشهد؛ فإن السنة إذا رفع مسبّحته أن لا يجاوز بصره إشارته[2]، قال الخطيب الشربيني: وعن جماعة أن المصلي في المسجد الحرام ينظر إلى الكعبة، لكن صوّب البلقيني أنه كغيره، وقال الإسنوي: إن استحباب نظره إلى الكعبة في الصلاة وجه ضعيف، وجزم البغوي والمتولي بأن المصلي ينظر في القيام إلى موضع سجوده، وفي الركوع إلى ظهر قدميه، وفي السجود إلى أنفه، وفي القعود إلى حجره؛ لأن امتداد البصر يلهي فإذا قصر كان أولى.

وقد روي عن بعض الصحابة أنه قال: قلت يا رسول اللّه: أين أجعل بصري في الصلاة؟ قال: "موضع سجودك"، قال: قلت يا رسول اللّه إن ذلك لشديد إن ذلك لا أستطيع؟ قال: "ففي المكتوبة إذًا"[3].

واستثنى الحنابلة من النظر إلى موضع السجود ما إذا كان المصلي في صلاة خوف ونحوه، كخائف ضياع مال ونحوه، فينظر إلى جهة العدو، وإلى جهة ماله لحاجته إلى ذلك؛ دفعًا للضرر.

---

١ – أي إلى الجنازة.
٢ – لحديث: (وَلَمْ يُجَاوِزْ بَصَرُهُ إِشَارَتَهُ ") أحمد والنسائي وأبو داود.
٣ – لا تصح الرواية عن النبي صلى اللّه عليه وسلم.

وعد الحنفية النظر إلى موضع السجود وغيره من الآداب، جاء في الدر المختار: من آداب الصلاة نظر المصلي إلى موضع سجوده حال قيامه، وإلى ظهر قدميه حال ركوعه، وإلى أرنبة أنفه حال سجوده، وإلى حجره حال قعوده، وإلى منكبه الأيمن عند التسليمة الأولى، وإلى منكبه الأيسر عند التسليمة الثانية؛ وذلك لتحصيل الخشوع.

قال ابن عابدين: إذا كان في هذه المواضع ما ينافي الخشوع فإنه يعدل إلى ما يحصل فيه الخشوع، ثم نبّه ابن عابدين إلى أن المنقول في ظاهر الرواية أن يكون منتهى بصره في صلاته إلى محل سجوده، وقال المالكية على ما جاء في منح الجليل والخرشي: يكره النظر إلى موضع سجوده؛ لتأديته لانحنائه برأسه، وإنما يجعل بصره أمامه، قال ابن رشد: الذي ذهب إليه مالك أن يكون بصر المصلي أمام قبلته من غير أن يلتفت إلى شيء، أو ينكس رأسه، وهو إذا فعل ذلك خشع بصره، ووقع في موضع سجوده على ما جاء عن النبي ﷺ، وليس بضيق عليه أن يلحظ بصره الشيء من غير التفات إليه؛ فقد جاء ذلك عن النبي ﷺ.

وقال ابن العربي: قال مالك: ينظر أمامه؛ فإنه إذا أحنى رأسه ذهب بعض القيام المفروض عليه في الرأس، وهو أشرف الأعضاء، وإن أقام رأسه وتكلف النظر ببعض بصره إلى الأرض فتلك مشقة عظيمة وحرج، وإنما أُمرنا أن نستقبل جهة الكعبة، وإنما المنهي عنه أن يرفع المصلي رأسه إلى السماء؛ لأنه

إعراض عن الجهة التي أُمر بالنظر إليها؛ لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم"[1]، لكن بعض فقهاء المالكية جعل نظر المصلي إلى موضع سجوده من المستحبات)[2] أ.هـ.

أما في التشهد فلا مناص عن حديثه ﷺ فعن عبد اللّه بن الزبير رضي الله عنه قال: (كان رسول اللّه ﷺ إذا جلس في التشهد وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويده اليسرى على فخذه اليسرى، وأشار بالسبابة، ولم يجاوز بصره إشارته) رواه أحمد والنسائي وأبو داود.

وللأسف فهذا الأدب منسي عند كثير من المصلين ممن تراهم يجولون بأبصارهم يمنة ويسرة، فضلًا عن حركاتهم غير الطبيعية، وكأنهم أشبه بحرس، أو عسس، فإذا انتهت صلاة أحدهم عاد لهدوئه، وكف بصره، وهدّأ من روعه، وترك حركته، مع أن رسول اللّه ﷺ قد حذّر من مثل ذلك أشد تحذير، وخوّف أعظم تخويف فعَنْ أنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ

---

١ - رواه البخاري ومسلم، وبعض ألفاظه عند ابن ماجه وأحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي اللّه عنه - قَالَ: (صَلَّى رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّهُ عليه وسلَّم - يَوْمًا بِأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ؟ أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ بَصَرَهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ"؟ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ")، وعند أبي داود زيادة: "فاشتد قولُه في ذلك".

٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/ ٢٣٥-٢٣٤).

يَوْمًا بِأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ؟ أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ بَصَرَهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ؟"، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ") رواه البخاري ومسلم، وبعض ألفاظه عند ابن ماجه وأحمد، وعند أبي داود زيادة: "فاشتد قولُه في ذلك"، فضلًا عن حديث المسيء في صلاته الذي ترك طمأنينته.

قال ابن بطال رحمه الله بعد ذكره للحديث: (العلماء مجمعون على القول بهذا الحديث، وعلى كراهية النظر إلى السماء في الصلاة)[1]، وقد نقل النووي رحمه الله الإجماع أيضًا على النهي حيث قال: (فيه النهي الأكيد، والوعيد الشديد في ذلك، وقد نُقل الإجماع في النهي عن ذلك)[2]، وذكر ابن حجر رحمه الله علة النهي فقال: (واختُلف في المراد بذلك فقيل: هو وعيد، وعلى هذا فالفعل المذكور حرام، وأفرط ابن حزم فقال: يبطل الصلاة، وقيل المعنى: أنه يخشى على الأبصار من الأنوار التي تنزل بها الملائكة على المصلين)[3].

---

١ - شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال (٢/ ٣٦٤).
٢ - شرح النووي على مسلم (٤/ ١٥٢).
٣ - فتح الباري - لابن حجر (٢/ ٢٣٤).

قال الشوكاني رحمه الله: (قوله "أو لتخطفَن" بضم الفوقية وفتح الفاء على البناء للمفعول يعني لا يخلو الحال من أحد الأمرين: إما الانتهاء عنه، وإما العمى وهو وعيد عظيم، وتهديد شديد، وإطلاقه يقضي بأنه لا فرق بين أن يكون عند الدعاء، أو عند غيره إذا كان ذلك في الصلاة كما وقع به التقييد، والعلة في ذلك أنه إذا رفع بصره إلى السماء خرج عن سمت القبلة، وأعرض عنها وعن هيئة الصلاة، والظاهر أن رفع البصر إلى السماء حال الصلاة حرام؛ لأن العقوبة بالعمى لا تكون إلا عن محرم، والمشهور عند الشافعية أنه مكروه، وبالغ ابن حزم فقال: تبطل الصلاة به)[1].

وفي صفة صلاته ﷺ يذكر الرواة أنه ﷺ: "لَمْ يُجَاوِزْ بَصَرُهُ إِشَارَتَهُ" رواه أحمد والنسائي وأبو داود، زاد العيني رحمه الله: (وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا استفتح الصلاة لم ينظر إلا إلى موضع سجوده)[2]، نعم استثنى الحنابلة ما إذا تجشى المسلم وكان في جماعة فلم يكره رفع بصره للسماء؛ لئلا يؤذي من حوله بالرائحة)[3] أ.هـ.

وفي زاد المعاد يقول ابن القيم رحمه الله: (ولم يكن من هديه ﷺ تغميضُ عينيه في الصلاة، وقد تقدّم أنه كان في التشهد يومئ ببصره إلى أصبعه في الدعاء،

---

١ - نيل الأوطار (٢/ ٢٠٤).
٢ - شرح أبي داود للعيني (٤/ ١٣٧).
٣ - وراجع الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٧/ ١٠٦).

ولا تجَاوِزُ بَصرهُ إشارته، وذكر البخاري رحمه الله في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: (كان قِرَامٌ لعائشة سترت به جانِبَ بيتها، فقال النبيُّ ﷺ: "أَمِيطِي عَنِّي قِرَامَكِ هَذَا؛ فَإِنَهُ لاَ تَزَالَ تصاوِيرُهُ تعْرِضُ لِي فِي صَلاَتِي" ولو كان يُغمض عينيه في صلاته، لما عَرَضَتْ له في صلاته، وفي الاستدلال بهذا الحديث نظرٌ؛ لأن الذي كان يعرِض له في صلاته هل تذكُّر تلك التصاوير بعد رؤيتها، أو نفس رؤيتها، هذا محتمل، وهذا محتمل، وأبينُ دلالةً منه حديثُ عائشة رضي الله عنها: (أن النبيﷺ صلَّى في خَمِيصَةٍ لها أعلامٌ، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: "اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وأْتونِي بِانْبِجانِيَّةِ أَبِي جَهمٍ؛ فَإِنَّهَا أَلْهَتني آنفاً عَنْ صَلاَتِي"(1)، وفي الاستدلال بهذا أيضًا ما فيه؛ إذ غايته أنه حانت منه ﷺ التفاتة إليها فشغلته تلك الالتفاتة، ولا يدُلُ حديثُ التفاته إلى الشِّعب لما أرسل إليه الفارس طليعة؛ لأن ذلك النظرَ والالتفاتَ منه كان لِلحاجة، لاهتمامه بأمورِ الجيش، يدُلُ على ذلك مَدٌّ يده في صلاة الكسوف ليتناولَ العُنقود لما رأى الجنة، وكذلك رؤيتهُ النَّارَ وصاحبةَ الهرة فيها، وصاحِبَ المِحْجَنِ، وكذلك حديثُ مدافعته للبهيمة التي أرادت أن تمر بين يديه، وردُّه الغلامَ والجارية، وحجزُه الجاريتين، وكذلك أحاديثُ ردِّ السلام بالإشارة على من سلم عليه في الصلاة؛ فإنه إنما كان يُشير إلى من يراه، وكذلك حديثُ تعرُّضِ الشيطان له فأخذه فخنفه، وكان ذلك رؤيةَ عين، فهذه الأحاديثُ وغيرُها يُستفاد مِن مجموعها العلم بأنه لم يكن يُغمِضُ عينيه في الصلاة، وقد اختلف الفقهاء في كراهته،

---

1 - رواه البخاري ومسلم.

فكرِهه الإمامُ أحمد وغيرُه، وقالوا: هو فعلُ اليهود، وأباحه جماعة ولم يكرهوه، وقالوا: قد يكونُ أقربَ إلى تحصيل الخشوع الذي هو روحُ الصلاة وسرُّها ومقصودها.

والصواب أن يُقال: إن كان تفتيحُ العين لا يُخِلُ بالخشوع، فهو أفضل، وإن كان يحول بينه وبين الخشوع لما في قبلته من الزخرفة والتزويق أو غيره مما يُشوش عليه قلبه فهنالك لا يُكره التغميضُ قطعًا، والقولُ باستحبابه في هذا الحال أقربُ إلى أصول الشرع ومقاصده من القول بالكراهة، واللّه أعلم)[١] أ.هـ.

---

١ - زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٩٣).

حضور قلبك جوهر صلاتك

ويجب أن تعلم أن الصلاة ليست تمتمات لا معنى لها، أو حركات رياضية لا عبرة بها، بل جوهرها أن تحضر بقلبك في صلاتك، لا أن تسلم جوارحك ثم تودع ربك بقلبك الذي هو الأهم في صلاتك، ولذا نجد أن النبي ﷺ شرط لمغفرة الذنوب لمن صلى أن يحسنها: فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ" رواه مسلم وأحمد.

وفي حديث عثمان مطولًا شرط ﷺ حضور كامل الذهن، وعدم أي حديث مع النفس وفيه: "ثُمَّ أَتى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ بِشَيْءٍ غَفَرَ اللّهُ لَهُ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، عَنْ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: (رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﵁ سُئِلَ عَنْ الْوُضُوءِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأُتِيَ بِمِيضَأَةٍ فَسَكَبَ عَلَى يَمِينِهِ فَغَسَلَهَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ إِلَى الْكُوعَيْنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَتمَضْمَضَ ثَلَاثًا، وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثر ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَأَخَذَ مَاءً فَمَسَحَ بِرَأسِهِ وَأُذُنيْهِ فَغَسَلَ بُطُونَهُمَا وَظُهُورَهُمَا مَرَّةً وَاحِدَةً، وفي رواية: (ثُمَّ مَسَحَ بِرَأسِهِ وَأَمَرَّ بِيَدَيْهِ عَلَى ظَاهِرِ أُذُنيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمَا

عَلَى لِحْيَتِهِ)، وفي رواية: (وَمَسَحَ رَأْسَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُونَ عَنْ الْوُضُوءِ؟ هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ: إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: "مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ"، وفي رواية: "ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ"، وفي رواية: "ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ بِشَيْءٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَغْتَرُّوا") رواه البخاري ومسلم وغيرهم بألفاظ متقاربة.

بل شرط في حديث آخر إقبال القلب على الرب وجائزة ذلك الجنة: فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُدَّامَ أَنْفُسِنَا نَتَنَاوَبُ رِعَايَةَ إِبِلِنَا فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَرَوَّحْتُهَا بِالْعَشِيِّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"، وفي رواية: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فِي صَلَاتِهِ فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ إِلَّا انْفَتَلَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا لَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ") رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم.

وفي حديث آخر شرط عدم السهو: فعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَنْ توَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" رواه أبو داود وأحمد.

صلاة مدافع الأخبثين

ولإزالة كل صارف يصرف المصلي عن صلاته، ويكفّه عن مناجاة ربه، والخشوع عند ملاقاة خالقه ﷻ نهى النبي ﷺ عن أن يدخل المصلي وشيء يشغله، أو يضايقه ومن ذلك مدافعة الأخبثين: فَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُصَلِّيَ وَهُوَ حَقِنٌ حَتَّى يَتَخَفَّفَ" رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم[1]، وانظر لتشديده بلفظ لا يحل، وهو دليل ضرورة الدخول بدون شواغل، والولوج إليها دون صوارف، والقدوم عليها دون موانع، وفي حديث آخر جاء بلفظ النهي: فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: "نهي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ وَهُوَ حَاقِنٌ" رواه ابن ماجه والترمذي، وجاء تصريح نبوي بمعنى الاحتقان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "لَا يَقُومَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَبِهِ أَذًى مِنْ غَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ" رواه أحمد وابن حبان وقال الأرناؤوط: صحيح بطرقه وشواهده، ومثله: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: (خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَمَ ﷺ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمَعَهُ النَّاسُ فَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ يَوْمًا فَأَخَذَ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَدَّمَهُ - وَكَانَ إِمَامَ قَوْمِهِ - وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ وَوَجَدَ أَحَدُكُمْ الْخَلَاءَ فَلْيَبْدَأْ بِالْخَلَاءِ قَبْلَ الصَّلَاةِ") رواه أصحاب السنن وابن حبان وأحمد.

---

١ – وتمامه: "وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَؤُمَّ قَوْمًا إِلَّا بِإِذْنِهِمْ".

وفي كتب الفقهاء نجد ما لا يخطر على بال كثير من الجهال، وذلك أن العلماء أجمعوا على كراهة صلاة الحاقن، ويقاس عليه كل صارف، قال ابن القطان ﵀ في كتابه: الإقناع في مسائل الإجماع: (وأجمع العلماء أن لا يصلي أحد وهو حاقن إذا كان حقنه ذلك يشغله عن إتمام فروض صلاته، واختلفوا إن صلى وهو حاقن فأكمل صلاته)[1]، وعن صحة صلاته، وخلاف الفقهاء في حكم دخوله في صلاته قال ابن رشد ﵀: (اخْتَلَفُوا فِي صَلَاةِ الْحَاقِنِ: فَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ يَكْرَهُونَ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ وَهُوَ حَاقِنٌ؛ لِمَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﵁ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلْيَبْدَأْ بِهِ قَبْلَ الصَّلَاةِ"، وَلِمَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يُصَلِّي أَحَدُكُمْ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ" يَعْنِي الْغَائِطَ وَالْبَوْلَ، وَلِمَا وَرَدَ مِنَ النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ ﵁ أَيْضًا، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ صَلَاتَهُ فَاسِدَةٌ، وَأَنَّهُ يُعِيدُ، وَرَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَلَاةَ الْحَاقِنِ فَاسِدَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِالْإِعَادَةِ فِي الْوَقْتِ وَبَعْدَ الْوَقْتِ، وَالسَّبَبُ فِي اخْتِلَافِهِمْ: اخْتِلَافُهُمْ فِي النَّهْيِ هَلْ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ الْمَنهِيِّ عَنهُ، أَمْ لَيْسَ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِهِ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى تَأْثِيمِ مَنْ فَعَلَهُ فَقَطْ إِذَا كَانَ أَصْلُ الْفِعْلِ الَّذِي تَعَلَّقَ النَّهْيُ بِهِ وَاجِبًا أَوْ جَائِزًا، وَقَدْ تَمَسَّكَ الْقَائِلُونَ بِفَسَادِ صَلَاتِهِ بِحَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّامِيُّونَ، مِنهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ عَنْ ثَوْبَانَ ﵁، وَمِنهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : "لَا يَحِلُّ

---

١ - الإقناع في مسائل الإجماع (١/ ١٤١).

لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُصَلِّيَ وَهُوَ حَاقِنٌ جِدًّا"، قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: هُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفُ السَّنَدِ لَا حُجَّةَ فِيهِ)[1] أهـ.

وللعلم فهناك ألفاظ أربعة كلها حكمها واحد دون اختلاف يذكر: الحاقن وهو: مدافع البول، والحاقب وهو: مدافع الغائط، والحازق وهو: مدافع الريح، والحاقم وهو: مدافع البول والغائط، وهما الأخبثان[2].

---

١ - بداية المجتهد (ص: ١٥٣).

٢ - وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٢/ ١٠١)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٣٣/ ١٥٠).

الطعام قبل الصلاة

ثم من الشواغل التي تمنع المصلي من حضور ذهنه في صلاته، وكمال حضوره مع ربه ﷻ ببدنه وقلبه، والتي نهى الشرع الحنيف أن يصلي المسلم وهو مشتغل بها: حضور الطعام قبل الصلاة التي لا يتضايق وقتها، وهو في حاجة إليه، وليس حيلة على ترك الصلاة، أو تعمد إحضار الطعام لأجل إيجاد عذر لترك الجماعة، وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا منها: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِذَا وُضِعَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ، فَابْدَؤُوا بِالْعَشَاءِ" رواه البخاري ومسلم، وَعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ، وَلَا يَعْجَلْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ"، (وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يُوضَعُ لَهُ الطَّعَامُ وَتُقَامُ الصَّلَاةُ، فَلَا يَأْتِيهَا حَتَّى يَفْرُغَ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ)، رواه البخاري ومسلم.

ويلاحظ أن الأحاديث السابقة خصت العشاء؛ كون وقتها أوسع، لكن لا يمنع من أن تكون بقية الصلوات مثلها بشرط لا يتضايق وقتها، ويدل عليه حديث نافع رحمه الله قال: (كُنتُ أُقَدِّمُ لِابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَشَاءَهُ وَهُوَ صَائِمٌ وَقَدْ نُودِيَ لِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ تُقَامُ وَهُوَ يَسْمَعُ، فَلَا يَتْرُكُ عَشَاءَهُ وَلَا يَعْجَلُ حَتَّى يَقْضِيَ عَشَاءَهُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي، وَقَدْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "لَا تَعْجَلُوا عَنْ عَشَائِكُمْ إِذَا قُدِّمَ إِلَيْكُمْ" ابن حبان وأحمد، بل في البخاري ومسلم عَنْ

أَنسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا قُرِّبَ الْعَشَاءُ، وَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَابْدَءُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ تُصَلُّوا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ، وَلَا تَعْجَلُوا عن عَشَائِكُمْ"، وَعَنْ أَنسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا أُقِيمَتِ الصّلَاةُ وَأَحدُكُمْ صَائِمٌ، فَلْيَبْدَأ بِالْعَشَاءِ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَلَا تَعْجَلُوا عَنْ عَشَائِكُمْ" رواه ابن حبان.

على أنه لا مانع من الدخول في الصلاة وقد حضر الطعام مادام لا يشغل المصلي عن صلاته، كأن يكون شبعانًا ونحوه؛ فَعَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضمري ﷺ قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ ذِرَاعًا يَحْتَزُّ مِنهَا، فَدُعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَامَ فَطَرَحَ السِّكِّينَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ" رواه البخاري ومسلم.

وَعَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ: (ضِفْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَمَرَ بِجَنبٍ فَشُوِيَ، وَأَخَذَ الشَّفْرَةَ فَجَعَلَ يَحُزُّ لِي بِهَا مِنهُ، فَجَاءَ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَلَاةِ فَأَلْقَى الشَّفْرَةَ وَقَالَ: مَا لَهُ تَرِبَتْ يَدَاهُ؟ وَقَامَ يُصَلِّي وَكَانَ شَارِبِي وَفَى فَقَصَّهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سِوَاكٍ، أَوْ قَالَ: "أَقُصُّهُ لَكَ عَلَى سِوَاكٍ؟" رواه أبو داود وأحمد.

وورد في حديث عائشة ﷺ إطلاق الصلاة، وستكون غير الفجر قطعًا؛ لضيق وقتها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيق قَالَ: (تحَدَّثْتُ أَنَا وَالْقَاسِمُ عِندَ عَائِشَةَ ﷺ حَدِيثًا، وَكَانَ الْقَاسِمُ رَجُلًا لَحَّانَةً، وَكَانَ لِأُمِّ وَلَدٍ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ ﷺ: مَا لَكَ لَا تَحَدَّثُ كَمَا يَتَحَدَّثُ ابْنُ أَخِي هَذَا؟، أَمَا إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتَ هَذَا أَدَّبَتْهُ أُمُّهُ، وَأَنْتَ أَدَّبَتْكَ أُمُّكَ، فَغَضِبَ الْقَاسِمُ، وَأَضَبَّ عَلَيْهَا،

فَلَمَّا رَأَى مَائِدَةَ عَائِشَةَ قَدْ أُتِيَ بِهَا قَامَ، فَقَالَتْ: أَيْنَ؟، قَالَ: أُصَلِّي، قَالَتْ: اجْلِسْ، قَالَ: إِنِّي أُصَلِّي، قَالَتْ: اجْلِسْ غُدَرُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ")، رواه مسلم والبيهقي وأبو داود وأحمد.

وورد في صلاة الظهر حديث خاص فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءِ بْنِ عَيَّاشِ بْنِ عَلْقَمَةَ قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما بَيْتَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ لِغَدِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَالَ: وَكَانَتْ مَيْمُونَةُ قَدْ أَوْصَتْ لَهُ بِهِ فَكَانَ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ بُسِطَ لَهُ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِ فَجَلَسَ فِيهِ لِلنَّاسِ، قَالَ: فَسَأَلَهُ رَجُلٌ –وَأَنَا أَسْمَعُ- عَنْ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ مِنْ الطَّعَامِ، قَالَ فَرَفَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَدَهُ إِلَى عَيْنَيْهِ -وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ- فَقَالَ: بَصُرَ عَيْنَايَ هَاتَانِ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ فِي بَعْضِ حُجَرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِلَالٌ رضي الله عنه إِلَى الصَّلَاةِ فَنَهَضَ خَارِجًا، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى بَابِ الْحُجْرَةِ لَقِيَتْهُ هَدِيَّةٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم قَالَ: فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ، وَوُضِعَتْ لَهُمْ فِي الْحُجْرَةِ قَالَ: فَأَكَلَ وَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ وَمَا مَسَّ وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مَاءً، قَالَ: ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ، قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما إِنَّمَا عَقَلَ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ آخِرَهُ) رواه احمد، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

غير أن ابن عمر رضي الله عنهما رأى التفريق بين الطعام الكثير الذي يطول الوقت بأكله، فالصلاة أولى فيترك ويصلي، وبين القليل الذي لا يحتاج وقتا كثيراً

فيأكل طعامه ثم يدخل في صلاته فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: (كُنتُ مَعَ أَبِي فِي زَمَانِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ﵄ إِلَى جَنبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﵄ فَقَالَ: عَبَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﵀: إِنَّا سَمِعْنا أَنَّهُ يُبْدأُ بِالْعَشَاءِ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: وَيْحَكَ مَا كَانَ عَشَاؤُهُمْ، أَتَرَاهُ كَانَ مِثْلَ عَشَاءِ أَبِيكَ؟!) رواه أبو داود والبيهقي.

منع الصلاة خلف ما يشغل المصلي

وإن من محافظة الشرع على صلاة المصلي وحضور ذهنه فيها أن نهاه عن الصلاة خلف المتحدث، ومثله التلفاز، والهاتف الذي مفتوح فيه فيديو أو صوت وكلما يشغله بصوته، أو صورته، أو ما يصدر منه بعمومه، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُصَلُّوا خَلْفَ النَّائِمِ وَلَا الْمُتَحَدِّثِ" رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي، وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ ﵁ قَالَ: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَيْتَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وِجَاهَكَ حِينَ تَدْخُلُ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَتْ لِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَعَاكَ؟ فَقُلْتُ: قَالَ لِي: "إِنِّي كُنتُ رَأَيْتُ قَرْنَيْ الْكَبْشِ حِينَ دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَنَسِيتُ أَنْ آمُرَكَ أَنْ تُخَمِّرَهُمَا فَخَمِّرْهُمَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ يَشْغَلُ الْمُصَلِّيَ" قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ تَزَلْ قَرْنَا الْكَبْشِ فِي الْبَيْتِ حَتَّى احْتَرَقَ الْبَيْتُ فَاحْتَرَقَا) رواه أبو داود وأحمد، وفي البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: "صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خَمِيصَةٍ شَامِيَّةٍ لَهَا أَعْلَامٌ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: "اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَائْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ؛ فَإِنَّهَا شَغَلَتْنِي أَعْلَامُ هَذِهِ آنِفًا عَنْ صَلَاتِي")، وفي البخاري عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: (كَانَ قِرَامٌ لِعَائِشَةَ ﵂ سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمِيطِي عَنِّي قِرَامَكِ هَذَا؛ فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ لِي فِي صَلَاتِي")، وبعضه لأحمد، ولأحمد عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: (كَانَ رَسُول اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى خُمْرَةٍ، فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ ارْفَعِي عَنَّا

حَصِيرَكِ هَذَا؛ فَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَفْتِنَ النَّاسَ") قال الشيخ شعيب الأرناؤوط:

إسناده صحيح.

من غلبه النعاس وهو يصلي

وقد يندفع مسلم للصلاة حتى وهو في وضع لا يفقهها، ولا يعي ما يقول فيها كالقائم لليل وفيه نعاس؛ فقد فأمره النبي ﷺ بالنوم، وترك قيامه ذلك الذي قد يضره ولا ينفعه؛ إذ قد يدعو على نفسه، وفي البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ؛ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ"، وفي رواية: "فَلْيَنَمْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ"، وفي رواية: "لَعَلَّهُ يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي"، وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ".

يصلي نشاطه

ثم من مراعاة ديننا للنفس البشرية، وتركيزه على حضور الذهن في الصلاة، وكيفيتها لا كميتها منع التكلف المذموم في التعبد خصوصًا، وفي سائر الحياة عمومًا: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص:٨٦]، وفي شأن الصلاة جاء في صحيح مسلم عَنْ أنسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: (دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ فَرَأَى حَبْلًا مَمْدُودًا بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ، فَقَالَ: "حُلُّوهُ؛ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ").

التحذير من تزيين المساجد

وإن من الملهيات، المشغلات، الملفتات تلك الزخرفات في المساجد، والتي بالغ النبي ﷺ في النهي عنها، بل جعلها علامة من علامات الساعة، وجعل ذلك من سيما أهل الكتاب لا من علامات أهل الإسلام: فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (ذَكَرَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها وَأُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها لِلنَّبِيِّ ﷺ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَالَ: "إِنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى)، رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

بل هذا رسولنا ﷺ يحذر من دمار قد يحل على الأمة بهذه الزخرفات، وهلاك قد يحصل بسبب هذه الملهيات فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ"، رواه ابن أبي شيبة وحسنه الألباني، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: (لَمَّا بَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَهُوَ مَعَهُمْ يَتَنَاوَلُ اللَّبِنَ حَتَّى اغْبَرَّ صَدْرُهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ بَنَيْنَا مَسْجِدَنَا هَذَا عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدِ الشَّامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْجَرِيدَةَ أَوْ الْقَصَبَةَ فَرَمَى بِهَا، وَقَالَ: "ابْنُوهُ عَرِيشًا

كَعَرِيشِ مُوسَى: ثُمَامٌ وَخُشَيْبَاتٌ، وَالْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ"، فَقِيلَ لِلْحَسَنِ: مَا عَرِيشُ مُوسَى؟ قَالَ: إِذَا رَفَعَ يَدَهُ بَلَغَ الْعَرِيشَ-يَعْنِي السَّقْفَ-) رواه البيهقي.

ونهى ﷺ نهيًا صريحًا الأمة من التباهي بهذه المساجد التي ما بُنيت إلا للتواضع، ولين الجانب، وتذكّر الآخرة، والانكسار من الدنيا الفارهة، والإقبال على اللّه، وترك ما سواه فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: "نهى رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ يَتَبَاهى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ" رواه ابن حبان، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، وجعل ﷺ التباهي بزخرفتها، ومنظرها من علامات الساعة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "لَا تقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتبَاهى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ" رواه أبو داود والنسائي.

منع أذى المصلين بالروائح الكريهة

وإن من الشواغل التي قد تمنع المصلي من حضور قلبه مع ربه، وخشوعه في صلاته لخالقه، تلك الروائح المؤذية من ثوم، وبصل، وكراث وما يشبه ذلك، أو ما في معناه، أو أكثر منه كرائحة الدخان، أو من به بخر في أنفه، أو ريح كريهة يخرج من إبطه دون تعاهده، فنجد أن الشرع حماه من هذه كلها، ومنع من كان كذلك من حضور جماعة المسلمين؛ كي لا يؤذيهم، ومعهم ملائكة رب العالمين؛ ففي البخاري ومسلم: عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: (وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِيحَ ثُومٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: "مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا، وَلَا يُصَلِّي مَعَنَا حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهَا وَلَا يُؤْذِيَنَّا بِرِيحِ الثُّومِ").

وفيهما وعند أصحاب السنن أيضًا: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﵄ قَالَ: (نهى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ، وَالْكُرَّاثِ، وَالثُّوْمِ زَمَنَ خَيْبَرَ، فَغَلَبَتنا الْحَاجَةُ فَأَكَلَهُمَا قَوْمٌ ثُمَّ جَاءُوا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدَ مِنهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِيحَ الْكُرَّاثِ فَقَالَ: "أَلَمْ أَكُنْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَكْلِ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ الْمُنْتِنَتَيْنِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَجْهَدَنَا الْجُوعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا"، وفي رواية: "مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا"، وفي رواية: "فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنهُ بَنُو آدَمَ").

بل لم يقتصر النبي ﷺ على تسميتهما بالمنتنتين بل قال الخبيثتين كما في صحيح مسلم وغيره: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (لَمْ نَعْدُ أَنْ فُتِحَتْ خَيْبَرُ فَوَقَعْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ الْبَقْلَةِ -الثُّومِ- وَالنَّاسُ جِيَاعٌ، فَأَكَلْنَا مِنْهَا أَكْلًا شَدِيدًا، ثُمَّ رُحْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرِّيحَ فَقَالَ: "مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ شَيْئًا فَلَا يَقْرَبَنَّا فِي الْمَسْجِدِ"، فَقَالَ النَّاسُ: حُرِّمَتْ، حُرِّمَتْ، فَبَلَغَ ذَاكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ بِي تَحْرِيمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِي، وَلَكِنَّهَا شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا، مَنْ أَكَلَهُ مِنْكُمْ فَلَا يَقْرَبْ هَذَا الْمَسْجِدَ حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهُ مِنْهُ").

وكرر مرة أمره ثلاث مرات فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الْخَبِيثَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا -ثَلَاثًا-"، رواه أبو داود والبيهقي وابن حبان.

وعند مسلم أنه حرم من أكل من أصحابه بعد جلوس لديه حتى يذهب ريحها، ويبدو أن هذا في غير الصلاة فكيف بالصلاة فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى زَرَّاعَةِ بَصَلٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَنَزَلَ نَاسٌ مِنْهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يَأْكُلْ آخَرُونَ فَرُحْنَا إِلَيْهِ فَدَعَا الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا الْبَصَلَ، وَأَخَّرَ الْآخَرِينَ حَتَّى ذَهَبَ رِيحُهَا) رواه مسلم.

وفي النسائي وأبي داود وأحمد أشار لطبخهما قبل أكلهما؛ كي تذهب ريحتهما فعَنْ أنسٍ ﵁ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ: "إِيَّاكُمْ وَهَاتَيْنِ الْبَقْلَتَيْنِ الْمُنْتِنَتَيْنِ أَنْ تَأْكُلُونَهُمَا وَتَدْخُلُوا مَسَاجِدَنَا، فَإِنْ كُنتُمْ لَا بُدَّ آكِلِيهِمَا، فَاقْتُلُوهُمَا بِالنَّارِ قَتْلًا"، وفي رواية: "فَأَمِيتُمُوهُمَا طَبْخًا".

وأخيرًا أسوق واقعًا حكاه الفاروق ﵁، وأمر به، ونبّه عليه: فَعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ قَالَ: (قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁ يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَطِيبًا - أَوْ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ - فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أُرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ، هَذَا الثُّومُ، وَهَذَا الْبَصَلُ، وَلَقَدْ كُنتُ أَرَى الرَّجُلَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يُوجَدُ رِيحُهُ مِنهُ، فَيُؤْخَذُ بِيَدِهِ حَتَّى يُخْرَجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ كَانَ آكِلَهَا لَا بُدَّ فَلْيُمِتْهَا طَبْخًا).

وباختصار: لعلك الآن تصورت خطورة أذاك لإخوانك المصلين، ومدى ضرر ما يصدر منك مما يؤذيهم –إن حصل-، بل يتعدى ذلك للملائكة، فاحذر من كل ذلك، وأي ريحة كانت، وليستشعر المصلي أيضًا بأهمية الخشوع مادام والشرع قد حصنه كل هذه الحصانة، وحماه كل هذه الحماية، ورعاه كل هذه الرعاية، كل ذلك لأجل إقباله على ربه في صلاته، وإحضار قلبه قبل جسده قبل البدء بصلاته!.

منع الكلام في المساجد

ومع أن هذه من المنكرات التي لا يخلو منها مسجد، ولا يسلم منها مصلي لكن يجب أن نحذّر هنا كما سبق ونشرت كتيبًا بعنوان: تحذير الساجد من رفع الأصوات في المساجد، فليرجع إليه، ويكفي هنا أن أسوق حديث عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَجْلِسُونَ فِي الْمَسَاجِدِ حِلَقًا حِلَقًا إِمَامُهُمُ الدُّنْيَا وفي رواية: "يكون حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ فلَا تُجَالِسُوهُمْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ للّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ"، رواه الطبراني وابن حبان وصححه وكذا الذهبي والألباني.

وفي البخاري: عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ﷺ قَالَ: (كُنتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ قَالَ: لَوْ كُنتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ؟!).

البيع والشراء ونشد الضالة في المساجد

وأكبر من حديث في المساجد البيع والشراء فيها، ومزاولة التجارة داخلها، والبيع والشراء في حَرمها، كل ذلك منع منه شرعنا، وحرمه نبينا ﷺ، وأكّد على ذلك علماؤنا، ومن أحاديث المصطفى ﷺ في هذا: عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﵁ قَالَ: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ بَعْدَ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا وَجَدْتَهُ، لَا وَجَدْتَهُ، لَا وَجَدْتَهُ؛ إِنَّمَا بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ" رواه مسلم وغيره، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﵁ قَالَ: (نهى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فِي الْمَسْجِدِ) رواه الترمذي والنسائي وأحمد، بل هذا رسول اللّه ﷺ يدعو عليه، ويحث الأمة أيضًا على ذلك: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ" رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه الثلاثة والألباني، وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا".

وأخيرًا كما ختمت بعمل الفاروق عمر ﵁ في المبحث السابق أختم بعمل ابن مسعود ﵁: فعند الطبراني وابن خزيمة: عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النهدي قَالَ: (سَمِعَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﵁ رَجُلًا يَنشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَغَضِبَ وَسَبَّهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا كُنتَ فَحَّاشًا يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّا كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ) وقال الألباني: إسناده جيد.

تفسير قول الله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾.

ومما يدفع المؤمن للخشوع، ويحبب إليه الوصول لهذه المرتبة التي جعل الله ﷻ أهلها فالحين، وللفردوس داخلين، معرفة أقوال السلف في هذه الآية، وبيان معانيها، وتوجيهاتهم لنا، وكلماتهم النافعة لقلوبنا: فقال ابن المنذر النيسابوري ؒ في الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف قال: (رُوِّينا عَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَأُمِرَ بِالْخُشُوعِ، فَرَمَى بَصَرَهُ نَحْوَ مَسْجِدِهِ، وَرُوِّينا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؓ أَنَّهُ قَالَ: الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، وَأَنْ تَلِينَ كَنَفَكَ لِلْمَرْءِ، الْمُسْلِمِ، وَأَنْ لَا تَلْتَفِتَ فِي صَلَاتِكَ)، ثم روى بسنده إلى ابن عباس ؓ: فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] قَالَ: خَائِفُونَ سَاكِتُونَ، وَقَالَ قَتَادَةُ ؒ: الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، وَهُوَ الْخَوْفُ، وَغَضُّ الْبَصَرِ فِي الصَّلَاةِ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ ؒ وَسُئِلَ عَنِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَخَفْضُ الْجَنَاحِ، وَلِينُ الْقَلْبِ، وَهُوَ الْحُزْنُ)[١].

وفي تفسير الخازن ؒ نجده ينقل عن السلف فجمع فأوعى فقد قال: (قال ابن عباس ؓ: مخبتون أذلّاء خاضعون، وقيل: خائفون، وقيل: متواضعون، وقيل: الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة، وقيل: هو من أفعال الجوارح

١ - الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٣/ ٢٧٣).

كالسكون، وترك الالتفات، وغض البصر، وقيل: لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح، وهو الأولى؛ فالخاشع في صلاته لا بد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح، فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود، ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم، وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنًا، مطرقًا، ناظرًا إلى موضع سجوده، وقيل: الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول اللّه ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد"[١]، الاختلاس هو الاختطاف، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: "لا يزال اللّه مقبلًا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه"، وفي رواية "أعرض عنه" أخرجه أبو داود والنسائي، وقيل: الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم"، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: "لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم"[٢]، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء

---

١ - متفق عليه.

٢ - رواه البخاري ومسلم، وبعض ألفاظه عند ابن ماجه وأحمد -وقد تقدم- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي اللّه عنه - قَالَ: (صَلَّى رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّهُ عليه وسلّم - يَوْمًا بِأَصْحَابِهِ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ؟ أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ بَصَرَهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ؟" فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ")، وعند أبي داود زيادة: "فاشتد قولُه في ذلك".

في الصلاة فلما نزل: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، **رمقوا بأبصارهم إلى موضع السجود، وقيل: الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة؛ لما روي أنّ النبيّ ﷺ أبصر رجلًا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: "لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه"(١)، ذكره البغوي بغير سند، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى؛ فإن الرحمة تواجهه" أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عمّا سوى اللّه جل جلاله، والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر)(٢).**

وفي مقدمة تفسير سورة المؤمنون سرد ابن كثير رحمه الله أحاديث كثيرة منها ما في مسند أحمد، وسنن النسائي، والترمذي: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (كان إذا نزل على رسول اللّه ﷺ الوحيُ يسمع عند وجهه كدَوِيّ النحل، فَمَكثنا ساعة، فاستقبل القبلة ورفع يديه، فقال: "اللهم، زدنا ولا تنقُصْنا، وأكرمنا ولا تُهِنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثِرْنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا، وأرضِنا"، ثم قال: "لقد أُنزلت عليّ عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة"، ثم قرأ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١]**، حتى ختم العَشْر).**

١ - ليس بحديث وسيأتي تفاصيله.
٢ - تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٦٧).

وفي سنن النسائي عن يزيد بن بابَنُوس ﷺ قال: (قلنا لعائشة ﵂: يا أم المؤمنين، كيف كان خُلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ **حتى انتهت إلى:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٩]**، قالت: هكذا كان خُلق رسول الله ﷺ، وقد رُوي عن كعب الأحبار، ومجاهد، وأبي العالية، وغيرهم: لَمَّا خلق الله جنة عدن، وغرسها بيده، نظر إليها وقال لها: تكلمي[1]، فقالت:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [2])[3] **أ.هـ.**

---

١ - وقد صححه الألباني كحديث مرفوع لرسول الله: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ اللهَ خَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ وَبَنَاهَا بِيَدِه، لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّة، وَجَعَلَ مِلَاطَهَا الْمِسْكَ، وَتُرَابَهَا الزَّعْفَرَانَ، وَحَصْبَاءَهَا اللُّؤْلُؤَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: طُوبَى لَكِ مَنْزِلُ الْمُلُوك ".

٢ - ويسنده آخرون كحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المنذري: (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلق الله جنة عدن بيده، ودلى فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: "تكلمي" فقالت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} فقال: "وعزتي لا يجاورني فيك بخيل" رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس أطول منه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء، وملاطها مسك، حشيشها الزعفران، حصباؤها اللؤلؤ، ترابها العنبر، ثم قال لها: انطقي، قالت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٣).

٣ - تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥٩).

فالخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فَرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما سواها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له، وقُرَّة عين، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "حُبِّبَ إليَّ الطِّيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة"(١).

١ - تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦١).

تفسير قول الله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾.

وإن من الآيات العظيمة، والحجج البليغة على عظمة الخشوع في الصلاة، وأهميته في تلك المناجاة قول المولى جل وعلا: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [سورة البقرة:٤٥]، **ثم بيّن لنا من أراد بالخاشعين الذين تهون عليهم الصلاة، وتتيسر لهم هذه الطاعة:** ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [سورة البقرة:٤٦]، **وأكد على المعنى في آية أخرى من السورة نفسها:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة:١٥٣]، **قال السعدي** رحمه الله: **(أمرهم اللّه أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة اللّه حتى يؤديها، والصبر عن معصية اللّه حتى يتركها، والصبر على أقدار اللّه المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر اللّه بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره اللّه، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور** ﴿وَإِنَّهَا﴾ **أي: الصلاة** ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ **أي: شاقة** ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ **فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية اللّه، ورجاء ما**

عنده يوجب له فعلها، منشرحًا صدره؛ لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه)(١).

وهذا الطبري رحمه الله **يقول: (فمعنى الآية: واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة اللّه، وكفها عن معاصي اللّه، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر، المقربة من مراضي اللّه، العظيمة إقامتها إلا على المتواضعين للّه، المستكينين لطاعته، المتذللين من مخافته)(٢).**

وعند ابن كثير رحمه الله**: (فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، كما قال تعالى:** ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾، [سورة العنكبوت:٤٥])، **ثم ذكر** رحمه الله **الأحاديث التي كان النبي** ﷺ **يفزع للصلاة عندما يحزبه أمر، أو ينزل عليه كرب، ثم نقل أن: (ابن عباس** رضي الله عنهما **نُعي إليه أخوه قُثم** رضي الله عنه **وهو في سفر، فاسترجع، ثم تنحَّى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول:** ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [سورة

---

١ - تفسير السعدي (ص: ٥١).
٢ - تفسير الطبري (١/ ١٧).

البقرة:٤٥]، **وقال الضحاك** رحمه الله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ **قال: إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سَطَواته، المصدقين بوعده ووعيده، وهذا يشبه ما جاء في الحديث: "لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره اللّه عليه")**(١).

وما أروع كلمات ابن القيم رحمه الله **في كتابه عن الصلاة قائلا: (وليس من كانت الصلاة ربيعًا لقلبه، وحياة له، وراحة وقرة لعينه، وجلاء لحزنه، وذهابًا لهمه وغمه، ومفزعًا له إليه في نوائبه ونوازله كمن هي سحت لقلبه، وقيد لجوارحه، وتكليف له، وثقل عليه فهي كبيرة على هذا، وقرة عين وراحة لذلك، وقال تعالى:** ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، **فإنما كبُرت على غير هؤلاء؛ لخلو قلوبهم من محبة اللّه تعالى، وتكبيره، وتعظيمه، والخشوع له، وقلة رغبتهم فيه؛ فإن حضور العبد في الصلاة، وخشوعه فيها، وتكميله لها، واستفراغه وسعه في إقامتها، وإتمامها على قدر رغبته في اللّه، قال الإمام أحمد** رحمه الله **في رواية مهنا بن يحيى** رحمه الله: **إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فاعرف نفسك يا عبداللّه، واحذر أن تلقى اللّه عز وجل ولا قدر للإسلام عندك؛ فإن قدر الإسلام**

---

١ - تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٢)، والحديث الذي ذكره رواه الترمذي وأحمد وغيرهما.

في قلبك كقدر الصلاة في قلبك، وليس حظ القلب العامر بمحبة اللّه، وخشيته، والرغبة فيه، وإجلاله، وتعظيمه من الصلاة كحظ القلب الخالي الخراب من ذلك، فإذا وقف الاثنان بين يدي اللّه في الصلاة وقف هذا بقلب مخبت خاشع له، قريب منه، سليم من معارضات السوء، قد امتلأت ارجاؤه بالهيبة، وسطع فيه نور الإيمان، وكشف عنه حجاب النفس، ودخان الشهوات، فيرتع في رياض معاني القرآن، وخالط قلبه بشاشة الإيمان، بحقائق الأسماء والصفات، وعلوها، وجمالها، وكمالها الأعظم، وتفرد الرب سبحانه بنعوت جلاله، وصفات كماله، فاجتمع همه على اللّه، وقرت عينه به، وأحسن بقربه من اللّه، قربًا لا نظير له، ففرغ قلبه له، وأقبل عليه بكليته، وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه؛ فإنه سبحانه أقبل عليه أولا فانجذب قلبه إليه بإقباله، فلما أقبل على ربه حظي منه بإقبال آخر أتم من الأول)[١].

وهذا الطنطاوي ﵀ من المتأخرين يذكر لنا علة عدم ثقل الصلاة عند الخاشعين: (إن الصلاة صعبة إلا على الخاضعين المخبتين المتطامنة قلوبهم وجوارحهم للّه تعالى؛ لأنهم موقنون أنها من أهم وسائل الفلاح في الدنيا، والسعادة في الآخرة؛ ولأنهم يجدون عند أدائها اغتباطًا وسرورًا يجعل نفوسهم تنشط إليها كلما حل وقتها بهمة وإخلاص)[٢].

---

١ - الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها (ص: ١٩٩).
٢ - الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٧٢).

وهذا الألوسي رحمه الله يذكر علته أيضًا في سبب عدم ثقلها على الخاشعين: (وإنما لم تثقل عليهم؛ لأنهم عارفون بما يحصل لهم فيها، متوقعون ما ادخر من ثوابها فتهون عليهم، ولذلك قيل: من عرف ما يطلب، هان عليه ما يبذل، ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية)[١].

وأخيرًا: قال الإمام الرازي رحمه الله مناقشًا لشبهة يمكن أن تخطر عند غير المؤمنين، وتنطلي على ضعفاء النفوس المساكين: (فإن قيل: إن كانت ثقيلة على هؤلاء سهلة على الخاشعين، فيجب أن يكون ثوابهم أكثر، وثواب الخاشع أقل، وذلك منكر من القول، قلنا: ليس المراد أن الذي يلحقهم من التعب أكثر مما يلحق الخاشع، وكيف يكون ذلك، والخاشع يستعمل في الصلاة جوارحه وقلبه، ولا يغفل فيها، وإذا كان هذا فعل الخاشع فالثقل عليه بفعل الصلاة أعظم، وإنما المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي ثقيلة على غير الخاشع؛ لأنه لا يعتقد في فعلها ثواباً، ولا في تركها عقابًا، فيصعب عليه فعلها، فالحاصل أن الملحد لاعتقاده عدم المنفعة في أدائها ثقُل عليه فعلها؛ لأن الاشتغال بما لا فائدة فيه يثقل على الطبع، أما الموحد فلما اعتقد في فعلها أعظم المنافع، وفي تركها أكبر المضار، لم يثقل عليه أداؤها، بل أدّاها وهو سعيد بها، ألا ترى إلى قول الرسول ﷺ: "جُعلت قرة عيني في الصلاة " وصفها بذلك؛ لأنها كانت لا تثقل عليه)[٢].

---

١ – تفسير الألوسي (١/ ٣٠٠).

٢ – تفسير الفخر الرازي (ص: ٤١٥).

أقسام الخاشعين في الصلاة

والناس يختلفون في تأديتهم لصلاتهم، وحضور بواطنهم فيها كاختلاف ظواهرهم، بل أشد، وقد يصلي رجلان بجوار بعض أحدهما ترفعه صلاته لعليين، والآخر بجواره يصلّي كما يصلي، ويؤدي أركان الصلاة كما يؤدي من بجواره لكن تجعله في أسفل سافلين، وقد جعلهم ابن القيم رحمه الله على مراتب خمسة كما في الوابل الصيب فقال: (والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرِّط، وهو الذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها، وحدودها، وأركانها الظاهرة، ووضوئها، لكن قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار[١].

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه؛ لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد[٢].

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها، وأركانها، وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلا يضيع شيئًا منها، بل همه كله مصروف

---

١ - يمكن أن نسميه المضيّع.

٢ - وهذا يمكن أن نسميه المجاهد.

إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها واتمامها قد استغرق قلب شأن الصلاة، وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها[١].

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه، ووضعه بين يدي ربه عز وجل، ناظرًا بقبله إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطوات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز و جل، قرير العين به[٢].

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفّر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرّب من ربه؛ لأن له نصيبًا ممن جعلت قرة عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز و جل في الآخرة، وقرّت عينه أيضًا به في الدنيا، ومن قرت عينه باللّه قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه باللّه تعالى تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات، وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال اللّه ﷻ: "ارفعوا الحجب، فإذا التفت قال أرخوها"، وقد فُسّر هذا الالتفات بالتفات القلب عن اللّه عز وجل إلى غيره، فإذا التفت إلى غيره أرخى الحجاب بينه وبين العبد، فدخل الشيطان وعرض عليه أمور الدنيا، وأراه إياها في صورة المرآة، وإذا أقبل بقلبه على اللّه، ولم

---

١ – يمكن أن نسمي هذا القسم بالحاضر.

٢ – يمكن أن نسميه بالواجد (أي لربه جل جلاله). فتصير معنا الأقسام خمسة: مفرّط، ومضيّع، ومجاهد، وحاضر، وواجد.

يلتفت لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين اللّه تعالى وبين ذلك القلب، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب، فإن فر إلى اللّه تعالى وأحضر قلبه فر الشيطان، فإن التفت حضر الشيطان، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة)[١] أ.هـ.

١ – الوابل الصيب (ص: ٣٨) وما بعدها.

التفات في الصلاة من نوع آخر

وقد يعتقد المسلم أن الالتفات في الصلاة إنما هو التحول عن جهة القبلة، وترك صلاته، والانشغال بغيرها عنها، وليس هذا وحده هو الالتفات عند علماء السلوك، وهذا ابن القيم رحمه الله شاهد على ذلك؛ إذ يقول في وابله الصيب شارحًا لحديث: "وأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإن اللّه ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت" قال: (الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن اللّه عز وجل إلى غير اللّه تعالى.

الثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال اللّه مقبلًا على عبده ما دام العبد مقبلًا على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض اللّه تعالى عنه، وقد سُئل رسول اللّه ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: "اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد"[1] وفي أثر يقول اللّه تعالى: إلى خير مني إلى خير مني؟، ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالًا، وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به؛ لأن قلبه ليس حاضرًا معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل

---

١ – رواه البخاري وغيره عَنْ عَائِشَةَ – رضي اللّه عنها – قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ – صلى اللّهُ عليه وسلّم – عَنْ الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ؟. فَقَالَ: "هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ".

به السلطان؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتا مبعدًا قد سقط من عينيه؟، فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته، الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبته، وذلّت عنقه له، واستحى من ربه تعالى أن يقبل على غيره، أو يلتفت عنه، وبين صلاتيهما كما قال حسان عطية رحمه الله: إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وأن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل على الله عز وجل، والآخر ساه غافل.

فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه حجاب لم يكن إقبالًا ولا تقريبًا، فما الظن بالخالق عز وجل؟، وإذا أقبل على الخالق عز وجل، وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها، ملأى منها، فكيف يكون ذلك إقبالًا وقد ألهته الوساوس والأفكار، وذهبت به كل مذهب؟ والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه؛ فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربه، وأغيظه للشيطان، وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يَعِده، ويمنيه، وينسيه ويجلب عليه بخيله ورَجِلِه حتى يهون عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها، فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي شيء، والحاجة، وأيس منها، فيذكره إياها في الصلاة؛ ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله

تعالى، وكرامته، وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل، الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه، وذنوبه، وأثقاله، لم تخف عنه بالصلاة؛ فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدّى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه، وقابله فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرة عينيه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها، فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ: "يا بلال أرحنا بالصلاة"[1] ولم يقل أرحنا منها وقال ﷺ: "جعلت قرة عيني في الصلاة"[2]، فمن جُعلت قرة عينه في الصلاة كيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة هي التي تصعد ولها نور وبرهان،

---

١ - سبق تخريجه: رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني، وللحديث قصة فَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ: قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا". وفي أخرى: عن عبدِ اللّه بن محمَّد ابن الحنفيّة، قال: انطلقتُ أنا وأبي إلى صِهرٍ لنا من الأنصار نعودُه، فحَضَرتِ الصلاةُ، فقال لبعض أهله: يا جاريةُ، ائتوني بوَضوءٍ، لعَلّي أصَلّي فاستريحَ، قال: فأنكَرْنا ذلك عليه، فقال: سمعتُ رسولَ اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- يقول: "قُم يا بلالُ، فأرِحْنا بالصَّلاة").

٢ - رواه النسائي وأحمد وصححه الألباني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي اللّه عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه - صلى اللّه عليه وسلم-: "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ".

حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول: "حفظك الله تعالى كما حفظتني"، وأما صلاة المفرّط المضيع لحقوقها، وحدودها، وخشوعها فإنها: "تلف كما يلف الثوب الخلِق، ويُضرب بها وجه صاحبها، وتقول ضيّعك الله كما ضيعتني"(١)، وقد روي في حديث مرفوع رواه بكر بن بشر عن سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن أبي شجرة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يرفعه أنه قال: "ما من مؤمن يتم الوضوء إلى أماكنه، ثم يقوم إلى الصلاة في وقتها، فيؤديها لله عز وجل لم ينقص من وقتها، وركوعها، وسجودها، ومعالمها شيئًا، إلا رُفعت له إلى الله عز وجل بيضاء مسفرة، يستضيء بنورها ما بين الخافقين، حتى ينتهي بها إلى الرحمن عز وجل، ومن قام إلى الصلاة فلم يكمل وضوءها، وأخرها عن وقتها، واسترق ركوعها، وسجودها، ومعالمها، رُفعت عنه سوداء مظلمة، ثم لا تجاوز شعر رأسه تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، ضيعك كما ضيعتني"(٢)، فالصلاة المقبولة، والعمل المقبول أن

---

١ - قال العراقي: (أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف، وللطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١/ ٣٣١).

٢ - قال الهيثمي: (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ لِوَقْتِهَا، وَأَسْبَغَ لَهَا وُضُوءَهَا، وَأَتَمَّ لَهَا قِيَامَهَا وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، وَسُجُودَهَا خَرَجَتْ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ تَقُولُ: حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي. وَمَنْ صَلَّى لِغَيْرِ وَقْتِهَا، وَلَمْ يُسْبِغْ لَهَا وُضُوءَهَا، وَلَمْ يُتِمَّ لَهَا خُشُوعَهَا وَلَا رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا - خَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ: ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي. حَتَّى إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ، ثُمَّ ضُرِبَ بِهَا وَجْهُهُ". رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى ضَعْفِهِ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ٣٠٢).

يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل، فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به كانت مقبولة)[1] أ.هـ.

وكلمات ابن القيم الأخيرة ذكّرتني بكلمات رائعة لابن الجوزي رحمه الله في مدهشه؛ إذ يقول: (يا واقفًا في صلاته بجسده، والقلب غائب ما يصلح ما بذلته من التعبد مهرًا للجنة، فكيف ثمنًا للجنة!.

رأت فأرة جملًا فأعجبها فجرّت خطامه، فتبعها، فلما وصل إلى باب بيتها وقف ونادى بلسان الحال: إما أن تتخذي دارًا يليق بمحبوبك، أو محبوبًا يليق بدارك، خذ من هذه إشارة: إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك، أو تتخذ معبودًا يليق بصلاتك)[2]، وتكفي هذه الإشارة عن العبارة، ورب إشارة تغني عن عبارة؛ إذ أن صلاتنا صلة بيننا وبين ربنا سبحانه وتعالى فكيف نقطع الصلة بصلاة لا روح لها، ولا حضور فيها.

وقد خاطبنا ابن الجوزي رحمه الله، وشوقنا، وفتح لنا الباب، وكشف عنا الغطاء: (أيها المصلي: طهّر سرك قبل الطهور، وفتش على قلبك الضائع قبل الشروع، حضور القلب أول منزل، فإذا نزلته انتقلت إلى بادية العمل، فإذا انتقلت عنها أنخت بباب المناجي، وأول قرى ضيف اليقظة: كشف الحجاب لعين القلب، وكيف يطمع في دخول مكة منقطع قبل الكوفة، همك في

١ - الوابل الصيب (ص: ٣٤).
٢ - المدهش (ص: ٤٥٦).

الصلاة متشبث، وقلبك بمساكنة الهوى متلوث، ومن كان متلطخًا بالأقذار لا يغلف، أدخل دار الخلوة لمن تناجي، واحضر قلبك لفهم ما تتلو؛ ففي خلوات التلاوة تزف أبكار المعاني، إذا كانت مشاهدة مخلوق -يعني نبي اللّه يوسف عليه السلام- يوم: ﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾، استغرقت إحساس الناظرات: ﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾، فكيف بالباب، لو أحببت المخدوم لحضر قلبك في الخدمة، ويحك هذا الحديد يعشق المغناطيس فكيف ما التفت التفت، إن كنت ما رأيت هذا الحجر فانظر إلى الحرابى تواجه الشمس فكيف مالت قابلتها، قيل لعامر بن عبد قيس: أما تسهو في صلاتك؟ قال: أو حديث أحب إلي من القرآن حتى أشتغل به! هيهات مناجاة الحبيب تستغرق!)[١]، أ.هـ.

ويكفي الملتفت بقلبه عن ربه تبارك وتعالى في صلاته عقوبة، وردعًا، وتخويفًا، وزجرًا أن اللّه ينصرف عنه كما انصرف هو عن ربه جل جلاله؛ فالجزاء من جنس العمل: فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "لَا يَزَالُ اللّهُ -عزَّ وجل- مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ" رواه أبو داود والنسائي وأحمد.

وصحح الحاكم وابن خزيمة حديث الْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِنَّ اللّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا نَصَبْتُمْ وُجُوهَكُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا؛ فَإِنَّ اللّهَ

١ – المرجع السابق (ص: ٤٥٤).

يَنصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ حِينَ يُصَلِّي لَهُ، فلَا يَصْرِفُ عَنهُ وَجْهَهُ حَتَّى يَكُونَ الْعَبْدُ هُوَ يَنصَرِفُ" ورواه الترمذي والطبراني.

وشبّه النبي ﷺ التفاتته تلك بالتفاتة الثعلب وكفى بذلك زاجرًا، وبمثل هذا اللفظ واعظًا ففي مسند أحمد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: "نهَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ نقْرَةٍ كَنقْرَةِ الدِّيك، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ".

درجات الخشوع

وليس الخشوع على درجة واحدة، وليس في مرتبة متساوية، شأنه شأن الناس في خشوعهم كما سبق، يقول ابن القيم ﵀ في مدارج السالكين ناقلًا عن الهروي ﵀ هذه الدرجات الثلاث، ثم يشرحها ابن القيم:

(وهو –أي الخشوع- على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق.

التذلل للأمر[1]: تلقيه بذلة القبول، والانقياد، والامتثال، ومواطأة الظاهر الباطن، مع إظهار الضعف، والافتقار إلى الهداية للأمر قبل الفعل، والإعانة عليه حال الفعل، وقبوله بعد الفعل.

وأما الاستسلام للحكم: فيجوز أن يريد به: الحكم الديني الشرعي، فيكون معناه عدم معارضته برأي أو شهوة، ويجوز أن يريد به: الاستسلام للحكم القدري، وهو عدم تلقيه بالتسخط، والكراهة، والاعتراض.

---

١ – الشرح الآن لابن القيم رحمه اللهّ، وكلما هو تحت الخط الغامق، وبعد كلمة أما وأما...فهو له؛ فمدارج السالكين إنما هو شرح لمنازل السائرين للعابد العارف باللهّ/ عبد اللهّ الأنصاري الهروي رحمه اللهّ، ثم جاء ابن القيم فشرحه في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. يقول الهروي رحمه اللهّ: (وهو ـأي الخشوعـ على ثلاث درجات: الدرجة الأولى التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق، والدرجة الثانية: ترقّب آفات النفس، والعمل ورؤية فضل كل ذي فضل عليك وتنسم نسيم الفناء، الدرجة الثالثة حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفية الوقت من مراياة الخلق، وتجريد رؤية الفضل) منازل السائرين (ص: ٢٨).

والحق أن الخشوع هو الاستسلام للحكمين: وهو الانقياد بالمسكنة، والذل لأمر اللّه وقضائه.

وأما الاتضاع لنظر الحق: فهو اتضاع القلب والجوارح، وانكسارها لنظر الرب إليها، واطلاعه على تفاصيل ما في القلب والجوارح، وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن:٤٦]، **وقوله:** ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [سورة النازعات:٤٠]، **وهو مقام الرب على عبده بالاطلاع، والقدرة، والربوبية، فخوفه من هذا المقام: يوجب له خشوع القلب لا محالة، وكلما كان أشد استحضارًا له كان أشد خشوعًا، وإنما يفارق القلب إذا غفل عن اطلاع اللّه عليه، ونظره إليه، والتأويل الثاني: أنه مقام العبد بين يدي ربه عند لقائه، فعلى الأول: يكون من باب إضافة المصدر إلى الفاعل، وعلى الثاني: -وهو أليق بالآية- يكون من باب إضافة المصدر إلى المخوف، واللّه أعلم.**

الدرجة الثانية: ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل عليك، وتنسّم نسيم الفناء.

يريد: انتظار ظهور نقائص نفسك، وعملك وعيوبهما؛ فإنه يجعل القلب خاشعًا لا محالة لمطالعة عيوب نفسه، وأعماله، ونقائصهما من الكبر، والعجب، والرياء، وضعف الصدق، وقلة اليقين، وتشتت النية، وعدم تجرد

الباعث من الهوى النفساني، وعدم إيقاع العمل على الوجه الذي ترضاه لربك، وغير ذلك من عيوب النفس، ومفسدات الأعمال.

وأما رؤية فضل كل ذي فضل عليك: فهو أن تراعي حقوق الناس فتؤديها، ولا ترى أن ما فعلوه من حقوقك عليهم، فلا تعاوضهم عليها؛ فإن هذا من رعونات النفس وحماقاتها، ولا تطالبهم بحقوق نفسك، وتعترف بفضل ذي الفضل منهم، وتنسى فضل نفسك، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس اللّه روحه- يقول: العارف لا يرى له على أحد حقًا، ولا يشهد له على غيره فضلًا، ولذلك لا يعاتب، ولا يطالب، ولا يضارب.

وأما تنسم نسيم الفناء: فلما كان الفناء عنده غاية جعل هذه الدرجة كالنسيم؛ لرقته، وعبّر عنها بالنسيم؛ لِلطف موقعه من الروح، وشدة تشبثها به، ولا ريب أن الخشوع سبب موصل إلى الفناء، فاضله ومفضوله.

الدرجة الثالثة: حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفية الوقت من مراءاة الخلق، وتجريد رؤية الفضل.

أما حفظ الحرمة عند المكاشفة[1]: فهو ضبط النفس بالذل والانكسار عن البسط والإدلال الذي تقتضيه المكاشفة؛ فإن المكاشفة توجب بسطًا، ويخاف منه شطح إن لم يصحبه خشوع يحفظ الحرمة.

---

١ - مصطلح خاص بأهل السلوك، وإن صار علمًا على الصوفية في ادعاء علم الغيب باسم المكاشفة، والمراد به عند أهل السلوك: منزلة يصل إليها الأولياء يفتح اللّه عليهم ما لا يفتح على غيرهم، ويريهم من آياته بل

يطلعهم على غيبه ما لا يطلع سواهم، ويهبهم من كراماته ما تقر به عيونهم، وهي درجات لدى العارفين قال القشيري: (المحاضرة ابتداءاً، ثم المكاشفة، ثم المشاهدة، فالمحاضرة: حضور القلب. وقد يكون بتواتر البرهان، وهو بعدُ وراء الستر، وإن كان حاضراً باستيلاء سلطان الذكر، ثم بعده المكاشفة: وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمُّل الدليل، وتطلب السبيل، ولا مستجير من دواعي الريب. ولا محجوب من نعت الغيب، ثم المشاهدة: وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة) الرسالة القشيرية (ص: ٣٩).

بل جعلها الإمام الهروي من أقسام الحقائق فقال: ((وأما قسم الحقائق فهو عشرة أبواب وهي المكاشفة والمشاهدة والمعاينة والحياة والقبض والبسط والسكر والصحو والاتصال والانفصال) منازل السائرين (ص: ١١٣)، ثم عرّف المكاشفة بقوله: (المكاشفة مهاداة السر بين متباطنين، وهي في هذا الباب: بلوغ ما وراء الحجاب وجودًا، وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح وهي أن تكون مستديمة، فإذا كانت حينا دون حين لم يعارضه تفرق، غير أن العين ربما شاب مقامه على أنه قد بلغ مبلغًا لا يلفته قاطع، ولا يلويه سبب، ولا يقتطعه حظ، وهي درجة القاصد فإذا استدامت فهي الدرجة الثانية، وأما الدرجة الثالثة: فمكاشفة عين لا مكاشفة علم، ولا مكاشفة حال، وهي مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ، أو تلجئ الى توقف، أو تنزل على ترسم، وغاية هذه المكاشفة المشاهدة) المرجع السابق.

ودعك من شطحة الغزالي رحمه اللّه بل شطحاته المتصوفة الكثيرة كمثل: (واعلم إن حقيقة المكاشفة هي: عين النظر إلى المحبوب، ولكن يتفاوت على قدر درجات المحبين، وليس نظر الخلق كله واحداً، فأدنى درجاتهم النظر القلبي، أما النظر البصري فهو غر قوم عرض غير دائم، وأعظم المنزلتين هو الجمع بين النظر والقلب، فإذا ُرفعت ستور الغفلة والهواء، تجلى المحبوب فتلاشى المحب، حتى يخرج من الستور البشرية، والحجاب الجسماني، فيرى الحجاب ويسمع الخطاب: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، فعند ذلك يمتد له خطاب من الهواء في جميع ما يحدث في الكائنات، فيصير عيسوي الحال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٤٩]، فيصير الملائكة ومؤمنو الجن بحكمه وطاعته، وينخرق بينه وبين اللّه ووزنة يعلم بها خلاصة صفاء أسرار الكائنات، ولكن بشرط خير العلم والعمل بصدق من غير

وأما تصفية الوقت من مراءاة الخلق: فلا يريد به أنه يصفي وقته عن الرياء؛ فإن أصحاب هذه الدرجة أجل قدرًا، وأعلى من ذلك، وإنما المراد: أنه يخفي أحواله عن الخلق جهده، كخشوعه، وذله، وانكساره؛ لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته، وقلبه، وحاله مع اللّه، وكم قد اقتطع في هذه المفازة من سالك، والمعصوم من عصمه اللّه، فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة، والفاقة، والذل، وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يصح له بعد الإسلام حتى يدعي الشرف فيه، ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس اللّه روحه- من ذلك أمرًا لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيرًا: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا فيّ شيء، وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المكدي وابن المكدي　　　وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: واللّه إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلامًا جيدًا، وبعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أنا الفقير إلى رب البريات　　　أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي　　　والخير إن يأتنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة　　　ولا عن النفس لي دفع المضراتِ

تجربة، فإذا هبت نسمات اللطف برفع حجاب الغفلة، انقلبت له الكائنات على ما يريد؛ إذ الإرادتان امتزجتا) سر العالمين وكشف ما في الدارين (ص: ٣٨).

وليس لي دونه مولى يدبرني ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتي
إلا بإذن من الرحمن خالقنا إلى الشفيع كما قد جاء في الآياتِ
ولست أملك شيئا دونه أبدا ولا شريك أنا في بعض ذراتِ
ولا ظهير له كي يستعين به كما يكون لأرباب الولاياتِ
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم وكلهم عنده عبد له آتي
فمن بغى مطلبا من غير خالقه فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمد لله ملء الكون أجمعه ما كان منه وما من بعد قد يأتي

وأما تجريد رؤية الفضل: فهو أن لا يرى الفضل والإحسان إلا من اللّه؛ فهو المان به بلا سبب منك، ولا شفيع لك تقدم إليه بالشفاعة، ولا وسيلة سبقت منك توسلت بها إلى إحسانه، والتجريد: هو تخليص شهود الفضل لوليه؛ حتى لا ينسبه إلى غيره، وإلا فهو في نفسه مجرد عن النسبة إلى سواه، وإنما الشأن في تجريده في الشهود؛ ليطابق الشهود الحق في نفس الأمر، واللّه أعلم)[١] **أ.هـ.**

---

١ - مدارج السالكين (١/ ٥٢٥-٥٢٦).

علامة الخشوع

لا ريب أن لكل شيء علامة تظهر، وأوسمة تبدو، ولحن ينطق، وإن الخشوع له علاماته الخاصة، وميزاته الظاهرة، قال السبكي رحمه الله: (الخشوع قسمان: ظاهري، وباطني: فالظاهري سكون الجوارح عن العبث، وجعل بصره موضع سجوده، والباطني: خوف القلب، وخضوعه، ورقته، وسكونه، وحفظه عن الاشتغال بغير ما هو فيه من التأمل في معانى القرآن، فينشأ عنه سكون الجوارح، وقد اتفق العلماء على أنه يطلب من المصلي أن يكون خاشعًا، خاضعًا، مستحضرًا عظمة الله وهيبته، وأنه يناجي من لا تخفى عليه خافية، لقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٢]**، أي خائفون من الله، متذللون له، جاعلون أبصارهم إلى مواضع سجودهم، وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أولُ شيء يرفع من هذه الأمة الخشوعُ حتى لا ترى فيها خاشعا" أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن)[١]، والحديث صححه الألباني.**

ونقل سعيد حوى رحمه الله عن الحنفية أن من مظاهر الخشوع عندهم جهة نظر المصلي فقال: (من مظاهر الخشوع عند الحنفية نظر المصلي إلى موضع سجوده قائمًا، وإلى ظاهر قدميه راكعًا، وإلى أرنبة أنفه ساجدًا، وإلى حجره

١ - الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (٢/ ٢٦٣).

جالسًا، وإلى منكبيه مسلمًا، وأن يمسك فمه عند التثاؤب، فإن لم يقدر غطّاه بظهر يده اليسرى، أو بكمه بأقل ما يمكن من الحركة، وأن يدفع السعال ما استطاع، والسعال عندهم بلا عذر يفسد الصلاة إذا خرج حرفان أو أكثر بسببه، ومما ينبغي أن يلاحظه الإنسان بأن يقوم إلى الصلاة بنشاط، قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء:١٤٢]، **وقال الشافعية: ويسن للمصلي أن يفرّغ قلبه من الشواغل الدنيوية؛ لأنه أعون على الخضوع والخشوع**[١] **أ.هـ.**

وينقل ابن كثير رحمه الله **عن المفسرين في معنى الآية:** ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، **بأنه الخوف، والسكون، وغض البصر، فقال: (قال علي بن أبي طلحة** رحمه الله**، عن ابن عباس** رضي الله عنهما**:** ﴿خَٰشِعُونَ﴾**: خائفون ساكنون، وكذا روي عن مجاهد، والحسن، وقتادة، والزهري -رحمهم الله-، وعن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه**: الخشوعُ: خشوعُ القلبِ، وكذا قال إبراهيم النخعي** رحمه الله**، وقال الحسن البصري** رحمه الله**: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم، وخفضوا الجناح، وقال محمد بن سيرين** رحمه الله**: كان أصحاب رسول الله** ﷺ **يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فلما نزلت هذه**

---

١ - الأساس في السنة وفقهها - العبادات في الإسلام (٢/ ٧٩٣).

الآية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، وقال ابن سيرين رحمه الله: وكانوا يقولون: لا يجاوز بصره مُصَلاه، فإن كان قد اعتاد النظر فَلْيُغْمِضْ. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم)[١].

وهذا الطبري رحمه الله يذكر أحسن المظاهر: (الذين هم في صلاتهم متذللون للّه بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل للّه فيها العبد رُؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه، وشغله بفرضه، وتركه ما أُمر بتركه فيها)[٢].

وقال ابن جزي رحمه الله: (الخشوع حالة في القلب من الخوف، والمراقبة، والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة، وعدم الالتفات، والبكاء، والتضرع)[٣].

وقد أطال ابن تيمية رحمه الله وأسهب، وأجاد وأفاد، وجمع فأوعى في هذا الباب فقال في مجموع الفتاوى مع بعض التصرف والاختصار غير المخل: (فالخشوع يتضمن السكينة والتواضع جميعًا، ومنه حديث عمر رضي الله عنه حيث رأى رجلًا

١ - تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦١).
٢ - تفسير الطبري (١٩/ ٩).
٣ - التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ص: ١١٦١).

يعبث في صلاته: فقال "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه"[١] أي لسكنت وخضعت، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت:٣٩]، **فأخبر أنها بعد الخشوع تهتز، والاهتزاز حركة، وتربو، والربو الارتفاع، فعلم أن الخشوع فيه سكون وانخفاض، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في حال ركوعه "اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعقلي وعصبي"[٢] رواه مسلم في صحيحه، فوصف نفسه بالخشوع في حال الركوع؛ لأن الراكع ساكن متواضع، وبذلك فُسّرت الآية؛ ففي التفسير المشهور الذي يقال له تفسير**

---

١ – ونقله البيهقي رواية عن ابن المسيب فقال: (رُوِّينَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَعْبَثُ بِالْحَصَى فَقَالَ: لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ)، ومثله ابن أبي شيبة. مصنف ابن أبي شيبة ترقيم عوامة (٢/ ٢٨٩)، السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (٢/ ٢٨٥)، والبغوي: شرح السنة للبغوي (٣/ ٢٦١)، وعبدالرزاق في مصنفه: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٢٦٦)، وابن المبارك في الزهد: الزهد لابن المبارك (ص: ٤١٩)، ورواه المروزي عن حذيفة بن اليمان، ومرة عن ابن المسيب: تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٩٤)، والعجيب أن بعضهم يجعله حديثًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٢٣٠)، قال العراقي: (رواه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم) اهـ تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١/ ٣٣٩).

٢ – ونصه عنده بطوله: "فَإِذَا رَكَعَ كَانَ كَلَامُهُ فِي رُكُوعِهِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ".

الوالبي عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﭬ، وقد رواه المصنفون في التفسير كأبي بكر بن المنذر، ومحمد بن جرير الطبري وغيرهما من حديث أبي صالح عبد الله بن صالح، عن معاوية بن أبي صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﭬ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٢]، **يقول: خائفون ساكنون، وفي تفسير ابن المنذر أيضًا ما في تفسير إسحاق بن راهويه، عن روح، حدثنا سعيد، عن قتادة:** ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ **قال: الخشوع في القلب، والخوف، وغض البصر في الصلاة، وعن أبي عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن** ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ **أي لا تطمح أبصارهم، ولا يلتفتون، قال قتادة ؒ: الخشوع في القلب، ومنه خشوع البصر، وخفضه، وسكونه، ضد تقليبه في الجهات، كقوله تعالى:** ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ [سورة القمر:٦-٨]، **وقوله تعالى:** ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ [سورة المعارج:٤٣]، ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [سورة المعارج:٤٤]، **وفي القراءة الأخرى:** ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾، **وفي هاتين الآيتين وصَف أجسادهم بالحركة السريعة؛ حيث لم**

يصف بالخشوع إلا أبصارهم، بخلاف آية الصلاة فإنه وصف بالخشوع جملة المصلين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾، وإذا كان الخشوع في الصلاة واجبًا وهو متضمن للسكون والخشوع، فمن نقر نقر الغراب لم يخشع في سجوده، وكذلك من لم يرفع رأسه من الركوع، ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن؛ لأن السكون هو الطمأنينة بعينها، فمن لم يطمئن لم يسكن، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه، ولا في سجوده، ومن لم يخشع كان آثمًا عاصيًا وهو الذي بيناه)، ثم ذكر حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَلَا تَأْتوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ"، وفي رواية: "وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتكُمْ فَأَتِمُّوا؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ" ثم قال: (فإذا كان النبي ﷺ قد أمر بالسكينة حال الذهاب إلى الصلاة، ونهى عن السعي الذي هو إسراع في ذلك؛ لكونه سببًا للصلاة فالصلاة أحق أن يؤمر فيها بالسكينة، وينهى فيها عن الاستعجال، فعُلم أن الراكع والساجد مأمور بالسكينة، منهي عن الاستعجال بطريق الأولى والأحرى، لا سيما وقد أمره بالسكينة بعد سماع الإقامة الذي يوجب عليه الذهاب إليها، ونهاه أن يشتغل عنها بصلاة تطوع، وإن أفضى ذلك إلى فوات بعض الصلاة، فأمره بالسكينة وأن يصلي ما فاته منفردًا بعد سلام الإمام، وجعل ذلك مقدمًا على الإسراع إليها، وهذا يقتضي شدة النهي عن الاستعجال إليها فكيف فيها؟ يبين ذلك ما روى أبو داود عن أبي ثمامة

الحناط، عن كعب بن عجرة ﷺ قال: إن رسول اللّه ﷺ قال: "إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه، ثم خرج عامدًا إلى المسجد فلا يشبكن يديه؛ فإنه في صلاة"(١)، فقد نهاه ﷺ في مشيه إلى الصلاة عما نهاه عنه في الصلاة من الكلام والعمل له منفردًا، فكيف يكون حال المصلي نفسه في ذلك المشي وغير ذلك؟ فإذا كان منهيًا عن السرعة والعجلة في المشي، مأمورًا بالسكينة وإن فاته بعض الصلاة مع الإمام حتى يصلي قاضيًا له فأولى أن يكون مأمورًا بالسكينة)(٢).

وقال الشنقيطي ﷺ: (وقوله: ﴿خَٰشِعُونَ﴾ ظاهرًا وباطنًا، فالخشوع الظاهري التمسك بآداب الصلاة، كقصر الأبصار في مواضع السجود؛ لأن الخشوع فعل قلب يظهر أثره في الجوارح، لحديث: "لَوْ خَشَعَ قَلبُ هذا لَخَشعتْ جوارحُه" والباطني استحضار عظمة اللّه تعالى، ومنه أن لا يحدث نفسه بأمر لا يتعلق بالصَّلاة، وأن يتدبّر ما يجري على لسانه من القراءة والذكر، وأن لا يلتفت، لحديث: "لَا يَزَال اللّه مقبلًا على العَبْد ما لم يَلْتفِت، فإذا التفتَ أعْرَضَ عنه")(٣) أ.هـ.

---

١ - وصححه الألباني وكذلك حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلّم: "إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ لِلصَّلَاةِ فلَا يُشَبِّكْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" رواه الطيالسي.
٢ - مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٤- ٥٦٥).
٣ - كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (١/ ٤٢٦).

وخاتمة لحديثي هذا عن مظاهر الخشوع، وأن أبرز مظهر سكون الجوارح، أنقل أنواع حركات الجوارح عند الفقهاء، فقد قال حسام الدين عفانة في فتاواه: (وقد جعل بعض العلماء الحركة في الصلاة على خمسة أقسام:

١. الحركة الواجبة: وهي التي تتوقف عليها صحة الصلاة، كمن كان يصلي لغير القبلة، فنبّهه آخر إلى أن القبلة عن يمينه أو يساره -مثلاً-، فيجب عليه أن ينحرف؛ لأنه إن بقي على حاله فصلاته باطلة.

٢. حركة مستحبة: وهي التي يتوقف عليها فعل مستحب، مثل أن يتقدم المصلي إلى صف أمامه صار فيه فراغ فتحرك ليتم الصف، فهذه الحركة مستحبة؛ لأن فيها وصلاً للصف.

٣. حركة مكروهة: وهي الحركة اليسيرة بدون حاجة؛ لأنها عبث منافٍ للخشوع، كمن ينظر إلى ساعته أثناء الصلاة.

٤. حركة محرمة: وهي الحركة الكثيرة المتوالية لغير ضرورة، كما يحصل من بعض المصلين من كثرة الحركة في الصلاة في إصلاح ملابسهم، أو العبث بأجسادهم ونحو ذلك، ومثل هذه الحركات تكون مبطلة للصلاة، ولا شك أن كثرة الحركة في الصلاة تدل على عدم الخشوع، وتنقص من الأجر؛ فقد ورد في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: (منكم من يصلي الصلاة كاملة، ومنكم من يصلي النصف، والثلث، والربع، والخمس، حتى بلغ العشر)[1] رواه النسائي بإسناد صحيح كما قال الإمام النووي.

---

١ - رواه النسائي وأحمد وصححه الألباني ونصه: عَنْ أَبِي الْيَسَرِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو رضي اللهّ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صلى اللهُ عليه وسلَّم: "مِنْكُمْ مَنْ

٥. حركة مباحة: وهي الحركة اليسيرة للحاجة كالمرأة التي تصلي وابنها يبكي فيجوز لها حمله أثناء الصلاة وقد ثبت "أن النبي ﷺ حمل أمامة بنت زينب في الصلاة" رواه البخاري ومسلم(١)**.**

يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَامِلَةً، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ، وَالثُّلُثَ، وَالرُّبُعَ، حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ "، وفي معناه ما سبق معنا عند أصحاب السنن وأحمد: عَنْ ابْنِ لَاسٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: (دَخَلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ - رضي اللّه عنه - الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ أَخَفَّهُمَا وَأَتَمَّهُمَا ثُمَّ جَلَسَ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَجَلَسْنَا عِنْدَهُ، فَقُلْنَا لَهُ: لَقَدْ خَفَّفْتَ رَكْعَتَيْكَ هَاتَيْنِ جِدًّا يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، فَقَالَ: إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا الشَّيْطَانَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ فِيهِمَا)، وفي رواية: (إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا السَّهْوَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه - صلى اللّهُ عليه وسلّم - يَقُولُ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاته إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا")

١ - فتاوى يسألونك (١/ ٢١).

ماذا لك إن خشعت؟

ولا يستوي من يعلم ومن لا يعلم؛ فمن علم وعرف اغترف، ومن لم يعلم بالفضل لم ولن يبالي بفوات الأجر، وإذا علمت ما تحوز من فضائل بخشوعك هان عليك مجاهدة نفسك: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر:٩]، وفي صحيح مسلم: "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"، ومما تنال من الفضل، وما تكسبه من أجر بخشوعك في صلاتك، وإخباتك لربك:

١- تخرج من صلاتك كيوم ولدتك أمك لا ذنوب عليك، ولا معاصي على جنبيك إذا فرّغت قلبك لربك، وأقبلت عليه به: فَعَنْ عَمْرُو بْنَ عَبَسَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلّهِ إِلَّا انصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " رواه مسلم.

٢- بل أعظم من هذا وجبت له الجنة فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ ﵁ قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ خُدَّامَ أَنْفُسِنَا نَتَنَاوَبُ رِعَايَةَ إِبِلِنَا، فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَرَوَّحْتُهَا بِالْعَشِيِّ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ

يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"، وفي رواية: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فِي صَلَاتِهِ فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ إِلَّا انْفَتَلَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا لَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ"، رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم.

٣- وتكون لك كفارة لخطاياك، ومكفرة لزلاتك، وغافرة لهفواتك إذا أحسنتها: ففي صحيح مسلم: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ".

٤- وفي حديث آخر شرط عدم السهو: فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" رواه أبو داود وأحمد.

٥- وهنا تعبير نبوي آخر لمغفرة الذنوب هي تساقط عنك معاصيك: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ﷺ فَتًى وهو يُصَلِّي قَدْ أَطَالَ صَلَاتَهُ وَأَطْنَبَ فِيهَا، فَقَالَ: مَنْ يَعْرِفُ هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أنا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ لَأَمَرْتُهُ أَنْ يُطِيلَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؛ فإني سمعت النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أُتِيَ بِذُنُوبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَى رَأْسِهِ وَعَاتِقَيْهِ، فَكُلَّمَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ تَسَاقَطَتْ عَنْهُ" رواه البيهقي وابن حبان.

٦- بل ضمن لك رسول الله ﷺ الجنة، ووعدك بأعلى الدرجة ففي النسائي، وأبي داود، وأحمد: عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: (كُنتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه فَذَكَرُوا الْوِتْرَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاجِبٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سُنَّةٌ، فَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ -عليه السلام- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ -عز وجل- يَقُولُ لَكَ: إِنِّي قَدْ فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ، وَسُجُودَهُنَّ، وَخُشُوعَهُنَّ، وَلَمْ يُضَيِّعْ شَيْئًا مِنهُنَّ اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِندِي عَهْدٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ، وَأُدْخِلَهُ بِهِنَّ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَنِي قَدْ انْتَقَصَ مِنهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ"، وفي رواية: "وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِندِي عَهْدٌ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ رَحِمْتُهُ".

٧- بل يكفي الخاشع أن الله ضمن له الفلاح ثم الفردوس الأعلى من الجنة، وفي نص كتابه جل جلاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢]، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٠-١١].

٨- **ويسّر الصلاة للخاشعين، وهوّن أمرها على الخاضعين، وحبّبها إلى قلوب الراغبين:** ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [سورة البقرة:٤٥].

٩- **وجعل الخاشع مخبتًا، وقلبه وجلًا:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الحج:٣٥].

١٠- **ووصفهم بقوله:** ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر:٢٣].

١١- **ووصفهم أيضًا بقوله:** ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران:١٩٩].

والأدلة تطول لو أحصيناها كتابًا وسنة: ويكفي ما سبق مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق:٣٧].

التحذير من ترك الخشوع

وإذا علم المسلم ما يفوته لو ترك خشوعه في صلاته، وخضوعه لربه في عبادته، فحري أن يتكلف الخشوع، ويجاهد نفسه لنيله، ويسعى لذرف دموعه، ومما يفوته:

١- أن اللّه لا يقبل صلاته: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي سِتِّينَ سَنَةً وَلَا يَقْبَلُ اللّهُ لَهُ صَلَاةً؛ لَعَلَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ، وَلَا يُتِمُّ السُّجُودَ، وَيُتِمُّ السُّجُودَ، وَلَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ" أخرجه ابن عدي وابن أبي شيبة والأصبهاني وحسنه الألباني.

٢- ونفى النبي ﷺ عنه الصلاة بعبارة "لا صلاة له"، وأنها لا تجزئه تلك الصلاة: فعَنْ عَلِيِّ بْنِ شَيْبَانَ الْحَنَفِيِّ ﷺ قَالَ: (خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ، فَلَمَحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمُؤْخِرِ عَيْنِهِ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ -يَعْنِي صُلْبَهُ- فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ") رواه ابن ماجه وأحمد.

٣- ولا ينظر اللّه إليه: فعَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "لَا يَنظُرُ اللّهُ -عز وجل- إِلَى صَلَاةِ رَجُلٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ" رواه أحمد والطبراني، وحسنه شعيب الأرناؤوط والألباني، وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "لَا

تجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ" رواه أصحاب السنن.

٤- وشبّهه ﷺ بالغراب، بل نفى أن يكون من الأمة: فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ جَلَسَ فِي طَائِفَةٍ مِنهُمْ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَامَ يُصَلِّي، فَجَعَلَ يَرْكَعُ وَيَنقُرُ فِي سُجُودِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "أَتَرَوْنَ هَذَا؟، مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا مَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، يَنقُرُ صَلَاتَهُ كَمَا يَنقُرُ الْغُرَابُ الدَّمَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي يُصَلِّي وَلَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ، مَثَلُ الْجَائِعِ الَّذِي لَا يَأْكُلُ إِلَّا التَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ، لَا تُغنِيَانِ عَنهُ شَيْئًا، فَأَسْبِغُوا الْوُضُوءَ، وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنْ النَّارِ، وَأَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ"، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللّهِ الْأَشْعَرِيِّ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: أُمَرَاءُ الْأَجْنادِ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ رضي الله عنهم، كُلُّ هَؤُلَاءِ سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ)، رواه ابن خزيمة وأبو يعلى، وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: (رَأَى حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه رَجُلًا لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ دَعَاهُ حُذَيْفَةُ فَقَالَ لَهُ: مُنذُ كَمْ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: مُنذُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَقَالَ: مَا صَلَّيْتَ مُنذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَوْ مِتَّ وَأَنْتَ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ لَمِتَّ عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ أَقْبَلَ حُذَيْفَةُ عَلَيْهِ يُعَلِّمُهُ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُخَفِّفُ فِي صَلَاتِهِ، وَإِنَّهُ لَيُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ) رواه البخاري والنسائي وأحمد.

٥- **وصف النبي ﷺ فعلته بأقبح سرقة: فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: (ذُكِرَتْ السَّرِقَةُ عِند رَسُولِ اللّهِ ﷺ فقَالَ: "أيُّ السَّرِقَةِ تعُدُّونَ أَقْبَحُ"، فَقَالُوا: الرَّجُلُ يَسْرِقُ مِنْ أخِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِنَّ أَقْبَحَ السَّرِقَةِ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتهُ"، قَالُوا: كَيْفَ يَسْرِقُ أحَدُنا صَلَاتهُ؟، قَالَ: "لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا، وَلَا سُجُودَهَا، وَلَا خُشُوعَهَا")، وفي رواية: "لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ" رواه البيهقي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة.**

حكم صلاة من لم يخشع فيها!

ولعل مما يحرك في نفس المؤمن دافع الخشوع، وأهميته في صلاته، وضرورة إقباله على ربه في هذه الشعيرة المباركة، والفريضة الفاصلة بينه وبين غيره من غير المسلمين أن أذكر له أقوال الفقهاء في حكم الخشوع في الصلاة، وأبدأ بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي رجّح وجوب الخشوع في الصلاة؛ تبعًا لغيره، وسرد أدلته على ذلك فقال: (ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة: أن النبي ﷺ توعّد تاركيه كالذي يرفع بصره إلى السماء؛ فإن حركته ورفعه هو ضد حال الخاشع؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في صلاتهم؟ فاشتد قوله في ذلك، فقال: لينتهن عن ذلك، أو لتخطفن أبصارهم"[١]، وعن جابر بن سمرة قال: (دخل رسول اللّه ﷺ المسجد وفيه ناس يصلون رافعي أبصارهم إلى السماء، فقال: "لينتهين رجال يشخصون أبصارهم إلى السماء أو لا ترجع

١ - رواه البخاري ومسلم، وبعض ألفاظه عند ابن ماجه وأحمد -وقد سبق مرارًا- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك - رضي اللّه عنه - قَالَ: ("صَلَّى رَسُولُ اللّه - صلى اللّهُ عليه وسلَّم - يَوْمًا بِأَصْحَابه، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ؟ أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ بَصَرَهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ؟" فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ")، وعند أبي داود زيادة: "فاشتد قولُه في ذلك".

إليهم أبصارهم")[1]، والأول في البخاري، والثاني في مسلم[2]، وكلاهما في سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه، وقال محمد بن سيرين رحمه الله: كان رسول الله ﷺ يرفع بصره في الصلاة، فلما نزلت هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢] **لم يكن يجاوز بصره موضع سجوده[3]، رواه الإمام أحمد في كتاب الناسخ والمنسوخ[4]، فلما كان رفع البصر إلى السماء ينافي الخشوع حرمه النبي ﷺ وتوعّد عليه)[5] أ.هـ.**

---

١ - رواه أبو داود وصححه الألباني: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ - قَالَ عُثْمَانُ: - قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَسْجِدَ، فَرَأَى فِيهِ نَاسًا يُصَلُّونَ رَافِعِي أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ اتَّفَقَا، فَقَالَ: " لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ يَشْخَصُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ مُسَدَّدٌ فِي الصَّلَاةِ: - أَوْلَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبْصَارُهُمْ ".

٢ - لعله وهم من الإمام رحمه الله؛ فليس إلا عند أبي داود.

٣ - ويؤيده حديث عبد الله بن الزبير قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلس في التشهد وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويده اليسرى على فخذه اليسرى، وأشار بالسبابة، ولم يجاوز بصره إشارته) رواه أحمد والنسائي وأبو داود.

٤ - وصححه الألباني في كتاب الإيمان لابن تيمية: ص٢٦، وضعفه في الارواء: ٣٥٤، ونصه: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى نَزَلَتْ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} فَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ بِرُؤوسِهِمْ هَكَذَا).

٥ - راجع: القواعد النورانية الفقهية (ص: ٤٦)، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٢/ ٥٥٨)، ومجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٨).

ومِثل الذي ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله ذهب إليه الغزالي رحمه الله قبله، وقد عقد بابًا في إحياء علوم الدين بعنوان: (بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب)، فجعل الخشوع شرطًا من شروط صحة الصلاة مثله مثل الوضوء، فمن لم يخشع فصلاته باطلة حسب ما ذهب إليه رحمه الله، وسرد أدلته، وبيّن حججه، ورد الإجماع المدعى[1]، وإن كان في الأخير ذهب مذهبًا وسطًا؛ رفقًا بالناس؛ إذا أكثرهم لا يخشعون، وبالتالي حسب قوله ستكون صلاة أغلب المسلمين باطلة، مما اضطره لأن يجعل الخشوع شرطًا في صحة الصلاة لكن لا في كلها، بل ولو في جزء منها[2]، كما سيأتينا في آخر كلامه رحمه الله، وهأنذا أسوق

---

١ - يأتيك في رقم ١٢ قوله: (فإن قلت إن حكمت ببطلان الصلاة، وجعلت حضور القلب شرطًا في صحتها، خالفت إجماع الفقهاء؛ فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير، فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم: أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن، ولا يشقون عن القلوب، ولا في طريق الآخرة، بل يبنون أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح، وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل، وتعزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعي الإجماع؛ فقد نُقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال: (من لم يخشع فسدت صلاته)، وروي عن الحسن أنه قال: (كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع)، وعن معاذ بن جبل: (من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له))ا.ه.

٢ - وجعلت نص كلامه هذا بخط غامق وسيأتي: (والحق الرجوع إلى أدلة الشرع، والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط، إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق؛ فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة؛ فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين، وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك) ا.هـ.

كلامه مرتبًا، منظمًا، مرقمًا، مرتبًا ترتيبًا جيدًا؛ كي يُفهم جيدًا مع أنه ليس كذلك في المرجع، فقال رحمه الله: **(اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك:**

١- **قوله تعالى:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه:١٤]، **وظاهر الأمر الوجوب، والغفلة تضاد الذكر؛ فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره!.**

٢- **وقوله تعالى:** ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٥]، **نهي، وظاهره التحريم.**

٣- **وقوله عز وجل:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء:٤٣]، **تعليل لنهي السكران، وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا.**

٤- **وقوله** ﷺ: **"إنما الصلاة تمسكن وتواضع"**[١]**، حصر بالألف واللام، وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله** ﷺ: **"إنما الشفعة فيما لم يقصر" الحصر والإثبات والنفي.**

٥- **وقوله** ﷺ: **"من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من اللّه إلا بعدًا"**[١]**، وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر.**

---

١ - قال العراقي: (أخرجه الترمذي والنسائي بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب) المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٠٤).

٦- وقال ﷺ: "كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب"، "رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر"، ولأحمد: "رب قائم حظه من صلاته

---

١ - سبق التنبيه عليه في المقدمة: وهنا وجب عليّ التنبيه لحديث مشهور متداول عند العامة والخاصة منسوب لابن مسعود رضي اللّه عنه، وفي بعضها لجابر بن عبداللّه رضي اللّه عنهما، وفي بعضها لابن عباس رضي اللّه عنهم، وهم جميعًا منه براء وحاشاهم، أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: "مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللّهِ إِلا بُعدًا""، وهو حديث موضوع باطل كل البطلان سندًا، ومتنًا، وعقلًا، وشرعًا، وعرفًا، وعادة، ومن كل وجه، وإن كان حشره الطبراني في معجمه، وابن كثير في تفسيره وغيرهما رحمهما اللّه، قال الألباني معلقًا على الحديث بعد أن ذكر متنه: (وهو حديث باطل متناً، ضعيف سنداً، ولا أصل له عن جابر بن زيد مطلقاً ، مع أنه قد روي في كتبنا نحن – معاشر أهل السنة والحديث – عن جمع من الصحابة، مرفوعاً ، وموقوفاً – وهو الصواب -، ولكنه باطل من حيث معناه؛ لأن من يصلي خير من الذي لا يصلي ، وأقرب إلى اللّه منه ؛ ولو كان فاسقاً – كما قال ابن تيمية رحمه اللّه -، وقد خرّجت طرقه وبينت عللها في أول المجلد الأول من "سلسلة الأحاديث الضعيفة"، وبينت بطلان متنه هناك برقم(٢) فليراجع من شاء) انتهى من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٣/ ٦٥٩). (قال الذهبي: قال ابن الجنيد: كذب وزور، قال الحافظ العراقي: حديث إسناده لين، قال الألباني: باطل لا يصح من قبل إسناده ولا من جهة متنه)، مائة حديث من الأحاديث الضعيفة والموضوعة (ص: ١)، ولو استشهد بما رواه ابن حبان وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي اللّه عنه – قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – صلى اللّه عليه وسلم – فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ قَالَ: " نَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا يَقُولُ"، وفي رواية: "مَا تَقُولُ" أي من قيامه لليل، وفي رواية: "سَتَمْنَعَهُ صَلَاتَهُ" ورواه البزار والطحاوي والبغوي، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط، والألباني.

السهر"[١]، وإسناده حسن، وما أراد به إلا الغافل، وقال ﷺ: "ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها"[٢].

٧- والتحقيق فيه أن: (المصلي مناج ربه عز وجل)[٣]، كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة، وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة، شديدة على النفس، وكذا الصوم قاهر للقوى، كاسر لسطوة الهوى، الذي هو آلة للشيطان عدو اللّه، فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة، وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة، وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام، كان القلب حاضرًا مع أفعاله أو لم يكن، أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر، وقراءة، وركوع، وسجود، وقيام، وقعود، فأما الذكر فإنه مجاورة ومناجاة مع اللّه عز وجل، فإما أن يكون المقصود منه كونه خطابًا ومحاورة، أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحانًا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك في الصوم، وكما يمتحن البدن بمشاق الحج، ويمتحن

١ - الثلاثة الأحاديث صحيحة وهي عند النسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم بنص: عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي اللّه عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّهُ عليه وسلّم -: "رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ".

٢ - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١١٦): (لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلاً (لا يقبل اللّه من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه) ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب، ولابن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار رضي اللّه عنه: (لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه).

٣ - حديث المصلي يناجي ربه متفق عليه من حديث أنس قاله العراقي.

بمشقة إخراج الزكاة، واقتطاع المال المعشوق، ولا شك أن هذا القسم باطل؛ فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل، فليس فيه امتحان من حيث أنه عمل، بل المقصود الحروف من حيث أنه نطق، ولا يكون نطقًا إلا إذا أعرب عما في الضمير، ولا يكون معربًا إلا بحضور القلب، فأي سؤال في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة:٦]، إذا كان القلب غافلًا، وإذا لم يقصد كونه تضرعًا ودعاء فأي مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة، لا سيما بعد الاعتياد، هذا حكم الأذكار.

٨- بل أقول لو حلف الإنسان وقال: لأشكرن فلانًا، وأثني عليه، وأسأله حاجة، ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه، ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارًا في يمينه؛ إذ لا يكون كلامه خطابًا ونطقًا معه ما لم يكن هو حاضرًا في قلبه، فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في بياض النهار غافل؛ لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار، ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر بارًا في يمينه، ولا شك أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء، والمخاطب هو اللّه عز وجل، وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه، ولا يشاهده، بل هو غافل عن المخاطب، ولسانه يتحرك بحكم العادة، فما أبعد هذا عن

المقصود بالصلاة التي شُرعت لتصقيل القلب، وتجديد ذكر اللّه عز وجل، ورسوخ عقد الإيمان به، هذا حكم القراءة والذكر، وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل.

٩- وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعًا، ولو جاز أن يكون معظمًا للّه عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظمًا لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه، أو يكون معظمًا للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه، وإذا خرج عن كونه تعظيمًا لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس، وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين، والفاصل بين الكفر والإسلام، ويقدم على الحج وسائر العبادات، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص، وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة؛ فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره.

١٠- بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال اللّه تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة الحج:٣٧]، أي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أفعالها، فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب.

١١- فإن قلت إن حكمت ببطلان الصلاة، وجعلت حضور القلب شرطًا في صحتها خالفت إجماع الفقهاء؛ فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير، فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم: أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن، ولا يشقون عن القلوب، ولا في طريق الآخرة، بل يبنون أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح، وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل، وتعزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه، على أنه لا يمكن أن يُدعى الإجماع؛ فقد نُقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري -رحمهم اللّه- أنه قال: من لم يخشع فسدت صلاته، وروي عن الحسن أنه قال: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع، وعن معاذ بن جبلﷺ: من عرف من على يمينه وشماله متعمدًا وهو في الصلاة فلا صلاة له[١].

١٢- وروي أيضًا مسندًا قال رسول اللّه ﷺ: "إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها، ولا عشرها، وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها"[٢]، وهذا لو نُقل عن غيره لجُعل مذهبًا، فكيف لا يتمسك به!.

---

١ - يريد الإمام بهذه الأقوال أن ينفي نقل الإجماع بأن الخشوع وعدمه لا أثر له في صحة الصلاة وبطلانها.

٢ - رواه أحمد والنسائي -وقد تقدم-: عَنْ أَبِي الْيَسَرِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو - رضي اللّه عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّهُ عليه وسلَّم -: "مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَامِلَةً، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ، وَالثُّلُثَ، وَالرُّبُعَ، حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ". وهو عند أبي داود والنسائي وأحمد وابن حبان والبيهقي بنص: عَنْ ابْنِ لَاسٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: (دَخَلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ - رضي اللّه عنه - الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ فِيهِ

١٣- وقال عبد الواحد بن زيد: أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، فجعله إجماعًا، وما نُقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين، وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى.

١٤- والحق الرجوع إلى أدلة الشرع، والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط، إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق؛ فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة؛ فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين، وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم، ولو في اللحظة الواحدة، وأولى اللحظات به لحظة التكبير، فاقتصرنا على التكليف بذلك، ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية؛ فإنه على الجملة أقدم على العمل ظاهرًا، وأحضر القلب لحظة، وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيًا صلاته باطلة عند اللّه تعالى، ولكن له أجر ما يحسب فعله، وعلى قدر قصوره وعذره، ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك، وكيف لا والذي يحضر الخدمة، ويتهاون

رَكْعَتَيْنِ أَخَفَّهُمَا وَأَتَمَّهُمَا ثُمَّ جَلَسَ. فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَجَلَسْنَا عِنْدَهُ. فَقُلْنَا لَهُ: لَقَدْ خَفَّفْتَ رَكْعَتَيْكَ هَاتَيْنِ جِدًّا يَا أَبَا الْيَقْظَانِ. فَقَالَ: إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا الشَّيْطَانَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ فِيهِمَا). وفي رواية: (إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا السَّهْوَ. إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه - صلى اللّهُ عليه وسلّم - يَقُولُ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاته إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا").

بالحضرة، ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالًا من الذي يعرض عن الخدمة، وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء، وصار الأمر مخطرًا في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل.

١٥- ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة؛ فإن ذلك من ضرورة الفتوى، كما سبق التنبيه عليه، ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها، ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد: أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع.

١٦- فلنقتصر على هذا القدر من البحث؛ فإن فيه مقنعًا للمريد الطالب لطريق الآخرة، وأما المجادل المشاغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن، وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة، وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير، فالنقصان منه هلاك، وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة، وكم من حي لا حراك به قريب من ميت، فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حي لا حراك به، نسأل اللّه حسن العون)[١] أ.هـ.

هذه الكلمات للإمام الغزالي رحمه الله أثّرت في كثير من الفقهاء الذين أتوا بعده فقالوا بقوله، ونقلوا أدلته، واعتنوا بحججه، وذادوا عن رأيه، وما ابن تيمية

---

١ – إحياء علوم الدين (١/ ١٦١-١٥٩).

رحمه الله وقوله إلا تبعًا للغزالي، وقل عن غيره؛ إذ هم عالة عليه، حتى جعل الشافعية قول الغزالي من أقوال المذهب؛ إذ قال صاحب كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري: (قال في الجواهر: قد نصَّ أئمتنا على وجوب الخُشوع في الصلاة، قال الغَزّالي: كل ما يَشغَلُك عن معاني قراءتك فهو وسواسٌ، ثم أتبع وصفهم بالخشوع وصفهم بالإعراض عن اللغو، جمعًا لهم بين فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي، بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٣]﴾)(١).

وهذا التبريزي رحمه الله يرجّح ما رجّح الغزالي بعد سوقه له قال في المشكاة: (واختلفوا في وجوب الخشوع واشتراطه في الصلاة، فذهب الأكثرون إلى عدم الوجوب والاشتراط، ورُوِي عن سفيان الثوري أنه قال: من لم يخشع فسدت صلاته، ورُوِي عن الحسن أنه قال: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع، ولا شك أن حضور القلب في الصلاة شرط من حيث أن الصلاة لا تنفع في الآخرة إلا به؛ فإن حضور القلب هو روح الصلاة، فصلاة الغافل في جميعها كالميت، وصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حي لا حراك به، فهو قريب من ميت، وقد مال الغزالي إلى اشتراطه في الصلاة، فقد ذكر أدلته في إحياء العلوم)(٢).

---

١ - كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (١/ ٤٢٦).
٢ - مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (٢/ ٥٥٦).

وقل عن الحجة الحافظ الإمام العراقي رحمه الله؛ إذ قال في طرح التثريب: (وَقَدْ أُخْتُلِفَ فِيهِ هَلْ هُوَ سُنَّةٌ أَوْ وَاجِبٌ، فَحَكَى النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْمُهَذَّبِ الِاتِّفَاقَ عَلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ فَقَدْ رَوَيْنَا فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: لَا يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا سَهَا عَنْهُ، وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا -كَمَا سَيَأْتِي-، وَأَيْضًا فَفِي كَلَامِ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ مَا يَقْتَضِي وُجُوبَهُ؛ فَقَدْ قَالَ إمَامُ الْحَرَمَيْنِ[1]: إنَّ الْمَرِيضَ إذَا لَحِقَهُ بِالْقِيَامِ مَشَقَّةٌ تَذْهِبُ خُشُوعَهُ سَقَطَ عَنْهُ الْقِيَامُ، فَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ لَوْلَا وُجُوبُ الْخُشُوعِ لَمَا جَازَ تَرْكُ الْقِيَامِ وَهُوَ وَاجِبٌ لِأَجَلِهِ[2].

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ إنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامُ ذَلِكَ حَدًّا لِمَا يُسْقِطُ الْقِيَامَ مِنْ الْمَرَضِ، وَلَا يَشْتَرِطُ فِي سُقُوطِ الْقِيَامِ عَنْ الْمَرِيضِ الْعَجْزُ عَنْهُ جُمْلَةً، بَلْ وُجُودُ الْمَشَقَّةِ كَافِيَةٌ فِي سُقُوطِهِ؛ فَحَدَّ الْإِمَامُ الْمَشَقَّةَ بِمَا يَذْهَبُ مَعَهُ الْخُشُوعُ، وَذَهَبَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ: إلَى أَنَّهُ إذَا صَلَّى مَعَ مُدَافَعَةِ الْأَخْبَثَيْنِ بِحَيْثُ يَذْهَبُ خُشُوعُهُ أَنَّ صَلَاتَهُ وَلَا تَصِحُّ، مَعَ اتِّفَاقِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ عَلَى أَنَّ مُدَافَعَةَ الْأَخْبَثَيْنِ لَيْسَتْ مُبْطِلَةً لِلصَّلَاةِ، فَإِذَا وَصَلَ ذَلِكَ إلَى حَدٍّ يَذْهَبُ مَعَهُ الْخُشُوعُ بَطَلَتْ عَلَى مَا قَالَهُ الْقَاضِي حُسَيْنٌ، فَيَقْتَضِي وُجُوبُ الْخُشُوعِ أَيْضًا، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى

---

١ – يريد به الجويني: عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، ولد في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٤٧٨هـ.

٢ – وذلك أن القاعدة المسلّمة عند الفقهاء: بأن الواجب لا يسقطه إلا مثله، والقيام واجب (ركن من أركان الصلاة) اتفاقًا، فإذا كان يسقطه الخشوع فالخشوع واجب، هذا ما يعنيه الجويني رحمه الله.

وُجُوبِهِ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَخَفَّفَهُمَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ أَرَاك خَفَّفْتهُمَا فَقَالَ: إنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا الْوَسْوَاسَ وَإِنِّي سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إنَّ الرَّجُلَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ وَلَعَلَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ مِنها إلَّا عُشْرُهَا، أَوْ تسعُهَا، أَوْ ثُمُنُهَا، أَوْ سُبُعُهَا، أَوْ سُدُسُهَا، حَتَّى أَتى عَلَى الْعَدَدِ"(١)، وَقَالَ أَحْمَدُ إنِّي بَادَرْتُ بِهَا السَّهْوَ.

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ نصْرِ الْمَرْوَزِيِّ فِي كِتَابِ تعظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ فِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ: "لَا يُقْبَلُ مِمَّنْ عَمِلَ عَمَلًا حَتَّى يَشْهَدَ قَلْبُهُ مَعَ بَدَنِهِ"، وَرَوَاهُ أَبُو شُجَاعٍ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ حَدِيثِ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ وَقَدْ وَرَدَ: "أَنَّ الصَّلَاةَ الْخَالِيَةَ مِنْ الْخُشُوعِ وَالتَّمَامِ يُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ الْمُصَلِّي"، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الْخُشُوعِ بِحَدِيثِ الْبَابِ؛ إذْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْإِعَادَةِ كَمَا قَالَ الْمُهَلَّبُ)(٢) أ.هـ.

وهذا ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين يستشهد بكلام الغزالي، ويرى ما يراه قويًا ظاهرًا(٣)، وإن كان رجّح ما ذهب إليه من لم يرَ الوجوب، وهم

١ - رواه أصحاب السنن وأحمد وتقدم قريبا.

٢ - طرح التثريب (٣/ ١٥٥)، والحديثان الأخيران عند الديلمي والطبراني لا يصحان عن النبي صلى اللّه عليه وسلم.

٣ - قال بعد أن ساق أدلة أصحاب الغزالي من القول بالوجوب: (فهذا ما احتجت به هذه الطائفة، وهي حجج كما تراها قوة وظهورًا)، وسيأتي.

الجمهور[1]، حتى عقد فصلًا كاملًا هناك، أسوقه مرتبًا، منظمًا مهذبًا كما فعلت بكلام الإمام الغزالي فقال:

(فصل فإن قيل: مما تقولون في صلاة من عدم الخشوع في صلاته، هل يعتد بها أم لا؟.

قيل: أما الاعتداد بها في الثواب فلا يعتد له فيها إلا بما عقل فيه منها، وخشع فيه لربه:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها"، وفى المسند مرفوعا: "إن العبد ليصلي الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها، أو ثلثها، أو ربعها، حتى بلغ عشرها"[2]، وقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح[3]، ولو أُعتد له بها ثوابًا لكان من المفلحين.

وأما الاعتداد بها في أحكام الدنيا، وسقوط القضاء، فإن غلب عليها الخشوع، وتعقلها أُعتد بها إجماعًا، وكانت السنن والأذكار عقيبها جوابر ومكملات لنقصها، وإن غلب عليه عدم الخشوع فيها، وعدم تعقلها فقد اختلف الفقهاء

---

١ – وسيأتي قوله بعد أن ساق أدلتهم: (وهذا القول الثاني أرجح القولين، والله أعلم).

٢ – سبق تخريجه مرارًا.

٣ – يريد قول الله في أول آية بسورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

في وجوب إعادتها، فأوجبها أبو عبداللّه بن حامد من أصحاب أحمد، وأبو حامد الغزالي في إحيائه، لا في وسيطه[1] وبسيطه، واحتجوا:

١- بأنها صلاة لا يثاب عليها، ولم يضمن له فيها الفلاح، فلم تبرأ ذمته منها، ويسقط القضاء عنه كصلاة المرائي.

٢- قالوا: ولأن الخشوع والعقل روح الصلاة، ومقصودها، ولبها، فكيف يعتد بصلاة فقدت روحها ولبها، وبقيت صورتها وظاهرها.

٣- قالوا: ولو ترك العبد واجبًا من واجباتها عمدًا لأبطلها تركه.

٤- وغايته أن يكون بعضًا من أبعاضها بمنزلة فوات عضو من أعضاء العبد المعتق في الكفّارة، فكيف إذا عدمت روحها ولبها ومقصودها، وصارت بمنزلة العبد الميت؛ إذ لم يُعتد بالعبد المقطوع اليد يعتقه تقربًا إلى اللّه تعالى في كفارة واجبة، فكيف يُعتد بالعبد الميت.

٥- وقال بعض السلف: الصلاة كجارية تهدى إلى ملك من الملوك، فما الظن بمن يهدي إليه جارية شلاء، أو عوراء، أو عمياء، أو مقطوعة اليد والرجل، أو مريضة، أو دميمة، أو قبيحة، حتى يهدى إليه جارية ميتة بلا روح، وجارية قبيحة، فكيف بالصلاة التي يهديها العبد،

---

١ - يشير لكتاب الغزالي: الوسيط في المذهب (مذهب الإمام الشافعي)، وكأن ابن القيم رحمه اللّه يقصد أن الأصل يذكر المسألة الفقهية هنا في الوسيط لا في الإحياء؛ لأنه ليس بكتاب فقهي، لكن الحقيقة هي للإحياء ألصق؛ كونه كتاب في فقه القلوب، ومسألة الخشوع في الصلاة من فقه القلوب لا من الفقه الاصطلاحي المعروف.

ويتقرب بها إلى ربه تعالى: "واللّه طيب لا يقبل إلا طيبًا"(١)، وليس من العمل الطيّب صلاة لا روح فيها، كما أنه ليس من العتق الطيّب عتق عبد لا روح فيه.

٦- قالوا: وتعطيل القلب عن عبودية الحضور والخشوع تعطيل لملك الأعضاء عن عبوديته، وعزل له عنها، فماذا تغني طاعة الرعية وعبوديتها وقد عُزل ملكها وتعطّل(٢)!.

٧- قالوا: والأعضاء تابعة للقلب تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، فإذا لم يكن قائمًا بعبوديته فالأعضاء أولى أن لا يعتد بعبوديتها، وإذا فسدت عبوديته بالغفلة والوسواس فأنّى تصح عبودية رعيته وجنده، ومادتهم منه، وعن أمره يصدرون، وبه يأتمرون!.

٨- قالوا: وفي الترمذي وغيره مرفوعًا إلى النبي ﷺ: "إن اللّه لا يستجيب الدعاء من قلب غافل"(١)، وهذا إما خاص بدعاء

---

١ – رواه مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وَقَالَ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ".

٢ – يشير لما في البخاري ومسلم: عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ – رضي اللّه عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه – صلى اللّه عليه وسلم –: "إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

العبادة[٢]، وإما عام له ولدعاء المسألة، وإما خاص بدعاء المسألة[٣]، الذي هو أبعد، فهو تنبيه على أنه لا يقبل دعاء العبادة الذي هو خاص حقه من قلب غافل!.

٩- قالوا: ولأن عبودية من غلبت عليه الغفلة والسهو في الغالب لا تكون مصاحبة للإخلاص؛ فإن الإخلاص قصد المعبود وحده بالتعبد، والغافل لا قصد له فلا عبودية له.

١٠- قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [سورة الماعون:٤-٥]، **وليس السهو عنها تركها وإلا لم يكونوا مصلين، وإنما هو السهو عن واجبها، إما عن الوقت كما قال ابن مسعود وغيره، وإما عن الحضور والخشوع، والصواب: أنه يعم النوعين؛ فإنه سبحانه أثبت لهم صلاة، ووصفهم بالسهو عنها، فهو السهو عن وقتها الواجب، أو عن إخلاصها وحضورها الواجب، ولذلك وصفهم بالرياء، ولو كان السهو سهو ترك لما كان هناك رياء.**

---

١ - رواه الترمذي وأحمد والحاكم وصححه وكذا الألباني: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: "ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ".

٢ - كالصلاة، والصيام، وكل أنواع الطاعات.

٣ - كالدعاء بالرزق والصحة، وكل دعاء يدعو العبد ربه لجلب نفع له، ودفع ضر عنه.

١١- قالوا: ولو قدرنا أنه السهو عن واجب فقط، فهو تنبيه على التوعد بالويل على سهو الإخلاص، والحضور بطريق الأولى؛ لوجوه أحدها: أن الوقت يسقط في حال العذر، وينتقل إلى بدله، والإخلاص والحضور لا يسقط بحال، ولا بدل له.

الثاني: أن واجب الوقت يسقط لتكميل مصلحة الحضور، فيجوز الجمع بين الصلاتين للشغل المانع من فعل إحداهما في وقتها بلا قلب ولا حضور، كالمسافر، والمريض، وذي الشغل الذي يحتاج معه إلى الجمع، كما نص عليه أحمد وغيره، فبالجملة: مصلحة الإخلاص، والحضور، وجمعية القلب على اللّه في الصلاة أرجح في نظر الشارع من مصلحة سائر واجباتها، فكيف يظن به أنه يبطلها بترك تكبيرة واحدة، أو اعتدال في ركن، أو ترك حرف، أو شدة من القرآن، أو ترك تسبيحه أو قول: سمع اللّه لمن حمده، أو قول ربنا ولك الحمد، أو ذكر رسول اللّه ﷺ بالصلاة عليه، ثم يصححها مع فوات بها، ومقصودها الأعظم، وروحها وسرها، فهذا ما احتجت به هذه الطائفة، وهي حجج كما تراها قوة وظهورًا[١].

---

١ – ومع هذه الأدلة القوية الظاهرة كما وصفها –رحمه اللّه– لكن لم يرجح هذا القول القائل بالوجوب، ورجح مذهب الجمهور بعدم الوجوب وسيأتي وكلامه: (وهذا القول الثاني أرجح القولين، واللّه أعلم).

قال أصحاب القول الآخر:

١- قد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أنه قال: "إذا أذّن المؤذّن أدبر الشيطان وله ضراط؛ حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، فإذا ثُوب بالصلاة أدبر، فإذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء وبين نفسه، فيذكره ما لم يكن يذكر، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا لما لم يكن يذكر، حتى يضل الرجل لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس"[١]، قالوا: فأمره النبي ﷺ في هذه الصلاة التي قد أغفله الشيطان فيها حتى لم يدرِ كم صلى بأن يسجد سجدتي السهو، ولم يأمره بإعادتها، ولو كانت باطلة كما زعمتم لأمره بإعادتها.

٢- قالوا: وهذا هو السر في سجدتي السهو؛ ترغيمًا للشيطان في وسوسته للعبد، وكونه حال بينه وبين الحضور في الصلاة، ولهذا

---

١ - رواه البخاري ومسلم وغيرهما: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه - صلى اللّه عليه وسلم -: ("إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ؛ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ. فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ رَجَعَ فَوَسْوَسَ. فَإِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ. فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ رَجَعَ فَوَسْوَسَ. حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، وَاذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ فَيَلْبِسُ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدْرِي الرَّجُلُ كَمْ صَلَّى أَثَلَاثًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا. فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ") وبعض ألفاظه عند غيرهما.

سماها النبي المرغمتين[1]، وأمر من سها بهما، ولم يفصّل في سهوه الذي صدر عنه موجب السجود بين القليل والكثير، والغالب والمغلوب، وقال: "لكل سهو سجدتان"[2]، ولم يستثن من ذلك السهو الغالب مع أنه الغالب.

٣- قالوا: ولأن شرائع الإسلام على الأفعال الظاهرة، وأما حقائق الإيمان الباطنة: فتلك عليها شرائع الثواب والعقاب، فلله تعالى حكمان: حكم في الدنيا على الشرائع الظاهرة، وأعمال الجوارح، وحكم في الآخرة على الظواهر والبواطن، ولهذا كان النبي ﷺ يقبل علانية المنافقين، ويكل أسرارهم إلى اللّه تعالى، فيُناكحون، ويرِثون، ويورَثون، ويعتد بصلاتهم في أحكام الدنيا، فلا يكون حكمهم حكم تارك الصلاة؛ إذ قد أتوا بصورتها الظاهرة، وأحكام الثواب والعقاب ليست إلى البشر، بل إلى اللّه، واللّه يتولاه في الدار الآخرة.

٤- قالوا: فنحن في حكم شرائع الإسلام نحكم بصحة صلاة المنافق والمرائي، مع أنه لا يسقط عنه العقاب، ولا يحصل له الثواب في الآخرة، فصلاة المسلم الغافل المبتلى بالوسواس، وغفلة القلب عن

---

١ - يشير لما روى أبو داود وابن حبان والحاكم وصححاه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي اللّه عنهما - قَالَ: "سَمَّى رَسُولُ اللّهِ -صلى اللهُ عليه وسلّم- سَجْدَتَيْ السَّهْوِ الْمُرْغِمَتَيْنِ".

٢ - رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني: عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ - صلى اللهُ عليه وسلّم - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللهُ عليه وسلّم -: "لِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ".

كمال حضوره أولى بالصحة، نعم: لا يحصل مقصود هذه الصلاة من ثواب الله عاجلًا ولا آجلًا؛ فإن للصلاة مزيد ثواب عاجل في القلب من قوة إيمانه، واستنارته، وانشراحه، وانفساحه، ووجود حلاوة العبادة، والفرح، والسرور، واللذة التي تحصل لمن اجتمع همه وقلبه على الله، وحضر قلبه بين يديه، كما يحصل لمن قرّبه السلطان منه، وخصه بمناجاته والإقبال عليه، والله أعلى وأجل، وكذلك ما يحصل هذا من الدرجات العلى في الآخرة، ومرافقة المقربين، كل هذا يفوته بفوات الحضور والخضوع، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وليس كلامنا في هذا كله فإن أردتم وجوب الإعادة؛ لتحصل هذه الثمرات والفوائد فذاك إليه إن شاء أن يحصلها، وإن شاء أن يفوتها على نفسه، وإن أردتم بوجوبها أنا نلزمه بها، ونعاقبه على تركها، ونرتب عليه أحكام تارك الصلاة فلا، وهذا القول الثاني أرجح القولين، والله أعلم)[١] أ.هـ.

وقد خالف ابنُ القيم رحمه الله في هذه المسألة شيخه ابنَ تيمية، وهو من غريب صنعه، ونادر قوله؛ إذ أغلب أقواله توافق ما ذهب إليه شيخه، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: مرجحًا وجوب الخشوع في الصلاة، ساردًا بعض أدلة ذلك:

---

١ - مدارج السالكين (١/ ٥٣٠-٥٢٥).

(قد قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [سورة البقرة:٤٥]، وهذا يقتضي ذم غير الخاشعين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [سورة الشورى:١٣]، فقد دل كتاب الله عز وجل على من كبُر عليه ما يحبه الله، وأنه مذموم بذلك في الدين، مسخوط منه ذلك، والذم أو السخط لا يكون إلا لترك واجب، أو فعل محرم، وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دل ذلك على وجوب الخشوع، فمن المعلوم أن الخشوع المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾، لا بد أن يتضمن الخشوع في الصلاة، فإنه لو كان المراد الخشوع خارج الصلاة لفسد المعنى؛ إذ لو قيل: إن الصلاة لكبيرة إلا على من خشع خارجها، ولم يخشع فيها: كان يقتضي أنها لا تكبُر على من لم يخشع فيها، وتكبُر على من خشع فيها، وقد انتفى مدلول الآية، فثبت أن الخشوع واجب في الصلاة، ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضًا قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١]، **أخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة، وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم، وقد دل هذا على وجوب هذه الخصال؛ إذ لو كان فيها ما هو مستحب لكانت جنة الفردوس تورث بدونها؛ لأن الجنة تنال بفعل الواجبات دون المستحبات، ولهذا لم يذكر في هذه الخصال إلا ما هو واجب)**(١).

وقد زاد ابن الخراط رحمه الله دليلين فوق ما تقدم فقال: عند حديث: "وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ، وَسُجُودَهُنَّ، وَخُشُوعَهُنَّ"(٢): فجعل الخشوع من شروط الصلاة التي لا تكمل إلا به(٣).

---

١ - مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٣)، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية (٥/ ٤٠٣)، السؤال الأول من الفتوى رقم (١٦٣٦٢).

٢ - رواه أبو داود والنسائي وأحمد وتمامه: عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: (كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صلى اللهُ عليه وسلّم- فِيهِمْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِت -رضي الله عنه- فَذَكَرُوا الْوِتْرَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاجِبٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سُنَّةٌ، فَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه - صلى اللهُ عليه وسلّم - يَقُولُ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ - عليه السلام - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللّهَ - عزَّ وجل - يَقُولُ لَكَ: إِنِّي قَدْ فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ، وَسُجُودَهُنَّ، وَخُشُوعَهُنَّ، وَلَمْ يُضَيِّعْ شَيْئًا مِنْهُنَّ اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدِي عَهْدٌ أَنْ أَغْفِرَ، وَأُدْخِلَهُ بِهِنَّ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَنِي، قَدْ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ)، وفي رواية: (وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي عَهْدٌ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ رَحِمْتُهُ).

٣ - الصلاة والتهجد لابن الخراط ص١٧٩.

وحديث: "اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ"[١]، ومن المفسّرين من رجّح ما رجّح الغزالي كالقرطبي رحمه الله؛ إذ قال في جامع أحكام القرآن: (اختلف الناس في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة، أو من فضائلها ومكملاتها، على قولين، والصحيح الأول)[٢]، وبعض المتأخرين ذهب للتفصيل، فأخذ بالقولين معًا، واضعًا قول الموجبين للخشوع في محلٍ في الصلاة وهو الطمأنينة، وقول المستحبين في محل آخر ومنهم اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية:

(س ١ : ما حكم الخشوع في الصلاة وكيف أرد على من يقول: إن الخشوع في الصلاة سنة وليس بواجب؟.

ج ١: الخشوع خشوعان: واجب ومستحب، فالواجب هو: الطمأنينة في جميع أعمال الصلاة حتى يؤديها كاملة، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١-٢]**، وهو المراد في حديث المسيء في صلاته، والمستحب هو: العناية بإكمال الصلاة وأداء ما يستحب فيها من أفعال وأقوال).**

---

١ - رواه أبو داود والنسائي وأحمد، وأصله عند مسلم: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ - رضي اللّه عنه - قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّم - فَكُنَّا إِذَا سَلَّمْنَا قُلْنَا بِأَيْدِينَا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ)، وفي رواية: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ، وَأَشَارَ مِسْعَرٌ بِيَدِهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّم - فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ تُشِيرُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ؛ إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ يَقُولَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يُسَلِّمُ عَلَى أَخِيهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ)، وفي رواية: (إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ فَلْيَلْتَفِتْ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا يُومِئْ بِيَدِهِ".

٢ - تفسير القرطبي (١٢/ ٩٥).

مختصر القول

ومختصر القول، والراجح من كل ما سبق: أن الخشوع واجب في الصلاة، لكن لا في كلها، بل في بعضها، فمن خشع في بعضها فقد أسقط عن نفسه الواجب، وبقي عليه تحقيق المستحب: وهو الخشوع في كل الصلاة أو جلها، ومن لم يفعل، لا في بعضها ولا كلها، وإنما أسقط عن نفسه الصلاة بأركانها الظاهرة، ولم يعر أي اهتمام لواجباتها الباطنة، وأركانها الخفية فيأثم على ذلك، لكن صحت صلاته، وأسقط الواجب الذي عليه، ولا يطالب بإعادتها، وإن كان يطالب وجوبًا بمجاهدة نفسه للحضور فيها، والتدبّر لمعانيها، وكل حركة وسكنة ولفظة بداخلها، فيكون الخشوع من واجبات الصلاة المستقلة التي لا تؤثّر على الصلاة بالبطلان، وإنما يأثم العبد وتصح منه، وهذا القول وسط بين قول الغزالي ومن اتبعه، وقول الجمهور ومن وافقهم، واللّه أعلم.

وللعلم: فليس المقصود بالخشوع هنا البكاء، بل حضور القلب بين يدي الرب جل وعلا.

الفصل الرابع: وسائل الحصول على الخشوع

لا ريب أن اللّه عز وجل ما أنزل من داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله[1]، وإن من أدوأ الداء، وأفتك الأمراض، وأخطرها على الإطلاق: قسوة القلب، وبُعده عن الرب ﷻ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي"، رواه الترمذي، والبيهقي[2]، وكلمة "أبعد" تشعرك بأمر عظيم، وخطب جليل، وفي حلية الأولياء أن مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ عُقُوبَاتٍ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ: ضَنَكٌ فِي الْمَعِيشَةِ، وَوَهَنٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَمَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ"[3]، بل قسوة القلب تشبّه بالمغضوب عليهم، وهذا

---

١ - حديث نبوي أصله في البخاري، ورواه ابن ماجه وابن حبان وصححه: عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي اللّه عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم -: "مَا أَنْزَلَ اللّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ إِلَّا السَّامَ وَهُوَ الْمَوْتُ ".

٢ - وضعّفه الألباني: الجامع الصغير وزيادته (ص: ١٤٤٢).

٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٨٧)، وفي الجوهر النقي الملتقط من زهد البيهقي ورد عنه قوله: "أربع من عَلَمِ الشقاء: قسوة القلب وجمود العين وطول الأمل والحرص على الدنيا" الجوهر النقي الملتقط من زهد البيهقي (ص:

ربنا ﷻ يصف قلوبهم بقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة:٧٤]، **وهذا ما استدعى الحبيب ﷺ أن يستعيذ بالله من جمود العين، وعدم اندفاعها للبكاء بين يدي المولى جل وعلا ففي صحيح مسلم وغيره عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ؓ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"**(١)**، وكان الصحابة ﭫ والسلف عمومًا يبحثون عن علاج هذا المرض الخطير، والسم القاتل، ويتواصون بالعلاج، ويبعث بعضهم لبعض به فعند البيهقي في شعبه: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَشَكَى إِلَيْهِ قَسْوَةَ الْقَلْبِ فَقَالَ: "اطَّلِعْ فِي الْقُبُورِ وَاعْتَبِرْ بِالنُّشُورِ"**(٢)**، وفي أنيس الساري: عن أبي هريرة ؓ أنّ رجلًا شكا إلى النبي ﷺ قسوة**

---

٢٥)، وذكره في الجامع الصغير عن أنس مرفوعًا للنبي صلى الله عليه وسلم وضعّف الألباني رفعه، وانظر: الجامع الصغير وزيادته (ص: ١٧٧).

١ - رواه مسلم والنسائي وأحمد عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - رضي الله عنه - قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا ".

٢ - شعب الإيمان (١١/ ٤٧١)، وقال بعد سوقه له: (وَهَذَا أَيْضًا مَتْنٌ مُنْكَرٌ، وَمَكِّيُّ بْنُ قَمِيرٍ بَصْرِيٌّ يَرْوِي عَنْهُ الْكُدَيْمِي وَهُوَ مَجْهُولٌ).

قلبه فقال "أطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم"(١)، وفيه أيضًا: عن محمد بن واسع الأزدي رحمه الله أن أبا الدرداء رضي الله عنه كتب إلى سلمان رضي الله عنه: (يا أخي ادْنِ اليتيم، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وأتاه رجل يشكو إليه قسوة القلب، فقال له: "ادنُ اليتيم، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتقدر على حاجتك"(٢)، وفي هذه العقوبات الربانية آثار كثيرة جدًا سواء في التحذير والتنفير منها، وبيان خطرها وعظمتها، أو في الترغيب فيها، وبيان أهميتها.

---

١ – أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري) (١/ ٦٢٣)، (قال الحافظ: ولأحمد من حديث أبي هريرة: فذكره، وسنده حسن).

٢ – أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري) (١/ ٦٢٤)، وحكاه السيوطي في الجامع الكبير عن الخطيب وابن عساكر بتحديد كيفية المسح: "امْسَحْ رأسَ اليتيمِ هَكذا إلى مقَدَّم رأسِه، ومنْ له أَبٌ هكَذا إلى مُؤَخَّر رَأْسِهِ"، ثم قال: (عن محمَّد بن سليمان الهاشمى عن أبيه عن جده الأكبر ابن عباس، قال الخطيب: ولا يحفظ له غيره)، جمع الجوامع المعروف بـ "الجامع الكبير" (٢/ ٩٢)، وذكر الألباني في السلسلة الصحيحة رواية بنص: "إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم"، ثم قال بعد أن بيّن أن الحديث عند أحمد: (قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات رجال مسلم غير الرجل الذي لم يسم، و قد أسقطه بعضهم)، ثم ذكر للحديث شاهدًا عند الطبراني فقال: (للحديث شاهد يمكن أن يرتقي به إلى درجة الحسن و هو ما روى الطبراني في" الكبير " عن أبي الدرداء قال : " أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه، قال: أتحب أن يلين قلبك ؟ وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك ") السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة ١-٩ (٢/ ٣٥٣).

فحري بنا أن نبحث عن دواء ناجع لهذا الداء الذي خيّم على قلوبنا، وأبعدنا عن ربنا تبارك وتعالى، ونحّانا عن العلو الذي ينبغي أن نصل إليه بمثل هذه الأعمال العظيمة، والعبادات الجليلة، وليس الخشوع –وفقط- في أي وقت بل في أعظمه وأهمه: إنه اللقاء بالمولى جل وعلا، وفي أعظم فريضة في شرعنا: إنها الصلاة، وما أجمل أن يجتمعا، ويلتقيا، ويتوحدا: الخشوع، والصلاة، خاصة واجتماعهما من صفات عباد الرحمن حقًا: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [سورة الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٨-٥٩].

وبالتالي فسأشرع هنا بتعداد غير شامل بل أهم ما رأيت، وما ظهر لي إلى وقت كتابتي من أسباب، أو وسائل الحصول على الخشوع في الصلاة، مع شرح بسيط لها، على أن ما سبق كله هو من صلب الوسائل، ولا غنى أبدًا عنها، ولابد عند الوسائل من استحضاره، والعودة إليه، وإنما كانت هناك عناوين كبيرة، وهنا أشياء أخرى مرقمة، ومرتبة.

وحري بمن خشع في صلاته أن يخشع في غيرها؛ إذ الأمر لا يتوقف على الصلاة، بل منها يكون انطلاقه إلى غيرها كالذكر مثلًا كما في حديث السبعة الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله: "ورجل ذكر اللّه خاليًا ففاضت عيناه"، وهكذا تجد في قوله ﷺ: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية اللّه، وعين باتت تحرس في سبيل اللّه"، ولم يشترط في العين الباكية من خشية اللّه تعالى أن تكون في الصلاة، بل أطلق الأمر، ففي أي موضع حصل الخشوع نال الفضل في الحديث بإذن اللّه تعالى، خاصة إذا اجتمعت الخلوة والدمعة.

وسأقسم هذه الوسائل لوسائل سابقة للصلاة كالتهيؤ لها، واستقباله لفرضها؛ إذ الإعداد للصلاة، والتهيؤ لها جزء لا يتجزأ منها[١]، وأثنائية أي

---

١ – بل لا تصح بدون تهيؤ مسبق لها كالوضوء الذي يعد شرطًا من شروط صحتها، وكذلك الطهارة بشكل عام من إزالة النجاسة في الثوب، والبدن، والمكان، وهذه وسيلة من وسائل الخشوع، بل من أعظمها؛ لأن من كان به قذر لن يخشع في الصلاة، وسيتأذى من ريحته، وهذا من أسرار فرض التطهر لها، وجعل ما خرج من السبيلين من نواقضها، حتى أن شرعنا لعنايته بالطهارة والنظافة في أماكن العبادة خاصة منع من أكل ثومًا أو بصلًا ونحوه من الروائح الكريهة من حضور الجماعة، وأمر بأخذ الزينة عن كل مسجد: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وشرع نبينا صلى اللّه عليه وسلم الاغتسال، والتطيب، ولبس أحسن ما يجد المسلم عند اجتماع المسلمين كجمعة، وعيد... وكل هذا لملاحظة الخشوع، وعدم أذى المسلمين، وملائكة رب العالمين، بل ليتركوا في انشغال بما هم فيه من عبادة الرحمن جل وعلا: أحاديث الثوم.

أثناء الصلاة كالطمأنينة في الأركان، وبعدها كالمكث لقراءة الأذكار وهذه أقلها.

وسائل سابقة للصلاة

لا ريب أن السوابق تنبني عليها اللواحق، وتأخذ حكمها غالبًا، بل قد لا تصح بدونها كفريضة الصلاة التي لا تقبل صلاة بغير طهور كما جاء في البخاري ومسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ"، ولمسلم: "لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ"[1]، فأساس قبول الصلاة وصحتها مبني على الأساس السابق لها، فكان حقًا علينا أن نبحث عن السوابق المؤثرة في الخشوع حال الصلاة؛ استئناسًا بالسوابق الشرعية لها، أعني شروط الصلاة كوضوء، وطهارة بدن، ومكان، وثياب، واستقبال قبلة، ودخول وقت... وغير ذلك من شروط الصلاة التي جُعلت كحصن حصين للدخول لهذه العبادة العظيمة، والاجتماع -إن صح التعبير- مع رب العالمين سبحانه، واللقاء الخاص بصاحب الشأن في كل شأن ﷻ: "فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ

١ - وتمامه عنده: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: ("دَخَلَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ - رضي اللّه عنهما - عَلَى عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقَالَ: أَلَا تَدْعُو اللّهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم -، يَقُولُ: "لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ". وَكُنْتَ عَلَى الْبَصْرَةِ) ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، ومصعب بن سعد من رؤوس الفتنة.

وَجْهِهِ؛ فَإِنَّ اللّٰهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى"، وفي رواية: "فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللّٰهَ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ"[١].

وتلك المناجاة العظيمة، والخطاب الشريف، والحديث الجليل بين العبد الضعيف، ومولاه الغني الرحيم تبارك وتعالى يتبين لنا في سورة الفاتحة فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ غَيْرُ تَمَامٍ"، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ؟ فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللّٰهُ تعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:

---

١ – أصله في البخاري ومسلم، وبعض ألفاظه عند غيرهما، ومجموع رواياته: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي اللّٰه عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ – صلى اللّٰهُ عليه وسلَّم –: ("رَأَى رَسُولُ اللّٰهِ – صلى اللّٰهُ عليه وسلَّم – نُخَامَةً فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ فَحَكَّهَا بِيَدِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ؟ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ؟ أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللّٰهُ عَنْهُ؟ قَالَ: فَخَشَعْنَا ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللّٰهُ عَنْهُ؟ قَالَ: فَخَشَعْنَا ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللّٰهُ عَنْهُ؟" قُلْنَا: لَا أَيُّنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ قَالَ: "فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ فَلَا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللّٰهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى"، وفي رواية: "فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللّٰهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ وَلَا يَبْصُقَنَّ أَحَدُكُمْ عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ كَاتِبَ الْحَسَنَاتِ عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ لِيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ إِنْ كَانَ فَارِغًا أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ"، وفي رواية: "أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى فَيَدْفِنُهَا أَوْ خَلْفَهُ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَتْفُلْ هَكَذَا: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللّٰهِ – صلى اللّٰهُ عليه وسلَّم – طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ"، وفي رواية: "فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَفِي ثَوْبِهِ ثُمَّ لِيَخْرُجْ بِهِ").

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، **قَالَ اللَّهُ تعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **قَالَ اللَّهُ تعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"، رواه مسلم، فإذا كان هذا حال الصلاة فكان لزامًا علينا أن نبدأ بالسوابق التي تهيؤنا لهذا المقام المبارك، واللقاء المقدس، والاجتماع المبجل؛ فلا ريب أن العامل الأساس، والمرتكز الأهم، والعنصر الأعظم للخشوع في الصلاة ما يمكن أن نسميها بالمرطبات، أو الممهدات المشوقات للصلاة، فإذا صحت البداية صحت النهاية، وتيسرت، وتقبلْتها، بل واشتقت إليها، وأهم هذه -فيما ظهر لي- هي:**

١- إسباغ الوضوء، وهنا يجد ذوقًا آخر للصلاة، واندفاعًا عجيبًا للملاقاة، وروحًا جياشة، ونفسًا سامية صافية لكل ذلك؛ لأن النفس قد اغتسلت من ذنوبها، وحطت أوزارها، وأحبت القرب من ربها ﷻ، فضلًا عن أنها حاربت عدوًا بين جنبيها، وانتصرت على عدوها الخارجي عنها، وتمرّدت على هواها، خاصة في وقت اشتداد البرد، وكراهة وصول الماء للجسد، ولهذا جعله ﷺ رباطًا في سبيل الرب: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ".

٢- هذا الإسباغ وحده فكيف ما لو استعاذ معه من عدوه قبل دخوله الخلاء، وصرف عنه شيطانه قبل أن يأتي هذه العبادة المطهرة له، والممهدة لدخوله على ربه، فعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ، وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمْ الْخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ" وفي البخاري ومسلم عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْث وَالْخَبَائِثِ").

٣- وقل عن دخوله الخلاء بيسراه، والخروج منه بيمناه، كفرق جوهري بين دخوله أماكن القذى، ومواضع القربى، مع الإتيان بالأدعية المذكورة، وهكذا أدعية الخروج من البيت، وطريقه للمسجد، ودخوله إياه، كلها مهمة، وحِلق متصلة للقرب من ربه ﷻ، والوصول إليه، وبالتالي لا يدخل الصلاة إلا وقد تحصن من الشيطان بأنواع المحصنات، واكتسب كثيرًا من الحسنات، ونال مزيدًا من الفضائل والمكرمات.

٤- إعلان الوحدانية للّه تعالى، ورفع كلمة التوحيد، وتجديدها بعد الوضوء بقولك: "أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين"، وهنا تُفتح له أبواب الجنة الثمانية، فكيف لا يفتح اللّه له باب الخشوع، وحضور القلب لعلام الغيوب ما دام صدق في طلبه، ورغب في القرب منه ﷻ.

٥- استشعار المعنى السامي للطهارة، وأنه لا ملك يُتوضأ له قبل الدخول عليه إلا رب العالمين سبحانه، ولا يستحق غيره ذلك البتة، فيستشعر

المتوضئ هذا كله قبل دخوله في وضوئه، وأثنائه، وبعده، ثم ما إن يدخل لصلاته إلا وقد فقه المعنى الذي عليه قادم، والسر الذي من أجله داخل، ولهذا كان بعضهم يصفر لونه، وبعضهم ترعد فرائصه بعد وضوئه وأثنائه، فلما سُئلوا قالوا: أتدري بين يدَي من سأقف، ولمن أتهيأ، وصدقوا؛ فلو كان ملكًا من ملوك الأرض سيقابله لأعد للمقابلة عدته في بدنه، وثيابه، وخطابه، وكل شأنه فكيف بربه ﷻ!.

٦- ثم استشعار أنه مُقبلٌ على اللّه تعالى، وفي موعد معه عز وجل، وأنه ينظر إليه، ويقبل بوجهه عليه، فأي كرامة بعد هذه الكرامة، واي منزلة بعد هذه المنزلة!.

٧- ثم فرق بين من تقدّم للصلاة فصلّى السنن القبلية، وأتى بالمقبّلات النفلية قبل الفريضة الشرعية، ومن تأخّر حتى إذا أقيمت الصلاة برز عضلاته جريًا إليها، أو نقرها كنقر الديك، واستراح منها دون أدنى رغبة فيها، إنما هي كالحمولة أسقطها عن ظهره!.

٨- وما أعظم أن يجمع العبد له من الطاعات، ويغترف من بحر الحسنات، قبل مجيئه للصلوات، بإتيانه إليها من بيته متطهرًا، ذاكرًا، مخبتًا، متهيئًا: "وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَسْجِدِهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ".

٩- وفرق بين من صلّى الصلاة فخرج منها مشغولًا عنها إلى غيرها مما قد يقول قائل: وكأن أمرًا أهم من الصلاة، وبين من أتاها قبل وقتها، ثم خرج كآخر رجل من محل أدئها!.

١٠- استشعار دعاء الملائكة لك بانتظارك الصلاة حتى تأتي الصلاة الأخرى، وقربها منك كلما اقتربت من المولى جل وعلا ففي البخاري ومسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ وَحْدَهُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ كُلُّهَا مِثْلُ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَلَاةَ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَسْجِدِهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ الصَلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ، وَتُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ صَلَاتِهِ".

١١- ثم احرص وأنت في طريقك إلى المسجد على ذكر الله ﷻ، ودوام التفكر في مخلوقاته، وعظيم صنعه؛ كي تدخل للصلاة بصفاء قلب، وحضور ذهن، وطهارة روح.

١٢- امشِ للمسجد بهدوء تام، وإياك والجري؛ فإنه يذهب سكينتك، ويقلل خشوعك، وقبل هذا وذاك يخالف سنة نبيك ﷺ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ" وفي رواية: "وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ

فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ"، وانظر كيف جعل ﷺ مجرد الذهاب إلى الصلاة صلاة، فكيف بانتظارها في المسجد حتى تقام، ودخول المسجد قبل الإمام!.

١٣- حاول تحسن اختيار المكان الذي تصلي فيه، وكما تهيئ قلبك فهيئ أيضًا مكانك، وتخيّر موضع صلاتك، كالمكان الهادئ من ضجيج صاخب، أو من شدة حر أو برد، أو ما يلفت البصر، أو يشغل القلب عن الحضور مع الرب ﷻ.

١٤- الزم نفسك اتخاذ سترة تمنعك من الناس، وتلزم بصرك النظر إليها، وعدم التعدي إلى غيرها، أو تعدي الناس عليك بعد اتخاذك لها، وعند النسائي وغيره عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنهَا؛ لَا يَقْطَعَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ"، وعند ابن خزيمة: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُصَلِّ إِلَّا إِلَى سُتْرَةٍ، وَلَا تَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنْ أَبَى فَلْتُقَاتِلْهُ فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ".

١٥- ابتعد عن كل ما يشوش ذهنك، ويصرفك عن ما انتصبت لأجله بصلاتك، ولهذا نجد أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة خلف المتحدث ويقاس عليه كلما يشوش الذهن، ويصرف القلب، ويشغل الفكر فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُصَلُّوا خَلْفَ النَّائِمِ وَلَا الْمُتَحَدِّثِ" رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي، وأهدى ﷺ ثوبه الذي فيه أعلام لغيره؛ لأنه شغله عن صلاته، وقطعه عن التعلّق بربه ﷻ في صلاته فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خَمِيصَةٍ شَامِيَّةٍ لَهَا أَعْلَامٌ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ:

اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَائْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ؛ فَإِنَّهَا شَغَلَتْنِي أَعْلَامُ هَذِهِ آنِفًا عَنْ صَلَاتِي"، وعند أبي داود وأحمد بيان أمره ﷺ بصرف كل شيء عن قبلة المصلي ما دام يشغله عن صلاته، ومناجاة خالقه ﷻ: فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ ﷺ قَالَ: "دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَيْتَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وِجَاهَكَ حِينَ تَدْخُلُ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ"، فَقَالَتْ لِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَعَاكَ؟ فَقُلْتُ: قَالَ لِي: "إِنِّي كُنتُ رَأَيْتُ قَرْنَيْ الْكَبْشِ حِينَ دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَنسِيتُ أَنْ آمُرَكَ أَنْ تُخَمِّرَهُمَا فَخَمِّرْهُمَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَنبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ يَشْغَلُ الْمُصَلِّي" وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ قِرَامٌ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمِيطِي عَنِّي قِرَامَكِ هَذَا؛ فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ لِي فِي صَلَاتِي").

١٦- معرفة مزايا الخشوع، وعظمة إسبال الدموع، والوقوف بين يدي الله ﷻ في تمسكن وخضوع، وفي الصلاة خصوصًا، وفي سائر العبادات عمومًا، وقد سبق كثير من هذا في أحاديث عديدة سابقة ومنه قوله ﷺ: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفّارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤتَ كبيرة، وذلك الدهر كله" رواه مسلم، وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر ﷺ منهم: "ورجلٌ ذكَرَ اللَّهَ خاليًا فَفاضَت عَيناه" رواه البخاري ومسلم، وحديث الترمذي: "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" وصححه الألباني، وللترمذي والنسائي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَبْكِي أَحَدٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَطْعَمَهُ النَّارُ حَتَّى

يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ"، وعند الترمذي: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ، وَأَثَرَيْنِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ"، والحديث حول هذا يطول، وفي خارج الصلاة، فكيف بالصلاة، وهي الركن الأعظم من أركان الإسلام، والفاصل الأول بين المسلم وغيره من البشر خواصهم والعوام.

١٧- التأمّل في حال السلف الصالح وصلاتهم، ومدى خشوعهم فيها، وحضور أذهانهم عند تأديتها، واستشعارهم لعظمة اللّه ﷻ عند إقبالهم عليها، وهي قصص كثيرة، وأخبار عديدة فمثلًا رسول اللّه ﷺ وهو سيد الخاشعين، وإمام التقاة العابدين، وقدوة الناس أجمعين ﷺ؛ فقد كان يصلي -بأبي هو وأمي ﷺ- ويبكي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وكان ابن الزبير ﵄ إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يصلي في الحِجر فيرمى بالحجارة من المنجنيق فما يلتفت، وكان بعضهم إذا كان في الصلاة لا يعرف من على يمينه وشماله، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ إذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة، وقال ابن وهب ﵀: رأيت الثوري ﵀ في الحرم بعد المغرب صلّى ثم سجد سجدة فلم يرفع حتى نودي بالعشاء، ووقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين ﵀ وهو ساجد فجعلوا يقولون: يا ابن رسول اللّه النار النار، فما رفع رأسه حتى طفئت، فقيل له في ذلك فقال: ألهتني عنها النار الأخرى، وكان ﵀ إذا توضأ اصفر، وإذا قام إلى الصلاة ارتعد، فسُئل عن ذلك فقال: أتدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي؟!،

وقالت بنت جار منصور بن المعتمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأبيها: يا أبتِ أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنيتي ذاك منصور يقوم الليل، وسُرق رداء يعقوب بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كتفه وهو في الصلاة ولم يشعر، ورُدّ إليه فلم يشعر، كان إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا سجد كأنه حائط ينزل على ظهره العصافير، وهذا الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لدغه دبّور ستة عشر مرة فلم يتحرك، وقال إسحاق بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الحصير في الصلاة، وكان تحت سجود الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ماء كأنه بول رضيع، وليس ببول بل هو بكاؤه كما قالت امرأته، وهكذا قالت يصبح كل يوم، فرحم اللّه الجميع رحمة واسعة، وهدانا للاقتداء بهم هداية طيبة، وقصصهم في شأن الصلاة كثيرة، وأخبارهم عديدة، ولو قرأ هذا وأمثاله جهال عصرنا، وأهل زماننا لما صدّقوها؛ لأنها بعيدة عن واقعهم، غير متحققة في أهل زمانهم.

١٨- إذا سمعت المؤذّن فبقدر ما تستطيع اترك ما بيديك وتابعه؛ فإنه يفتح لك شهية الصلاة، ويحببها إلى قلبك، ويجذبك نحوها، أما إذا تجاهلته وكأنه لا يعنيك، فراجع إيمانك بربك، وحبك الحقيقي لصلاتك!.

١٩- ثم قم وتوضأ استعدادًا للصلاة، وحبًا في ملاقاة الإله، وتذكّر أن الحبيب ﷺ كان إذا سمع المؤذن كأنه لا يعرف أهله، وهذا تابعي من أتباعه ﷺ وهو عدي بن حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء، وكان إبراهيم بن ميمون رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعمل صائغًا يطرق الذهب والفضة، فكان إذا رفع المطرقة فسمع النداء وضعها ولم يردها، وقال سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما

أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وهكذا؛ فهم لا يحصون عددًا، بل عُرفت مقالتهم: بئس العبد ينتظر حتى يناديه سيده، ويريدون بذلك لا تنتظر الأذان لتذهب للمسجد، بل بكّر له قبل ذلك، فكيف بمن لا يذهب إلا مع أو بعد الإقامة، أو لا يذهب أصلا؟.

٢٠- وأنت تتوضأ استشعر أن الذنوب تخرج من كل عضو من أعضائك، وتنفصل عن كل جزء من أجزائك، وتطهرك مما علقت بك من أوساخ، وتزيل عنك كل الأدناس، فطهرت روحك كما طهّرت أنت ثوبك: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [سورة المدثر:٤] فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ" رواه مسلم، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَتَمَضْمَضَ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، فَيَخْرُجُ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ".

٢١- حاول تلبس للصلاة أحسن ما تجد، وتتزين للقاء ربك، والقيام بين يدي خالقك، وتتعطر ما استطعت، وتتجهز بما تمكنت: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [سورة الأعراف:٣١].

٢٢- ثم اخرج على بركة الله، واستشعر أن في كل خطوة درجة يرفعك بها الله، وتحط عنك خطيئة، وتكتب لك حسنة فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ".

٢٣- حاول أن تبكّر للصلاة، وتتقدّم لمناجاة الإله، واحرص أن لا يسبقك للمسجد أحد ما استطعت لذلك سبيلا.

٢٤- صلِّ النوافل القبلية للصلوات؛ حتى لا تدخلها إلا وقد لان قلبك، وترطب فؤادك، وارتفعت درجاتك، ومحيت سيئاتك، وجبرت ما قد يحصل من نقص في صلاتك، مع محافظتك على سنة نبيك ﷺ.

٢٥- لا تترك خللًا في صفك؛ كي لا يدخل عليك شيطانك، ولا يقتحم عليك عدوك؛ فعند أبي داود والنسائي وأحمد: "رَاصُّوا الصُّفُوفَ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَقُومُ فِي الْخَلَلِ، رَاصُّوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيَاطِينَ تَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا

الْحَذَفُ"، وفي رواية: "كَأَوْلَادِ الْحَذَفِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَوْلَادُ الْحَذَفِ؟ قَالَ: "سُودٌ جُرْدٌ تكُونُ بِأَرْضِ الْيَمَنِ".

٢٦- استشعر أنك تخاطب ملك الملوك، وخالق الخلائق، ومن بيده كل شيء، ومالك كل شيء، والمتصرف في كل شيء، وأنه ﷻ يقبل عليك حقيقة، ويراك بعين رحمته، ويحاورك حق المحاورة: كما جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"، فأي عظمة، وعزة، ورفعة، ومنحة بعد هذه!.**

٢٧- احرص على الذكر حتى تكبّر للإحرام، ولا تنشغل بشيء غير التفكير بين من ستقدم عليه ﷻ.

٢٨- احذر أن تفوتك تكبيرة الإحرام بأي شاغل كان حتى السواك، وتعديل الثياب، ونحو هذا مما يلهيك عنها الشيطان؛ فهي ركن الصلاة الأهم، وعموده الأعظم.

٢٩- ثم إذا رفعت يديك لتكبيرة الإحرام فاستشعر أنك الآن تدفع الدنيا بيديك، وترميها وراء ظهرك، ولا تبالي بأي شيء تركته خلفك؛ لأنه كل شيء ممن ستقفف الآن بين يديه، ومن ستسجد لعظمته.

٣٠- احذر أن تكذب على نفسك، وعلى من حولك، وقبل ذلك على ربك ﷻ بوقوف جسدك بين يديه، وفراغ قلبك عنه، وفي أثرٍ من كتب الأمم السابقة أن رجلًا كان يدعو، ويدعو، ويلح في دعائه، ويبكي، وموسى عليه السلام ينظر إليه، ويعجب لحاله، ويرثى له خاصة ولم ير استجابة اللّه له، فقال مناجيًا ربه ﷻ: يارب لو كان يدعوني لأجبته، فقال اللّه ﷻ: "يا موسى: إن هذا لسانه عندي، وقلبه عند غيري"، وهذا للأسف الشديد حال كثير من الناس.

وسائل أثناء الصلاة

وكما أن للخشوع في الصلاة أسبابه القبلية، فلا ريب أن له أسبابه الاثنائية، والبعدية، وكل هذه لا ينفك بعضها عن بعض، ولا تستغني هذه عن تلك، وهنا أسوق لك أهمها، وما ظهر لي منها:

١- دفع الموانع والشواغل التي تصرف عن الخشوع، وتكدّر صفوه، وقد سبق منها[١] أن لا يصلي وهو جائع، ولا بحضرة طعام، وعند مدافعة الأخبثين، أو اشتداد النوم، أو ما يلهي عنها عموما.

٢- قراءة آيات غير مألوفة، فلا تظل في قصار السور؛ فذاك يؤدي لعدم تمكنك أكثر من الخشوع، وعدم انتباه ذهنك لما تقرأ؛ كونها آيات قد تكررت وتقررت في عقلك الباطن، وأصبحت تلفظها دون تفكر فيها، ولن تخطئ أصلًا في قراءتها، بينما لو قرأت آيات لأول مرة تمر عليك ستركز أكثر، وتخشى الغلط، ويحضر ذهنك أكثر عند قراءتها.

٣- تدبر الآيات المقروءة، وبقية أذكار الصلاة، والتفاعل معها، والتنويع فيها جميعها لا الآيات وحدها، فيقول في الركوع ما ثبت عند مسلم: عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ")، وما في البخاري ومسلم: عَنها ﵂ قَالَتْ: (مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا

---

١ – انظر مثلًا ص ١٩٦ وما قبلها وما بعدها.

جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [سورة النصر:١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ")، وهكذا بين السجدتين ما ورد عند أبي داود وابن ماجه وأحمد: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، ثُمَّ سَجَدَ")، وقل قبل ذلك أدعية الاستفتاح، وبعد الرفع من الركوع، والسجود، وغير ذلك من تنويع للأذكار على العموم.

٤- تكلّف البكاء إن لم يأتك دون عناء؛ فعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: جَلَسْنَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو رضي الله عنهما فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ: ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا بُكَاءً فَتَبَاكَوْا، لَوْ تَعْلَمُونَ الْعِلْمَ لَصَلَّى أَحَدُكُمْ حَتَّى يَنكَسِرَ ظَهْرُهُ، وَلَبَكَى حَتَّى يَنقَطِعَ صَوْتُهُ، وبعضهم يرفعه لرسول اللّه ﷺ، وفي البخاري ومسلم في قصة طويلة بين الصديق، والفاروق رضي الله عنهما ورسول اللّه ﷺ قال الصديق: (فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ؛ لِبُكَائِكُمَا).

٥- مجاهدة النفس على حضور الذهن، وكلما ابتعدت ووسوست أعادها، وكلما شردت ردها حتى تستقيم لخالقها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٩]، ولقد قال ابن معين رحمه الله: (كابدت نفسي في الصلاة عشرين عامًا، ثم تنعمت بها مثلها، حتى إني لأدخل في صلاتي فأحمل هم خروجي

منها)، وحتمًا لم يصل لهذه الدرجة إلا بعد مجاهدة كل هذه السنوات، ومن أدمن قرع الباب ضمن الجواب.

٦- القراءة بصوت يسمع نفسه دون أن يشغل غيره إن كان في صلاة جماعة؛ فرفع الصوت غالبًا يطرد الوسواس، ويصرف الخناس، وعند النسائي وابن ماجه وأحمد: عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ ﵄ قَالَتْ: (كُنتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي هَذَا، وَهُوَ عِندَ الْكَعْبَةِ) وصححه الألباني، وَعَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ﵄ فَقُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ فَقَالَ: (كَانَ يُقْرَأُ فِي بَعْضِ حُجَرِهِ، فَيَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ مَنْ كَانَ خَارِجًا) وصححه ابن خزيمة، ولأبي داود: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: (كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْمَعُهُ مَنْ فِي الْحُجْرَةِ وَهُوَ فِي الْبَيْتِ)، بل أرشد ﷺ أصحابه لهذه الطريقة كما في سنن أبي داود والترمذي: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﵁ قَالَ: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ ﵁ يُصَلِّي يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ، وَمَرَّ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁ وَهُوَ يُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَهُ، فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِندَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ صَوْتَكَ" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ لِعُمَرَ: "مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَكَ"، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوقِظُ الْوَسْنَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَبَا بَكْرٍ ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا"، وَقَالَ لِعُمَرَ: "اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا".

٧- الطمأنينة في الصلاة، وتمكين كل عضو من أداء مهمته، وترك كل عضو ليأخذ حقه من لقائه بخالقه ﷻ، وقربه منه وحده لا شريك له، مع استشعاره بالأدب في تأدية ما وجب عليه منها، ولهذا ثبت في الصحيح: "كَانَ ﷺ يَطمَئِنّ حَتى يَرْجعَ كَلُ عَظْمٍ إلَى مَوْضِعِه" وصححه الألباني.

٨- وهذه دعوة مهمة، وعلاج نبوي في غاية الأهمية: إنه تذكّر الموت وما يأتي وراءه من أهوال، وما فيه من شدة وانتقال من دار فانية إلى حقيقة غائبة: فعَنْ أنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ، وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةً غَيْرَهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنهُ"، بل صح عند ابن ماجه وغيره: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ عِظْنِي وَأَوْجِزْ، قَالَ: "إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنتَ لَا تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ".

٩- أن يقطّع قراءته آية آية، بل كلمة كلمة، يقرأها مرتلًا، محسّنًا، مجوّدًا؛ كي يخشع فيها، ويتأمل معناها، وما احتوته حروفها، ولا يهذّها هذًّا كهذّ الشعر: فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ يَقُولُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثُمَّ يَقِفُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ يَقِفُ، يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً).

١٠- **تحسين الصوت بالقراءة ما أمكنه، ولو حتى قلّد غيره من القرّاء فلا حرج:** ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [سورة المزمل:٤]، **وقال:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة البقرة:١٢١]، **وانظر كيف جعل ﷻ من علامة إيمانهم حسن تلاوتهم لما أنزل على أنبيائهم، وعَنْ حَفْصَةَ ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ:** (**مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا، حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ أَوْ بِعَامَيْنِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا، وَكَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنهَا**)**، وفي الحديث الصحيح قال ﷺ: "حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا".**

١١- **لا بأس لو تخيّر المساجد التي فيها أصحاب الأصوات المتميزة من الأئمة؛ ففي البخاري ومسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ:** (**قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اقْرَأ عَلَيَّ"، قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قَالَ: "إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي"، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء:٤١]، **فَقَالَ: "حَسْبُكَ الْآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ".**

١٢- **أن يستشعر أن اللّه يجيبه في صلاته، ويستمع لقراءته، فيتفاعل العبد مع ذلك، ويتخيّل وكأنه يسمع كلام ربه ﷻ حقيقة وهو يقول مثلًا: "أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي"، كما جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي**

هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ غَيْرُ تَمَامٍ"، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ؟ فَقَالَ: اقْرَأ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ".

١٣- النظر إلى موضع السجود، فلا يجول ببصره يمنة ويسرة، بل يلزم موضع سجوده، والخضوع التام لربه، والتأدب بحضرته ﷻ، وفي صحيح مسلم وسنن النسائي وغيرهما: عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعَاوِيِّ قَالَ: (رَآنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ ﵄ وَأَنَا أَعْبَثُ بِالْحَصَى فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا انصَرَفْتُ نَهَانِي وَقَالَ: لَا تُحَرِّكْ الْحَصَى وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ، وَلَكِنْ اصْنَعْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَصْنَعُ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَصْنَعُ؟ قَالَ: كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ كَفَّهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا، وَأَشَارَ

بِأُصْبُعِهِ الَّتِي تلِي الْإِبْهَامَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَرَمَى بِبَصَرِهِ إِلَيْهَا، أَوْ نَحْوَهَا، وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ)، وإذا لم يكن من خشوع إلا بتغميض عينيه فهو جائز لا حرج منه، وقد سبق[١].

١٤- وضع اليد اليمنى على اليسرى (الضم)؛ فإنه من كمال الأدب مع اللّه ﷻ، وتمام الصلاة، وفيه خضوع ظاهر لمن يقف بين يديه ﷻ، مع ما فيها من منع الحركة والعبث باليدين في الصلاة، فضلًا عن أنه السنة التي لم يرد عنه ﷺ سواها.

١٥- تحريك السبابة؛ فهي كما قال عنها ﷺ: "لهي أشد على الشيطان من الحديد" رواه أحمد بسند حسن.

١٦- الاستعاذة باللّه من الشيطان الرجيم، وهذا عام في بداية الصلاة، وفي أي وقت شغله الشيطان: فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (قدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي؛ يَلْبِسُهَا عَلَيَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتعَوَّذْ بِاللّهِ مِنهُ، وَاتفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا" قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللّهُ عَنِّي) رواه مسلم.

---

١ – انظر من كتابنا هذا ص ١٩٠ مثلًا وما قبلها.

١٧- الاجتهاد بالدعاء في السجود، ومحاولة إطالته، مع تكلف البكاء ما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ فقد قال ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء" رواه مسلم.

١٨- ترك الالتفات في الصلاة؛ لحديث أبي ذر رضي الله عنه قال رسول اللّه ﷺ: "لا يزال اللّه عز وجل مقبلًا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه" رواه أبو داود، والالتفات في الصلاة قسمان، التفات القلب إلى غير اللّه، والتفات البصر إلى غير القبلة، والثاني أهون مع أن كليهما منهي عنه.

١٩- عدم رفع البصر إلى السماء؛ لقوله ﷺ: "إذا كان أحدكم في الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء؛ أن يلتمع بصره" رواه أحمد وهو في صحيح الجامع.

٢٠- مجاهدة التثاؤب في الصلاة: لقوله ﷺ: "إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع؛ فإن الشيطان يدخل" رواه مسلم.

٢١- محاولة القرب من الخاشعين، والابتعاد عن أصحاب الحركات الكثيرة، والعابثين في صلاتهم بأبدانهم وثيابهم، وكذلك من يرفع صوته بقراءته كأصحاب الوسوسة.

٢٢- تكرار الآيات التي فيها خشوع، ويجد فيه سلوة نفسه، وراحة قلبه.

٢٣- تخيّر الآيات التي تؤدي للخشوع كآيات الجنة والنار، والترغيب والترهيب.

٢٤- يحرص على الصلاة في الظلمة؛ فهي أدعى لحضور القلب، ولذا قال الله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [سورة المزمل:٦].

٢٥- قراءة الآيات التي يعلم تفسيرها، أو يقرأ عنها قبل ذلك؛ فالمفهوم أقرب للخشوع، ولقد ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله).

٢٦- التفاعل مع الآيات كما كان ﷺ: (إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ اسْتَجَارَ)، وفي رواية: (تعَوَّذَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تنزِيهٌ لِلَّهِ سَبَّحَ) رواه مسلم.

٢٧- اغتنم أوقات رغبتك في الخشوع بالذهاب للصلاة ثم اطل السجود؛ فقد ثبت عنه ﷺ قوله: "إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ" وصححه ابن خزيمة والألباني.

٢٨- استشعر الملائكة بجوارك، وسيرفعون فورًا إلى الله أعمالك، مع قربه جَلَّ جَلَالُهُ منك قبل ذلك: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَتعَاقبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَصْعَدُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، وَتثْبُتُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -عز وجل وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: كَيْفَ ترَكْتُمْ عِبَادِي؟، فَيَقُولُونَ: ترَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَإِذَا عَرَجَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ قَالَ لَهُمْ اللَّهُ -عز وجل-

كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟، فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ" رواه البخاري ومسلم.

٢٩- الزم دعاء نبيك ﷺ: "أَعُوذ بِك مِنْ عَيْن لَا تَدْمَع، وَنَفْس لَا تَشْبَع، وَقَلْب لَا يَخْشَع"، وإذا كان هذا حاله ﷺ وهو سيد الخاشعين، وإمام التقاة العابدين فكيف بنا نحن، وما هو خوفنا من ذلك وهذا الله يقول عن بني إسرائيل المعذبين: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة:٧٤]، ونادى صحابة رسوله ﷺ وشوقهم، بل استبطأهم: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحديد:١٦]، وهم صحابة نبيه ﷺ فماذا عني وعنك، وما هو حالي وحالك، وأين خشوعي وخشوعك!.

٣٠- الاجتهاد في الدعاء في السجود بكل تضرع وخشوع؛ فالدعاء من أجل العبادات في أي وقت من الأوقات فكيف في السجود، وفي الصلاة بالذات، وفي صحيح مسلم: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ"، وقد كان ﷺ يقول في سجوده كما في صحيح مسلم: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ"، وعند البخاري: "رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ،

وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي، وَجَهْلِي، وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ"، ويعلّم الأمة ﷺ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ" وهو عند مسلم، وعنده أيضًا: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ"، وعند أحمد في مسنده عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: "اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا" وهكذا ما لا تحصى من أدعية متنوعة من دعاء الاستفتاح حتى السلام، وليس في السجود خاصة؛ فالصلاة كلها دعاء، بل أصل وضعها في اللغة الدعاء فليكثر المسلم الدعاء، وليلح على ربه ما استطاع.

وسائل ما بعد الصلاة

وهناك وسائل وأسباب بعد الصلاة، وإن كانت أقل بلا ريب من سابقتيها، فأذكر لك أهم ما ظهر لي منها:

١- الزم أذكار الصلاة؛ فهو دليل على انتفاعك بالصلاة، وعاجل بشرى قبولها، والزم التدبر فيها، والتأمل في معانيها: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [سورة النساء:١٠٣].

٢- حافظ على السنن الراتبة للصلوات؛ فهي باب محبة اللّه لك، وتكملة للنقص الحاصل في صلاتك فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ"، وفي رواية: "فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ، فَإِنْ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ نَافِلَةٌ، وَإِنْ كَانَ انْتَقِصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ -عز وجل-: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؛ يُكَمِّلُ لَهُ مَا انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ؟، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ" رواه أصحاب السنن، وفي البخاري: عَنْ عائشة

ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ اللَّهُ تعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تقرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْترَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ".

٣- احذر من تفريغ حسناتك برفع صوتك في المساجد، وإزعاج أهلها، والعبّاد الذين بداخلها.

٤- احرص على هدوئك، ولتظهر السكينة والوقار فيك بعد انقضاء صلاتك، ولو أن تجاهد نفسك لذلك.

٥- حاول أن تصلي النافلة في بيتك؛ فقد كانت لرسول اللّه ﷺ حظًا لبيته من صلاته، ودعا أمته لذلك؛ ففي صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ؛ فَإِنَّ اللّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا"، وعند الترمذي وأحمد وغيرهما: عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تتَّخِذُوهَا قُبُورًا"، بل عند الطبراني وصححه الألباني: عَنْ صُهَيْبِ بن النُّعْمَانِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "فَضْلُ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ عَلَى صَلَاتِهِ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ كَفَضْلِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى النَّافِلَةِ"، وأعظم من ذلك كله وأختم به وهو عند أصحاب السنن: عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ

قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةُ فِي بَيْتِي، أَوْ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟، قَالَ: "أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ؟، فَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً").

٦- حافظ على نفسك من معصية الله ما بين الصلاتين؛ ليكن لك من الله حافظًا، وإلا كنت للشيطان أقرب، ومن الرحمن والملائكة الموكلة بك أبعد: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [سورة الزخرف:٣٦].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

أهم مراجع الكتاب

القرآن الكريم

المراجع التفسيرية:

تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ]، تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

تفسير السعدي المسمى: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، للإمام/ محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]، تحقيق وتخرج لأحاديثه محمد عبد اللّه النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ -

٣١٠ هـ]، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.

تفسير القرطبي المسمى: الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

تفسير الفخر الرازي، المؤلف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد اللّه فخر الدين، عدد الأجزاء / ٣٢، دار النشر / دار إحياء التراث العربي.

تفسير الثعلبي: الكشف والبيان، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١٠، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

تفسير الألوسي المسمى: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام/ شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، مصدر الكتاب: موقع التفاسير.

المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة.

معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، ودار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى جـ ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، جـ ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

المراجع السّنيّة:

صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل

بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد اللّه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللّه ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف: محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. علي حسين البواب.

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، المؤلف: محمد فؤاد عبد الباقى، دار النشر / دار الفكر ـ بيروت. مُخْتَصَر صَحِيحُ الإمَامِ البُخَارِي، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

المسند الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم، المؤلف: أبو عَوانة يَعقُوب بن إسحَاق الإسفرَاييني (المتوفى ٣١٦ هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، تنسيق وإخراج: فَرِيق مِن البَاحِثين بكليَّةِ الحَديثِ الشَّريفِ وَالدّرَاسَاتِ الإسلاميَّة بالجَامِعَة الإسلاميَّة، الناشر:

الجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السعُودية، الطبعة: الأوُلى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

الجامع الصحيح سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المحقق: مكتب تحقيق التراث، الناشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة: الخامسة ١٤٢٠هـ.

سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

المعجم الأوسط للطبراني، المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

الروض الداني (المعجم الصغير)، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.

جامع الأصول في أحاديث الرسول المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفي: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى.

سنن الدارقطني، المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ – ١٩٦٦م، تحقيق: السيد عبد اللّه هاشم يماني المدني.

سنن الدارمي، المؤلف: عبداللّه بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

المجتبى من السنن، المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر:

مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

السنن الكبير أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد اللّه بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

شعب الإيمان، لمؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

صحيح ابن خزيمة، المؤلف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠– ١٩٧٠م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.

صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

السلسلة الصحيحة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار النشر: دار المعارف، البلد: الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ١٤.

أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، المؤلف: أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي، المحقق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، الناشر: مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

مُصنف ابن أبي شيبة، المصنف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ ـ ٢٣٥ هـ)، تحقيق: محمد عوامة.

مصنف عبدالرزاق الصنعاني: المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء: ١١.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

مراجع شروح السنة:

فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال، المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، دار النشر: مكتبة

الرشد- السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، الناشر: دار المعراج الدولية للنشر [جـ ١ - ٥]،- دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ ٦ - ٤٠] .

شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى»، المؤلف: محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، الناشر: دار المنهاج، المملكة العربية السعودية – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار

مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.

التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض - المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، لطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

شرح السنة للإمام البغوى، المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء / ١٥، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

شرح السيوطي لسنن النسائي، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية –

حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، عدد الأجزاء: ٨.

التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: ٢.

تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، المؤلفون: العِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ - ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ)، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤ هـ)، الناشر: دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٧ (٦ ومجلد للفهارس).

الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٢٥.

المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، المؤلف: القاضي محمد بن عبد اللّه أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي، الناشر: دَار الغَرب

الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ٨ (٧ وجزء للفهارس).

الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المحقق: أحمد مجتبى، الناشر: دار العاصمة – الرياض، عدد الأجزاء: ٣ أجزاء.

شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٦ أجزاء ومجلد فهارس.

كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، المؤلف: محمَّد الخَضِر بن سيد عبد اللّه بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١٤.

توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتبة الأسدي، مكّة المكرّمة، الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٧.

المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي، تحقيق أشرف عبد المقصود، الناشر مكتبة طبرية، سنة النشر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

كتب اللغة:

النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألْفَاظِ المهَذّبِ، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد اللّه، المعروف ببطال (المتوفى: ٦٣٣هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، الناشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة، عام النشر: ١٩٨٨ م (جزء ١)، ١٩٩١ م (جزء ٢)، عدد الأجزاء:٢.

تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، عدد الأجزاء / ٤٠.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد اللّه العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد اللّه، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١١ مجلد (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس.

البارع في اللغة، المؤلف: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى:

٣٥٦هـ)، المحقق: هشام الطعان، الناشر: مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م، عدد الأجزاء: ١.

التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد اللّه الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

كتب الفقه:

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت

عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت، الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية طبع الوزارة.

الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، الناشر: دار طيبة - الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

الإقناع في مسائل الإجماع، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨هـ)، المحقق: حسن فوزي الصعيدي، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

فتاوى يسألونك، المؤلف: الأستاذ الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١٤، الناشر: جـ ١ - ١٠/ مكتبة دنديس، الضفة الغربية - فلسطين، جـ ١١ - ١٤/ المكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر، القدس - أبو ديس، عام النشر: ١٤٢٧ - ١٤٣٠ هـ.

كتب الصلاة:

إعادة اكتشاف الصلاة (مختصر إدارة الصلاة) المؤلف: أحمد بسام ساعي، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠٦هـ ٢٠١٥م، الطبعة الأولى.

رسالة ماجستير للباحث يحيى بن نصير السرحاني الشهراني، عنوانها: أثر عبادة الصلاة للوقاية من الجريمة، قسم: العدالة الجنائية، تخصص: التشريع الجنائي الإسلامي.

تعظيم قدر الصلاة، المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد اللّه، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، عدد الأجزاء: ٢.

الصلاة والتهجد المؤلف: عبدالرحمن بن عبدالحق الأشبيلي الملقب بابن الخراط، تحقيق: عادل أبو المعاطي، الناشر: دار الوفاء المنصورة، الطبعة: الأولى ١٩٩٢م.

الخشوع في الصلاة لابن رجب الحنبلي، تحقيق: أحمد مصطفى الطهطاوي، الناشر: دار الفضيلة، القاهرة.

الخشوع في الصلاة، المؤلف: د.محمد بن لطفي الصباغ، الناشر: دار السلام، ودار الوراق، الطبعة: الثالثة ١٩٩٩م.

الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: د.سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مؤسسة الجريسي، المملكة العربية السعودية.

كتب ابن تيمية وابن القيم:

مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

القواعد النورانية الفقهية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة السنة المحمدية، مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، سنة الولادة ٦٦١/ سنة الوفاة ٧٢٨هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الناشر: مكتبة ابن تيمية.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللّه، الناشر: دار الفكر -

بيروت ١٣٩٨ – ١٩٧٨م، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، عدد الأجزاء: ١.

الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣ – ١٩٧٣م، عدد الأجزاء: ١.

طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤ – ١٩٩٤م، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، عدد الأجزاء:١.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣ – ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي.

زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٥.

الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت١٣٩٥ – ١٩٧٥م، عدد الأجزاء: ١.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ذ١٤٠٥ – ١٩٨٥م، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، عدد الأجزاء: ١.

الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: الجفان والجابي - دار ابن حزم - قبرص – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ – ١٩٩٦م، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي.

كتب الزهد والرقائق:

قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، لطبعة: الثانية، تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي.

الزهد ويليه الرقائق، المؤلف: عبد اللّه بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد اللّه، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عدد الأجزاء: ١.

المدخل لابن الحاج، المؤلف: أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: ٧٣٧هـ)، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء٤.

منازل السائرين، المؤلف: عبد اللّه الأنصاري الهروي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ – ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ١.

المدهش، المؤلف: أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، تحقيق: د.مروان قباني، عدد الأجزاء: ١.

إحياء علوم الدين، المؤلف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

فهرس موضوعات الكتاب

صـدر للـمـؤلّـف:

١- **الأحاديث الصحاح في أذكار المساء والصباح وأحكامها الفقهية** (**٣٣٧ صفحة**).

٢- **فض المعترك في حديث**: "**وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك**"، **أحاديث طاعة الحكام في ميزان المحدثين والفقهاء** (**٣٢٠ صفحة**).

٣- **مختصر الكلام في أحكام الرؤى والأحلام** (**١٦٠ صفحة**).

٤- **الإلمام بفتاوى الصيام كتاب شامل لكل ما يسأل عنه المسلم في رمضان** (**٣٧٥ صفحة**).

٥- **زجر الأنام عن النظر للحرام ومتعلقاته من مسائل وأحكام**(**١٤١صفحة**).

٦- **الرسالة الجامعة في الصلاة النافعة** (**٣٤٤ صفحة**) **وهو هذا الكتاب الذي بين يديك**.

- كما له سلسلة متصلة من الكتيّبات التي تناقش أمس ما يحتاجه الناس اليوم، وهذه السلسلة بعنوان: سلسلة مختصرات فقهية ميسرة، وهي متسلسلة حسب ما يلي:

٧- **أحكام العشر من ذي الحجة وفضائلها** (**١**).

٨- **التحرير في حكم التصوير** (**٢**).

٩- **حكم العمل في شركة جوسيال** (٣).

١٠- **دفع الأوهام عن مولد خير الأنام عليه الصلاة والسلام**(٤).

١١- **شهر رجب في ميزان الفقه الإسلامي** (٥).

١٢- **أحكام الست من شوال** (٦).

١٠-**التبيان في فضائل وأحكام شعبان** (٧).

١١-**مختصر أحكام سجود السهو** (٨).

١٢-**مسائل في الجمع بين الصلوات لعذر المطر** (٩).

١٣-**أحكام القنوت في النوازل** (١٠).

١٤-**إعلام الساجد بحكم رفع الأصوات في المساجد** (١١).

١٥-**موقف الإسلام من السياسة مناقشة مقالة العلمانيين البدعية: لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة** (١٢).

١٦-**فصل الخطاب في حكم سب الأصحاب** (١٣).

١٧-**أحكام العِيدَين** (١٤).

١٨-**الدرة المرضية في أحكام الأضحية** (١٥).

١٩-**يوم عاشوراء فضائله وأحكامه** (١٦).

٢٠- **الحكم الشرعي في التسويق الشبكي** (١٧).

وهذا بالنسبة للكتب أما الخطب فهي كثيرة، وهي كلها بصيغة بي دي إف منشورة في صفحة المؤلف بمكتبة نور على الرابط:

https://v.ht./vw5f1

وفي حسابات الشيخ على وسائل التواصل الاجتماعي باسم/ Alsoty1

للتواصل بالمؤلّف، ومتابعة حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي:



المؤلف:

- مجاز في الفتوى، والتدريس، والدعوة من فضيلة مفتي الديار اليمنية القاضي/ محمد بن إسماعيل العمراني.
- زكّاه أبرز وأشهر العلماء، منهم مفتي اليمن، ورئيس هيئة علماء اليمن رئيس جامعة الإيمان، ونائبه، وغيرهم...
- حصل على إجازات مختلفة، عامة، وخاصة من كبار العلماء، وفي شتّى العلوم الشرعية منها:

إجازة في القراءات السبع، وإجازة خاصة برواية حفص عن عاصم، والكتب الستة، والعقيدة، والإيمان، واللغة، والفقه، وأصول الفقه، والتفسير، والحديث، والمصطلح، والتوحيد، والتجويد، والسيرة، والنحو، والصرف، والتصريف، وعلم البلاغة(معان، وبيان، وبديع)، والتاريخ، والآداب، والأدب، والمنطق، والحساب، والأذكار، والأدعية، والأخلاق، والفلك...

- له إجازات في المذاهب الأربعة، وإجازات في جميع مصنفات بعض العلماء كمصنفات ابن الجوزي، والسيوطي، والخطيب البغدادي، وابن حجر العسقلاني، والبيهقي..
- أستاذ بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وجامعة الإيمان، وجامعة العلوم والتكنلوجيا بالمكلا.
- نال عضوية الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين عام 2019م.

مكتبة السوطي